

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة وهران - السّانیا

كلية: الآداب، اللّغات والفنون

قسم: اللّغة العربية وآدابها

مذكرة ماجستير موسومة:

الوظيفة التّواصلية لحروف التّنبیه في اللّغة العربية

مشروع: اللّسانيات بإشراف د. محمد ملياني

تحت إشراف الأستاذ:

د. محمد ملياني

من إعداد الطالبة:

مسلم سومية

أعضاء لجنة المناقشة:

رئيساً

أ. د. صفية مطهري

مشرفاً ومقرراً

أ. د. محمد ملياني

مناقشاً

أ. د. العربي قلايلية

مناقشاً

أ. د. عمّار مصطفىاوي

السّنة الجامعية: 2011 / 2012

إهداء:

— إلى الروح الطاهرة التي زرعت في حبّ العلم وبذور البحث، ولم يكتب لها المولى عزّ وجلّ العيش إلى حين موسم إثمارها، إلى روحك "أبي". أسأل الله أن يرحمك، وأن يسكنك فسيح جنانه.

— إلى الصدر الرّحب، منبع العطف والحنان، الذي نرجو بره ورضاه على الدّوام، إليك "أمّي".

— إلى سندي في الحياة "إخوتي"، وإليك "زوجة أخي".

إليكم جميعاً أهدي ثمرة هذا الجهد المتواضع.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمّة

كانت اللغة ومازالت من أهمّ ما تفتخر به الأمم، باعتبارها عنوان أصالتها، ورمز كيانها وحضارتها، وأحد مقومات شخصيتها؛ بحيث إنها ظاهرة اجتماعية وأداة للتعبير، وللتفاهم والتواصل بين الأفراد والجماعات، فهي أسمى ما توصل إليه الإنسان من وسائل التفاهم والتواصل، نظرا لما تمتاز به من يسر ووضوح، ودقة دلالة.

ولأن اللغة العربية إحدى أهم اللغات قيمة ومرتبة، فقد ظلت أداة للبحث العلمي، وحظيت بإقبال كبير من الباحثين والدارسين — منذ أقدم العصور إلى يومنا هذا — إذ عكفوا على دراستها، واعتنوا بكل جزئياتها وتفصيلاتها، ودرسوا جميع مستوياتها، فخلفوا لنا بذلك فيضا من المؤلفات تناولوا فيها مختلف القضايا والمسائل اللغوية.

ولعل من أبرز هذه القضايا قضية حروف المعاني التي عرض لها هؤلاء، وخصصوا لها فصولا وأبوابا من كتبهم، بل وآثروها بكتب خاصة مستقلة ككتاب معاني الحروف، رصف المباني في شرح حروف المعاني، الجنى الداني في حروف المعاني، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، وغيرها مما تناولوا فيه تلك الحروف، وتحدثوا فيه عن مختلف خصائصها، واستعمالاتها في التركيب.

بيد أن الملفت في الأمر أن حديثهم المستفيض هذا لم يشمل جميع الحروف بالدرجة نفسها؛ إذ هناك ما نلفيهم يقفون عنده طويلا، ويدرسون مختلف قضاياها ووظائفه دراسة وافية، كما في حروف الجر والعطف ونحوهما، وهناك ما يكتفون بالإشارة إليه، أو إلى بعض استعمالاته دون تفصيل كما في حروف التنبيه، رغم أنها لا تقل أهمية عن سابقتها.

فنظرا لما علمناه من أهمية التنبيه، ودوره البارز في إحداث التواصل بين المتخاطبين، باعتباره أولى المراحل التي تنطلق منها كل عملية تواصلية؛ إذ يوظف المتكلم تلك

الحروف سعيًا منه إلى تهيئة المخاطب، واستحضار فكره، ولفت انتباهه حتى يضمن تجاوبه معه، وبالتالي نجاح العملية التواصلية بينهما، وتحقيق الغرض الذي كان يرمي إليه.

وتأثرا بالكثير من الدارسين والباحثين في وقتنا الحالي الذين يسعون إلى التنسيق والمزاوجة بين ما توصل إليه علماءنا الأجلاء، وبين مختلف الدراسات الغربية الحديثة، عن طريق استثمار المناهج اللسانية الحديثة، وتطبيقها في دراسة التراث اللغوي العربي، سعيًا منهم إلى اكتشاف أبعاد ونتائج جديدة، تخدم ذاك التراث، وتسهم في جعله أقرب صلة، وأكثر ارتباط بتلك المناهج الحديثة.

فقد بدأت تراودني إحدى الإشكاليات المتعلقة بهذا الشأن، والتي مفادها: هل يمكن استثمار المنهج الوظيفي الحديث في دراسة حروف التنبيه؟ وما هي الأبعاد التي يمكن أن تضيفها دراستنا لتلك الحروف من وجهة حديثة؟. نظرًا لما يوليه هذا المنهج من أهمية بالغة لوظائف اللغة؛ بحيث لا يتعامل معها إلا من خلال الوظائف التي تؤديها.

وما هذه الإشكالية إلا عنوانا ملخصا لمجموعة من التساؤلات الجزئية أبرزها: هل تنحصر وظيفة تلك الحروف في مجرد التنبيه، أم أنها قد تتجاوزه لتأدية وظائف أخرى؟ وهل للسياق بما يحويه من عناصر فاعلة في عملية التواصل من أثر على وظيفة تلك الحروف؟ أم أنها (وظيفتها) تبقى ثابتة مهما تغير السياق؟ وهل يتغير المعنى العام للتركيب إذا استبدلنا هذا الحرف بذاك؟.

فانطلاقًا من هذه التساؤلات، تبلورت عندي فكرة السعي إلى الإجابة عنها في هذا البحث الذي وسمته بـ "الوظيفة التواصلية لحروف التنبيه في اللغة العربية". والمقصود بالوظيفة الدور التعبيري الذي تؤديه تلك الحروف في السياق، من خلال تضامها وتآلفها

مع الأجزاء المجاورة لها في التركيب، ومن خلال ارتباطها بجميع عناصر السياق الخارجي. وقد اقتضت طبيعة هذا الموضوع أن أتناوله وفق خطة ضمت أربعة فصول ملحقة بخاتمة تلخص جميع النتائج المتوصل إليها.

فأما الفصل الأول منه فهو: "الحرف مفهومه ووظيفته"، خصصته لدراسة مختلف قضايا الحروف بصفة عامة، وللوقوف على الفرق المصطلحي بين الحرف والأداة تبريراً مني لتبني المصطلح الأول منهما، ثم عاجلت فيه كذلك قضيتي المعنى والوظيفة وأيهما أقرب صلة من الحرف.

ثم عاجلت في الفصل الثاني "حروف التنبيه"، وإنما كان قصدي بحروف التنبيه تلك الحروف التي ذكرها النحاة في باب التنبيه، والتي تؤدي هذه الوظيفة أصالة، ولا تختص بتنبيه شخص معين كما هي الحال مع بعض الحروف الأخرى. فحاولت رصد خصائص كل حرف وما يميزه عن غيره من الحروف مما يخول له أداء بعض الوظائف دون غيرها.

وأما الفصل الثالث فكان متمماً لسابقه، إذ تناولت فيه "حروف النداء"، أي تلك الحروف التي استثنيتها في الفصل الثاني، والتي تختص بتنبيه طائفة معينة دون غيرها، هي طائفة المناديات.

ليكون الفصل الرابع "دراسة تطبيقية على ديوان محمد العيد آل خليفة"، بحيث حاولت فيه التحقق مما توصلت إليه في الجانب النظري من البحث. فقامت بإحصاء الحروف الموظفة في ذاك الديوان، ودراسة وظائفها في كل باب من الأبواب حتى نعرف أي الحروف أكثر استعمالاً من غيره، وما هي الوظائف التي أداها كل واحد منها، وأي الوظائف أكثر تكراراً، وأكثر ارتباطاً بهذا الحرف أو ذاك.

وقد اخترت ديوانا جزائريا تقديرا مني لأولوية أدبنا المحلي في الدراسة، وافتخارا واعتزازا بما ورثناه عن أسلافنا، ثم رغبة في إماطة الستار عنه بغية الانتفاع به وبعثه بعثا جديدا.

إن المنهج الذي اعتمدته في هذه الدراسة، والذي تفرضه طبيعة الموضوع هو المنهج الوصفي التحليلي — بما فيه من تركيز على الجانب الوظيفي — بحيث أقوم بوصف خصائص تلك الحروف ومختلف وظائفها التي تؤديها، ثم أقوم بتحليل تلك الوظائف بحسب السياقات الواردة فيها. مع الاستناد على المنهج التاريخي في الفصل الأول، والمنهج الإحصائي في الفصل الأخير.

ولا يسعني في الأخير إلا أتوجه بالشكر الخالص إلى أستاذي المشرف "ملياني محمد"، الذي يكفيني فخرا أنه تبنى هذا البحث، وأتاح لي الحرية الكاملة في اختياره، وفي التعامل مع مادته. كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى جميع الأساتذة الذين لازلنا ننهل من منابعهم وأخص بالذكر الأستاذ بكري عبد الكريم، قلايلية العربي، وبوزبوجة عبد القادر، الذين لم ييخلوا علي بتوجيهاتهم وآرائهم في هذا البحث. فجزاهم الله عنا أحسن الجزاء.

ولأني قمت بهذه المحاولة مجتهدة مخلصة ما استطعت لأقارب الهدف المنشود من كل بحث، فأني إن أصبت فهو ما كنت أبتغي، وهو من إعانة ربي وفضله، وإن أخطأت فمن نفسي التي لا زالت ناشئة لغة، وحسبي أني حاولت واجتهدت وسعيت، وأسأل الله التوفيق للجميع.

وهران: / /

مسلم سومية

الفصل الأول

الحرف: مفهومه، ووظيفته.

— من الحرف إلى الأداة.

— الحرف بين المعنى والوظيفة.

أولاً: من الحرف إلى الأداة:

قسّم النحاة القدامى الكلم* العربي ثلاثة أقسام: اسم وفعل وحرف، وصاغوا لكل واحد منها تعريفات خاصة، وعلامات مميزة. منها ما يتعلّق بالجانب الشكلي (المبنى)، ومنها ما يتعلّق بالجانب المعنوي أو الوظيفي. قال سيبويه (ت هـ): "الكلم اسم، وفعل، وحرف جاء لمعنى ليس باسم، ولا فعل."^(١) وقد اتّبعه في ذلك مجموعة من العلماء أمثال: المبرّد (ت هـ)، ابن السراج (ت هـ)، الزّمخشري (ت هـ)، ابن مالك (ت هـ)، والسيوطي (ت هـ)، وغيرهم...

ورغم أن معظمهم يكاد يجمع على القسمة الثلاثية؛ إلّا أنه ورد في بعض النصوص أن من النحاة من يضيف قسماً رابعاً يسميه "خالفة"^(٢)، ويقصد به أسماء الأفعال، نظراً لما لها من علامات مميزة تخول لها أن تكون قسماً مستقلاً، إذ لا يتطابق بعضها لا مع العلامات الاسميّة ولا الفعلية؛ وقد ردّ الشيخ خالد الأزهرى** (ت هـ) على هؤلاء في شرحه للأجرومية بقوله: أقسام الكلم "ثلاثة لا رابع لها بالإجماع، ولا التفات لمن زاد

* الكلم اسم جنس جمعي، مفردة كلمة ومعناه اللفظ، يكون مفيداً أو غير مفيد بخلاف الكلام الذي يشترط فيه الإفادة فيدل على لفظ يحسن السكوت عنه، ينظر أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، ابن هشام، مطبعة المدني، ط ، مصر، ص () : الكتاب، سيبويه، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، ط ، ج ، القاهرة، ص .

() : ينظر التذييل التكميل في شرح كتاب التسهيل، أبو حيان الأندلسي، تح: حسن هندأوي، دار القلم، دط، دت، دمشق، ج ، ص / . وينظر همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، السيوطي، تح: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط ، بيروت، ج ، ص .

** الشيخ خالد الأزهرى: هو زين الدين بن عبد الله بن أبي بكر الأزهرى الشافعي، من علماء القرن التاسع الهجري، من مصنفاته: التصريح بمضمون التوضيح، شرح قواعد الإعراب، شرح الأجرومية.

قسما رابعا سماه خالفة وعنى بذلك اسم الفعل. ^(١) فهو إذا يرفض إضافة قسم رابع، ويؤكد إجماع النحاة على القسمة الثلاثية، ومن خالفها فقد خالف الإجماع.

تعددت تعريفاتهم لكل قسم من تلك الأقسام، وتفاوتت نسبها من حيث الصحة والقبول، فمنهم من اكتفى بالتمثيل لها، ومنهم من عرفها باعتبار وظيفتها في التركيب، ومنهم من اعتمد على ذكر علاماتها الشكلية المميزة لها.

فالاسم عندهم "ما دلّ على معنى مفرد، وذلك المعنى يكون شخصا أو غير شخص. ^(٢) فالشخص هو الذي يدل على أشياء حسية مادية نحو: رجل، فرس، حجر، بينما يدل غير الشخص على أشياء معنوية غير مادية نحو: الضرب، النوم، النجاح...

أما الفعل "فأمثلة أخذت من لفظ أحداث الأسماء وبنيت لما مضى، ولما يكون ولم يقع، وما هو كائن لم ينقطع. ^(٣) أي أنه عبارة عن حدث مقترن بزمان معين، فكلمة "خرج" مثلا هي حدث ناتج عن اسم "الخروج"، وهي هنا تدل على الزمن الماضي.

وإذا كنا نلمس اختلافا كبيرا بين النحاة في تحديد كل من القسمين السابقين، فإن ذلك يقل بكثير — حتى أنه لا يكاد يكون — في تحديدهم للحرف.

الحرف:

الحرف في اللغة الطرف والحدّ، ورد في لسان العرب أن: "حرف كل شيء طرفه

(١): حاشية ابن الحاج على شرح الأجرومية، ابن الحاج، مطبعة الاستقامة، ط ، ، القاهرة، ص / .

(٢): الأصول في النحو، ابن السراج، تح: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، ط ، ، بيروت، ج ، ص .

(٣): الكتاب، سيبويه، ج ، ص .

وشفيره وحدّه، ومنه حرف الجبل وهو أعلاه المحدّد. ^(١) أما في الاصطلاح فقد شاع عند العلماء أن الحرف في اللغة العربية نوعان: حروف مبان وهي حروف المعجم المعروفة التي تتألف منها الكلمات، وحروف معان وهي التي تؤدي وظيفة معينة من خلال استعمالها في التركيب.

وحروف المعاني هي المقصود من مصطلح الحرف، الذي جعله النحاة القدامى قسما ثالثا من أقسام الكلم العربي، لذلك فنحن إذ نقول الحرف فإننا نقصد حروف المعاني.

ركز النحاة القدامى أكثر شيء في تعريفهم للحرف على جانب المعنى، لذلك جاءت تعريفاتهم له متقاربة بشكل كبير، فقد ذكر سيبويه أن الحرف "ما جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل." ^(٢) ومثل له بـ: ثم، سوف، واو القسم، لام الإضافة ونحوها.

وذكر أبو الحسن الرّماني (ت ٥٠٠ هـ) أنه: "كلمة لا تدل على معنى إلا مع غيرها، مما جعل معناها في غيرها." ^(٣) والمقصود بذلك أن الحرف لا يؤدي معناه في حالة انفراده، أو وجوده مستقلا بنفسه، منعزلا عن غيره من الأقسام. لذلك وجب أن يقترب ذكره بذكر اسم أو فعل يتألف معه، ويتبين من خلاله معناه.

وهو الأمر الذي ذهب إليه الزّمخشري وأكّده بقوله: "الحرف ما دل على معنى في غيره،

(١): لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، ط ١، بيروت، ج ١، ص ١٠٠.

(٢): الكتاب، سيبويه، ج ١، ص ١٠٠.

(٣): رسالتان في اللغة (منازل الحروف، والحدود)، أبو الحسن الرّماني، تح و تق: إبراهيم السامرائي، دار الفكر، دط، عمّان، ص ١٠٠.

ومن ثمّ لم ينفك من اسم أو فعل يصحبه. ^(١) أي أن معناه يتجلى من خلال السياق.

وغير بعيد عن هذا رأى المرادي (ت هـ) أن الحرف حدّ بحدود كثيرة من أحسنها: "الحرف كلمة تدل على معنى في غيرها فقط." ^(٢) لأن معناه لا يتضح في حال انفراده عن باقي أجزاء التركيب، بل هو مرهون بغيره، وبغيره فقط بخلاف الأسماء والأفعال التي قد تدلّ على معنى في نفسها ومعنى في غيرها.

محمل القول من هذه التعريفات أن الحرف كلمة تدل على معنى في غيرها، ولا تدل عليه في نفسها، أو بمعزل عن غيرها؛ فرغم أنها تحمل معنى يفهمه كل من المتكلم والسامع، إلا أنها لا تشير إلى شيء موجود يمكن أن يتعرف عليه في العالم المادي، وعليه كانت دلالة الحرف على معناه الإفرادي متوقفة على توظيفه في سياق معين، من خلال تضامه وتآلفه مع عناصر أخرى مكوّنة للجملة، بها يظهر ويتجلى معناه. فإذا قلنا مثلاً "حتى" حرف يدل على انتهاء الغاية، فإنها لا تدل عليه في نفسها، وإنما تدل عليه في متعلقها المصاحب لها في التركيب. وكذلك هي الحال بالنسبة لجميع الحروف الأخرى.

ومن هنا يكون تصوّر معنى الحرف في الذهن متوقف على شيء خارج عنه ^(٣)، بخلاف الاسم والفعل اللذان يحمل كل واحد منهما معنى في ذاته، ولا تتوقف دلالته على ذكر متعلق له، أو على ذكر السياق اللغوي كله.

(١): المفصل في علم العربية، الزمخشري، دار الجيل، دط، دت، بيروت، ص .

(٢): الجني الداني في حروف المعاني، المرادي، تح: فخر الدين قباوة و محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، ط ، ،

بيروت، ص .

(٣): ينظر المصدر نفسه، ص .

علامات الحرف:

سجل النحاة لحروف المعاني مجموعة من العلامات والخصائص التي يُستدل بها عليها في مختلف التراكيب. حتى أن البعض منهم عرّف الحرف بذكر علاماته، كالأخفش (ت هـ) الذي قال: "ما لم يحسن له الفعل، ولا الصفة، ولا التثنية، ولا الجمع، ولم يجوز أن يتصرف فهو حرف." (١) فعدم قبوله لهذه الأمور علامة له في حدّ ذاتها.

وحاول ابن السراج أن يميز الحروف عن باقي أقسام الكلم، بالاعتماد والتركيز على المنحى الوظيفي فيها قائلا: "الحروف ما لا يجوز أن يخبر عنها، ولا يجوز أن تكون خبرا نحو: من وإلى." (٢) وفي هذا تركيز على وظيفتها التي تظهر بوضوح في الجملة؛ إذ لا يجوز في العربية أن نخبر عن الحروف كما نخبر عن الأسماء، فلا نقول "إلى منطلق" مثلما نقول "الرجل منطلق"، ولا "عن ذاهب" كما نقول "زيد ذاهب"، ولا يجوز أيضا أن نخبر بالحروف مثلما نخبر بالأسماء والأفعال فلا نقول "عمرو إلى" كما نقول "عمرو منطلق" ولا "بكر عن" كما نقول "بكر قادم".

فما نلاحظه هو أن علامات الحروف ليست علامات شكلية ظاهرة مثلما هي الحال في الأسماء و الأفعال؛ وإنما علاماتها هي انتفاء علامات القسمين السابقين عنها. وهو ما أكدّه الحريري البصري (ت هـ) بقوله:

(١): الصاحبي في فقه اللغة العربية و مسائلها و سنن العرب في كلامها، ابن فارس، تح و تق: عمر فاروق الطّباع، مكتبة

المعارف، ط ، ، بيروت، ص .

(٢): الأصول، ابن السراج، ج ، ص .

وَالْحَرْفُ مَا لَيْسَتْ لَهُ عَلَامَةٌ فَقَسْ عَلَى قَوْلِي تَكُنْ عَلَامَةً^(١)
مِثَالُهُ حَتَّى وَلَا وَثُمََّا وَهَلْ وَبَلْ وَلَوْ وَلَمْ وَلَمَّا

والمقصود بـ "ليست له علامة" هو العلامة الشكلية الظاهرة، كالصيغة والوزن ونحوهما من العلامات المميزة لكل من الاسم والفعل.

أقسام الحروف:

للحروف أقسام عديدة ومتنوعة، فهي إما أن تقسم بحسب هيئتها وعدد حروفها، أو بحسب عملها وإهمالها، أو بحسب اختصاصها، أو بحسب وظيفتها في الكلام.

— بحسب هيئتها وعدد حروفها: يقوم هذا التقسيم على أساس حروف المعجم المكونة لكل واحد منها؛ لذلك يوجد منها الأحادية (الهمزة، الباء...)، الثنائية (عن، يا...)، الثلاثية (ألا، أما...)، الرباعية (حتى، لولا...)، والخماسية (لكن). وقد اعتمد هذا التقسيم مجموعة من العلماء منهم المرادي في الجنى الداني.

— بحسب عملها وإهمالها: ذكر السيوطي أن الحروف العاملة في العربية ثمانية وثلاثون حرفاً، وغير العاملة نيف وستون^(٢)، فالعاملة هي التي تؤثر فيما اتصلت به وتغيّر من حركة إعرابه نصباً، ورفعاً، وجراً، وجزماً مثل نواصب المضارع وحروف الجر، أما غير العاملة فهي التي لا تؤثر فيما دخلت عليه مثل حروف التنبيه والعطف.

(١): شرح ملحّة الإعراب، الحريري البصري، تح: بركات يوسف هبود، المكتبة العصرية، ط ١، بيروت، ص ١٠.

(٢): ينظر الأشباه والنظائر في النحو، السيوطي، دار الكتب العلمية، دط، دت، بيروت، ج ١، ص ١٠.

— بحسب اختصاصها: تنقسم الحروف من حيث الاختصاص إلى ثلاثة أقسام^(١) فهي:

— إمّا أن تختص بالدخول على الأسماء فقط دون الأفعال، ويكون معناها فيها، فإن نزلت منزلة الجزء منها لم تعمل فيها مثل: "ال" التعريف، وإن لم تنزل فحقها أن تعمل مثل: حروف الجر.

— وإمّا أن تختص بالدخول على الأفعال فقط دون الأسماء؛ فإن نزلت منزلة الجزء منها لم تعمل كحروف التنفيس مثلاً، وإن لم تنزل فحقها أن تعمل كحروف الجزم.

— وإمّا أن تكون مشتركة بين الأسماء والأفعال فلا تختص بالدخول على واحد منهما دون الآخر، وهذا النوع لا يعمل لا في الأسماء ولا في الأفعال، ومثاله حروف الاستفهام؛ حيث يمكننا أن نقول: "أ جاء محمد؟"، و"أزيد أخوك؟".

— بحسب وظيفتها في الكلام: يعتبر هذا التقسيم الأشهر من بين التقسيمات الأخرى رغم أهميتها كلها؛ ذلك لأنه يصطلح على حروف المعاني في اللغة العربية من جهة وظائفها في التركيب؛ حيث تصنف تلك الحروف ضمن مجموعات، وتسمى كل مجموعة منها بالوظيفة الرئيسة التي تؤدّيها. نظراً لأنه ليس لها معنى معجمي، ولا تشير إلى شيء موجود في العالم الخارجي؛ بل تقوم بأدوار وظيفية هامة تمكنها من تمييز خطاب تواصل عن آخر، فكانت بذلك حروف الاستفهام، حروف التنبيه، حروف الجر، حروف العطف، حروف العرض، حروف النفي، حروف النهي...

(١): ينظر: الأصول، ابن السراج، ج ١، ص ١٠٠. و الخنّ الداني في حروف المعاني، المرادي، ص ١٠٠. وحاشية ابن الحاج على شرح الأخرومية، ابن الحاج، ص ١٠٠.

هناك من صنف هذه الوظائف ضمن وظائف أخرى أعم وأشمل منها، فقد ذكر السيوطي نقلاً عن المهلي* (ت) أن الحروف تأتي لستة وظائف إذ قال:

تَفْطَنُ فَإِنَّ الْحَرْفَ يَأْتِي لِسِتَّةٍ لِنَقْلِ وَتَخْصِيصٍ وَرَبْطٍ وَتَعْدِيَةٍ^()
وَقَدْ زِيدَ فِي بَعْضِ الْمَوَاضِعِ وَاعْتُدِيَ جَوَابًا كَسِيَتِ الْعِزُّ وَالْأَمْنُ تَرْدِيَهُ

فالنقل يكون من الإيجاب إلى النفي، ومن الخبر إلى الاستخبار (الاستفهام)، وإلى التمني، والترجي...

والتخصيص يكون بمجموعة من الحروف يختص بعضها بالدخول على الأسماء دون غيرها، ويختص بعضها الآخر بالدخول على الأفعال دون غيرها.

أما الربط فإما أن يكون بين اسمين أو فعلين، وهذا وظيفة حروف العطف، وإما أن يكون بين فعل واسم، وهذا وظيفة حروف الجر، أو يكون بين جملتين وهو وظيفة حروف الشرط وغيرها.

وأما التعدية فمثالها الواو في المفعول معه، وإلا في الاستثناء.

بينما يكون الجواب بحروف مثل: نعم و لا.

* المهلي: هو علي بن أحمد المهلي أبو الحسين، كان إماماً في اللغة والنحو، ورواية الأخبار، وتفسير الأشعار، توفي بمصر سنة ٥٠٠ هـ، ينظر بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، السيوطي، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، دط، دت، بيروت، ج ١، ص ١٠٠.

() : (الأشباه و النظائر، السيوطي، ج ١، ص ١٠٠).

وغير بعيد عن هذا ذكر السيوطي تقسيما آخر للحروف بحسب وظائفها، وهو تقسيم ابن فلاح* (ت) حيث قال: "الحرف يدخل إمّا للربط أو للنقل أو للتأكيد أو للتنبيه أو للزيادة، ويندرج تحت الربط حروف الجر والعطف والشرط والتفسير والجواب والإنكار والمصدر؛ لأن الربط هو الداخل على الشيء لتعلقه بغيره، ويندرج تحت النقل حروف النفي والاستفهام والتخصيص والتعريف والتنفيس والتأنيث، ويندرج تحت التنبيه حروف النداء والاستفتاح والردع والتذكير والخطاب." (١) فقد صنف الوظائف العامة أولاً ثم ذكر ما يندرج تحتها من وظائف فرعية.

فالربط وظيفة عامة تؤديها مجموعة من الحروف التي تختص كل طائفة منها بوظيفة معينة غير التي تؤديها الطائفة الأخرى، رغم أنهما تشتركان جميعاً في الربط بين أجزاء الكلم المختلفة. وكذلك هي الحال بالنسبة للنقل والتنبيه، فهما وظيفتان عامتان تشتركان في تأدية كل واحدة منهما مجموعة من الحروف المصنفة ضمن وظائف فرعية خاصة، تسمى كل طائفة منها باسم الوظيفة التي تؤديها في التركيب.

* ابن فلاح: هو منصور بن فلاح بن محمد بن سليمان بن معمر اليميني، الشيخ تقي الدين أبو الخير المشهور بابن فلاح النحوي، له مجموعة مؤلفات في العربية منها: الكافي، والمغني، توفي سنة ١١٠٠ هـ. ينظر بغية الوعاة، السيوطي، ج ١، ص ١٠٠.

() : الأشباه والنظائر، السيوطي، ج ١، ص ١٠٠.

ظل تقسيم القدامى للكلم مجال مناقشة لدى المحدثين فقد انتقده معظمهم، ووصفه بالاضطراب وعدم الدقة لعدة أسباب منها:

— عدم تبرير ذاك التقسيم، أو تبيان الأسس العقلية، والمنطقية التي بني عليها، وتمّ بموجبها.

— عدم اتفاقهم على تعاريف شاملة، أو مقارنة لكل قسم من تلك الأقسام.

— وجود بعض الكلمات ضمنها النحاة ضمن طائفة الأسماء، أو الأفعال رغم أنها لا تقبل جل علاماتها، ومرجع ذلك هو تمسّكهم بالتقسيم الثلاثي لا محالة.

حاول أولئك المحدثون — انطلاقاً مما سبق — تدارك ما لمسوه من نقص في تقسيم القدامى، وأضافوا أقساماً جديدة على حسب ما بدا لهم من الأهمية. فنتج عن ذلك تقسيم رباعي قال به كل من إبراهيم أنيس^(١)، ومهدي المخزومي^(٢). ولم يلبث هذا التقسيم طويلاً حتى جاء من ينادي بتقسيم جديد، وعلى أسس جديدة، يراعي فيها جانبي الشكل والوظيفة، ويأخذ بهما معاً، فكان ممن قالوا به تمام حسان، وفاضل مصطفى السياقي اللذان ارتضيا تقسيماً سباعياً للكلم أشمل من التقسيمات السابقة. كانت الأقسام فيه كالآتي^(٣): اسم، صفة، فعل، ضمير، خالفة، ظرف، وأداة.

(١): كان تقسيمه كالآتي اسم، ضمير، فعل، وأداة، ينظر من أسرار اللغة، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، ط ١، القاهرة، ص ١٠.

(٢): قسّم الكلم إلى: فعل، اسم، أداة، وكنائيات. ينظر في النحو العربي (قواعد وتطبيق على المنهج العلمي الحديث)، مهدي المخزومي، دار الرائد العربي، ط ١، بيروت، ص ١٠ / ١١.

(٣): ينظر اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، عالم الكتب، ط ١، القاهرة، ص ١٠، وأقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة، فاضل مصطفى السياقي، تق: تمام حسان، مكتبة الخانجي، دط، القاهرة، ص ١٠.

ورغم أن المحدثين انتقدوا التقسيم الثلاثي للكلم إلا أنهم لم ينفوه، ولم ينفوا الأقسام الواردة فيه؛ بل على العكس تماماً هم ينطلقون منه دائماً، فما من تقسيم إلا ونجد أول أقسامه الاسم والفعل، وحتى لو أننا لا نجد من بين هذه الأقسام الحرف، إلا أننا نلفيهم يعتمدون على مصطلح آخر يعوضه في التقسيم، ويشتمل عليه هو: "الأداة".

الأداة:

الأداة مصطلح ارتضاه معظم المحدثين ليكون أحد أقسام الكلم عندهم، ويمكن أن نقول هي بديل لمصطلح الحرف في تقسيم القدماء، رغم أنها ذات مجال أوسع منه، باعتبارها تشمل الحروف، وغيرها من الكلمات التي كان تصنيف بعضها محل جدل بين النحاة فـ: "الأدوات إمّا حروف كحروف العطف والجر، وإمّا أسماء كأسماء الاستفهام، وإمّا أفعال كـ: عدا وحاشا وخلا المسبوقة بما المصدرية." (١) فلما كانت هذه الأسماء لا تقبل جميع علامات الأسماء، وهذه الأفعال لا تقبل جميع علامات الأفعال صُنّفت ضمن قسم الأدوات.

ونظراً لما تشتمل عليه الأداة من مختلف أقسام الكلم ارتأى تمام حسان أن يقسّمها إلى قسمين: أصلية ومحوّلة (٢)؛ فأما الأصلية فالمقصود منها حروف المعاني، مثل حروف الجرّ والعطف وغيرها. وأما المحوّلة فتكون حسبّه:

— ظرفية: إذ تستعمل الظروف في تعليق جمل الاستفهام والشرط.

(١): المعجم المفصّل في علوم اللغة، محمد التونجي وراجي الأسمر، دار الكتب العلمية، ط ١، لبنان، ج ١، ص ١٠.

(٢): ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، ص ١٠.

— اسمية: كاستعمال بعض الأسماء المبهمة في تعليق الجمل، على نحو استعمال كم وكيف في الاستفهام.

— فعلية: كتحويل بعض الأفعال التامة إلى صورة الأداة بعد القول بنقصانها مثل: "كان" وأخواتها.

— ضميرية: كنقل "من" و"ما" و"أي" إلى معاني الشرط، والاستفهام، والتعجب.

فالمهم حسب هذا التقسيم أن جميع الأدوات تشترك في أداء وظيفة التعليق، وفي إفادة معنى عام هو معنى الجملة. وما نخلص إليه من هذا هو أن الأداة ليست مصطلحا مرادفا لحروف المعاني كما يعتقد بعضهم؛ وإنّما هي قسم يشمل حروف المعاني كما يشمل غيرها، ومن ثمّ جاز لنا أن نقول كل حرف أداة وليس كلّ أداة حرف، على أساس أنّها لا تنحصر في حروف المعاني، بل تتجاوزها إلى كلمات أخرى ليست من الحروف.

وليس مصطلح الأداة بالحديث، أو الدّخيل على الدرس النحوي، أو حتى على أقسام الكلم؛ بل على العكس من ذلك فجذوره ضاربة في أعماق التراث والفكر النحوي؛ إذ كان الكوفيون يستعملون هذا المصطلح، ويسمّون حروف المعاني بالأدوات تمييزا لها عن حروف المباني. ويرى السياقي أنّهم باستعمالهم لهذا المصطلح أدقّ من البصريين^(١) الذين كانوا يعتمدون مصطلح الحرف.

ولا نعتقد أنّ المحدثين تبّنوا هذا المصطلح للسبب ذاته، وإنّما كان ذلك لقدرته على استيعاب واحتواء تلك الكلمات التي تؤدي معان عامة، والتي لم يجدوا لها مكانا ضمن

(١): ينظر أقسام الكلام العربي، السياقي، ص .

الأقسام الأخرى، فالأداة عندهم "تشمل كل كلمة تؤدي معنى وظيفيا عاما هو معنى الجملة." (١) وهذه الكلمة قد تكون حرفا أو اسما أو فعلا ... المهم أنها تؤدي معنى وظيفيا عاما.

وإذا كان المقصود بالأداة عند الكوفيين حروف المعاني فقط، فهناك من القدامى من استعمل هذا المصطلح بالمفهوم الحديث، وعرفها تعريفا لا يختلف عن تعريفات المحدثين كالسيوطي مثلا، الذي اعتمد هذا المصطلح في كتابه "الإتقان في علوم القرآن" إذ قال: "وأعني بالأدوات الحروف، وما شاكلها من الأسماء، والأفعال، والظروف." (٢) فقله هذا هو عينه الذي ذهب إليه المحدثون، حيث إنه لم يجعل الأداة مرادفة للحرف؛ بل جعلها أشمل له ولما شابهه (في الوظيفة) من الأقسام الأخرى.

علامات الأداة:

صاغ المحدثون للأداة مجموعة من السمات الشكلية، والوظيفية المتنوعة التي تميزها عن باقي أقسام الكلم، وتجعلها تنفرد وتتميز عنها. وهي في حقيقة الأمر لا تكاد تختلف عن تلك التي صاغها القدماء للحرف فمن أهم وأبرز هذه العلامات ما يلي (٣):

— أول ما تتميز به الأداة أنها لا تؤدي معناها في ذاتها مثل الأقسام الأخرى؛ حيث إنه لا يظهر ولا يتحدد إلا من خلال متعلقاتها، ومن خلال السياق الواردة فيه لذلك هي في

(١): المرجع السابق، ص .

(٢): الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، دار الفكر، دط، دت، بيروت، ج ، ص .

(٣): ينظر اللغة العربية معناها و مبناها، تمام حسان، ص إلى ص ، و أقسام الكلام العربي، السياقي، ص / .

افتقار متأصل لضمائنها. وهو ما جعل معناها وظيفيا لا معجميا.

— رتبة الأداة دائما هي التقدّم والصدارة، فإذا دخلت على الجملة تصدرتها مثل النّواسخ

وأدوات الاستفهام، وإذا دخلت على المفردة تقدمت عليها، مثل حروف الجر .

— تتسم الأداة من حيث الرسم الإملائي بأنّ منها المتصلة، ومنها المنفصلة؛ فالتّي تكون

على حرف واحد تتصل بالضميمة التي تليها مثل باء الجر، أمّا التي تكون على أكثر من

حرف فتأتي منفصلة، مستقلة في الكتابة عن ضميمتها.

— لا توصف الأداة ولا يوصف بها، ولا تكون مسندا ولا مسندا إليه، ولا يخبر بها أو

يخبر عنها.

— لا تشنّى ولا تجمع.

— لا تدخل في جدول تصريفي أو إسنادي، وليس لها صيغة معيّنة.

— لا يأتلف منها مع مثلها كلام.

— لا تقبل "ال" التعريف، ولا تضاف، ولا تنوّن.

— تتسم كلها بالبناء، ولا تظهر عليها العلامة الإعرابية ما عدا "أيّ" فهي معربة.

— ليس لها أصول اشتقاقية، ومبانيها هي صورها المجردة.

وظيفة الأداة:

من أهم و أبرز مميّزات الأداة أنّها لا تدلّ بذاتها على معناها — بخلاف الأسماء

والأفعال والصفات التي تحمل دلالاتها في أنفسها — فهي غير محددة المعاني في حالة

انفرادها وعدم توظيفها في سياق معين، لأنّ معناها ليس معجميا؛ وإنّما يكمن في

وظيفتها التي تؤديها في أثناء الحمل، وفي مختلف السياقات.

والوظيفة العامة التي تشترك في تأديتها جميع الأدوات هي التعليق؛ إذ تقوم بالربط بين الجمل، وأجزاء الجمل (الألفاظ)، ثم بالتعبير عن تلك العلاقات الداخلية القائمة بين تلك الأجزاء. والتعليق بالأداة هو أشهر أنواع التعليق في اللغة العربية فمعظم جملها — باستثناء جملي الإثبات والأمر وبعض جمل الإفصاح — تعتمد على الأداة^(١) لكونها إحدى القرائن الهامة في التركيب اللغوي، ولأنها تقوم بتلخيص العلاقة بين أجزاء ذلك التركيب.

وإذا كان التعليق وظيفة أساسية ومشاركة بين جميع الأدوات، فإن كل أداة تختص بوظيفة إضافية بعده "فالأدوات جميعها تدل على معنى وظيفي عام هو التعليق، ثم يكون لكل طائفة منها وظيفة خاصة بها كالاستفهام والشرط..."^(٢) لأن إضافة الأداة إلى التركيب اللغوي الأساسي إنما تكون لتأدية وظيفة مخصوصة، بعد تلك الوظيفة العامة طبعاً.

وليست وظيفة الأداة الخاصة سوى المعنى العام الذي تفيد به الجملة ككل، وهو معنى نحوي يتناول التركيب الكلامي متكاملًا، وليس الأجزاء التحليلية فيه. ومنه سميت تلك الأدوات باسم الوظائف الخاصة التي تؤديها "وهنا يتضح تشابك العلاقة بين الأداة وبين جملتها بحيث تسري التسمية الواحدة على الأداة والجملة معاً."^(٣) كأن نقول أداة استفهام، وجملة استفهام. وبالتالي تكون وظيفة الأداة هي معنى الجملة ككل.

(١) : ينظر اللغة العربية معناها و مبناها، تمام حسان، ص .

(٢) : أقسام الكلام العربي، السياقي، ص .

(٣) : المرجع نفسه، ص .

لا تتضح هذه الوظائف الخاصة التي تؤديها الأدوات إلا من خلال النظر إلى السياق الواردة فيه بكل ما يشمله من ظروف، وملابس لغوية وغير لغوية. فوظيفة الأداة تكمن في استعمالها، وتظهر من خلال تركيبها، وتآلفها مع مجموعة من العناصر اللغوية، لذلك هي في افتقار متأصل إلى السياق، وحاجتها ماسة إليه؛ إذ لا تعمل شيئاً بدونه.

فهو الذي يعمل على تحديد وإظهار وظيفتها، كما يعمل على التفريق والتمييز بين مجموعة من الوظائف التي يمكن أن تؤديها الأداة الواحدة، ومنه كانت دراسة الأداة في نص متكامل ذات نتائج أكثر دقة.

ثانياً: الحرف بين المعنى والوظيفة:

كثيراً ما يلتبس مفهوم المعنى بمفهوم الوظيفة، ولا يميّز كثير من الدارسين بين هذين المصطلحين؛ إذ غالباً ما يستعملان كمترادفين، رغم أنهما ليسا كذلك. ونظراً لهذا اللبس الكائن بينهما سنحاول أن نفصل بينهما، ونحدّد أيهما أقرب وأوّل في دراستنا للحروف، وهل نقول معنى الحرف؟، أم نقول وظيفة الحرف؟.

1 — المعنى:

يمثل المعنى نقطة أساسية من أهم نقاط البحث اللغوي القديم والحديث — على حدّ سواء — نظراً إلى أهميته البالغة بالنسبة للغة، التي لا يمكن فهم حقيقتها إلّا من خلال فهم مختلف معانيها. وقد شاع في الاصطلاح أن المعنى هو مقابل اللفظ في اللغة، وهو ذاك التصور الذهني الذي وضع اللفظ للتعبير عنه فـ "المعاني هي الصور الذهنية من حيث أنه وضع بإزائها الألفاظ. والصورة الحاصلة في العقل من حيث أنها تقصد باللفظ سمّيت معنى." (١) فالمعنى هو ما يختزن في الذهن عن اللفظ، بمجرد نطقه ترتسم لنا تلك الصورة الذهنية الكامنة والمختزنة في الذهن عنه، والتي وضع هو خصيصاً للتعبير عنها.

مكانة الحرف في مختلف نظريات المعنى:

قام العلماء بمحاولات كثيرة لدراسة المعنى، وسلّكوا مناهج مختلفة في ذلك، فصاغوا نظريات متعددة — متفاوتة الدقة — كان بينها من الاختلاف ما أدى إلى اختلاف

(١): التعريفات، الشريف الجرجاني، مكتبة لبنان، دط، ، لبنان، ص / .

وجهات النظر إلى المعنى، وتعدد تعريفاته ومفاهيمه^(١). سنتناول بعض هذه النظريات بإيجاز، ونحاول معرفة ما إذا كان للحرف معنى حسبها وبالتالي هل يمكننا دراسته انطلاقاً منها، أو على الأقل من واحدة منها. ومن أبرز هذه النظريات ما يلي^(٢):

أ — النظرية الإشارية:

يرى أصحابها أن معنى الكلمة هو ما تشير إليه في الواقع، وليس بالضرورة أن يكون المشار إليه شيئاً محسوساً (كتاب، رجل...)؛ فقد يكون كيفية أو لونا أو حدثاً أو فكرة تجريدية^(٣) (شجاعة، إخلاص...).

لا يمكن أن يكون للحرف أي معنى وفق ما تذهب إليه هذه النظرية، فالكلمات ذوات المعاني عندها هي الكلمات التي لها وجود فعلي في العالم الخارجي، ولا تتحلى الحروف بهذه الصفة، فهي جميعاً ليس لها مشار إليه، ورغم أنها تؤدي معنى يفهمه كل من المتكلم والسامع، إلا أنه لا يمكننا أن نتعرف عليها باعتبارها أشياء موجودة في العالم المادي. وعليه فإنه ليس للحرف معنى حسب هذه النظرية لأنه لا يشير إلى شيء موجود في العالم الخارجي.

(١) : جمع ريتشاردز وأوجدن في كتابهما معنى المعنى ما لا يقل عن اثنين وعشرين (٢) تعريفاً للمعنى تعكس مجموعة من الاتجاهات الفلسفية والنفسية والأدبية... ينظر دور الكلمة في اللغة، ستيفن أولمان، تر وتق: كمال محمد بشر، مكتبة الشباب، دط، دت، مصر، ص .

(٣) : ينظر: علم الدلالة، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، ط ، القاهرة، ص إلى . والنحو والدلالة، محمد حماسة عبد اللطيف، دار الشروق، ط ، القاهرة، ص . وينظر أيضاً المعنى اللغوي، محمد حسن حسن جيل، مكتبة الآداب، ط ، القاهرة، ص إلى .

(٤) : ينظر: علم الدلالة، أحمد مختار عمر، ص .

ب — النظرية التصورية:

تركز على الأفكار، والتصورات الموجودة في عقول المتكلمين، والسامعين في تحديد المعنى. فمعنى الكلمة عند أصحابها هو الصورة الذهنية التي يفكر فيها المتكلم، والتي تستدعيها الكلمة في ذهن السامع. وعليه فإن ما تذهب إليه لا ينطبق على حروف المعاني، فكيف يكون ذلك وهي غير قابلة للتصور أساسا، وليس تصورهما العقلي سوى تلك الحروف المكونة لها ككلمة مستقلة (حروف المباني)، أي ذاك الشكل الكتابي.

ج — النظرية السياقية:

رائدها اللغوي البريطاني فيرث (Firth)*، ومعنى الكلمة عند أصحابها "هو استعمالها في اللغة، أو الطريقة التي تستعمل بها، أو الدور الذي تؤديه ولهذا يصرح فيرث بأن المعنى لا ينكشف إلا من خلال تسييق الوحدة اللغوية، أي وضعها في سياقات مختلفة." (١) فمعنى الكلمة عندهم لا يتحدد إلا من خلال الاستعمال، وهو يتعدد بتعدد السياقات** التي ترد فيها الكلمة؛ ذلك لأن "الكلمة تحمل معنى غامضا لدرجة ما، ولكن المعنى يتكشف فقط عن طريق ملاحظة استعماله، الاستعمال يأتي أولا، وحينئذ

* جون فيرث () - (): لغوي بريطاني رائد المدرسة السياقية، أول من جعل اللسانيات دراسة علمية معترفا بها في بريطانيا، درس اللغة باعتبارها نشاطا معنويا في سياق اجتماعي ما، وجزءا من المسار الاجتماعي، أو شكلا من أشكال الحياة. () : علم الدلالة، أحمد مختار عمر، ص .

** السياق: كل ماله صلة باستعمال الكلمة من علاقات لغوية (صوتية، صرفية، تركيبية)، وظروف اجتماعية وثقافية ونفسية... وغيرها، وقد قسمه بعضهم إلى أربعة أنواع: سياق لغوي، عاطفي، سياق الموقف، وسياق ثقافي. ينظر المرجع نفسه، ص إلى ص . وينظر المدارس اللسانية (أعلامها، مبادئها، ومناهج تحليلها للأداء التواصلية)، أحمد عزوز، دار الأديب، دط، الجزائر، ص .

يتقطر المعنى منه." (١) وطالما يأتي الاستعمال في المرتبة الأولى فإن دراسة معاني الكلمات تتطلب تحليلاً لمختلف السياقات والمواقف التي ترد فيها سواء أكانت لغوية أم غير لغوية.

يرى "فيرث Firth" أن المعنى كلّ مركب من مجموعة من الوظائف اللغوية من أهمها الوظيفة الصوتية، الوظيفة المورفولوجية، ثم الوظيفة النحوية، والقاموسية، والوظيفة الدلالية لسياق الحال، ولكل واحدة من هذه الوظائف منهج يجب مراعاته عند دراستها.

وليست التحليلات اللغوية على هذه المستويات، أو النتائج المتوصل إليها من خلال دراسة وظيفة كل منها هي المعنى؛ لأن الوصول إلى المعنى يتطلب الربط بين مختلف النتائج المتوصل إليها من تلك التحليلات الوظيفية، ربطاً يدخل في اعتباره جميع عناصر سياق الحال (٢)، مع ربطها بالموقف الواردة فيه. ولذلك فإن دراسة المعنى يجب أن تستوفي جميع الظروف والملابسات المحيطة به، اللغوية منها وغير اللغوية.

بناءً على ماسبق، ونظراً لما تركّز عليه هذه النظرية من الاستعمال، ولما تعطيه من اهتمام للسياق، نجد أنه يمكننا الاعتماد عليها، وعلى مختلف مبادئها في دراسة الحروف؛ فهي تعتبر المعنى ذاك الدور، أو تلك الوظيفة التي يؤديها العنصر اللغوي من خلال الاستعمال؛ حيث تركّز على الجانب الوظيفي فيه. وهذا هو الأساس الذي تقوم عليه الحروف؛ إذ لا يمكن الوصول إلى معناها، أو التعرف عليه إلا من خلال توظيفها في سياق معين. فرغم أنها لا تدل على معناها في ذاتها، إلا أنها — ومن خلال الاستعمال —

(١): المرجع نفسه، ص .

(٢): ينظر: علم اللغة (مقدمة للقارئ العربي)، محمود السعران، دار النهضة العربية، دط، دت، بيروت، ص .

تكسب التركيب الواردة فيه معنى جديداً، لم يكن معروفاً أو موجوداً قبل دخول الحرف عليه.

ما نلاحظه من خلال دراستنا الموجزة لبعض نظريات المعنى* هو أن النظريتين الأوليتين (الإشارية والتصورية) تركزان على نوع معين من المعاني، وهو ما يسمى بالمعنى المعجمي، لذلك انتقدهما بعضهم لعدم تقديمهما مفهوماً عاماً للمعنى، ولاقتصارهما على طائفة معينة فقط من الكلمات (سواء التي تشير إلى شيء موجود في العالم المادي، أم التي لها صورة مخزنة في الذهن)، وعدم احتوائها بذلك للحروف.

وهو الأمر الذي حاولت النظرية السياقية تداركه، بحيث لم تركز على مثل تلك المعاني — التي لا تتميز بها كل مفردات اللغة — بل ركزت على الاستعمال، وعلى الوظيفة المؤداة من خلاله، واعتبرت تلك الوظيفة هي ما يسميه بعضهم المعنى، لذلك تمكنت هذه النظرية — على عكس سابقتها — من استيعاب جميع مفردات اللغة سواء منها التي لها معنى معجمياً أو التي ليس لها كحروف المعاني التي هي موضوع بحثنا.

إذا كانت حروف المعاني لا تخضع لمعظم نظريات المعنى، فما هي حالها مع وظائف اللغة؟ وهل تخضع لجميعها؟ وما المقصود بالوظيفة قبل كل ذلك؟

* اكتفينا بذكر تلك النظريات الثلاث لأنها الأبرز والأهم من بين النظريات الأخرى، ولأنها هي التي ترتبط أكثر بموضوع بحثنا. أمّا النظريات المتبقية فهي: النظرية السلوكية، نظرية الحقول الدلالية، والنظرية التحليلية.

2 — الوظيفة (La fonction):

مفهومها:

ورد في معجم مقاييس اللغة أن: "الواو والطاء والفاء كلمة تدلّ على تقدير شيء، يقال: وظفت له إذا قدرت له كلّ حين شيء من رزق أو طعام." ()

وغير بعيد عن هذا عرفها ابن منظور (ت هـ) قائلاً: "الوظيفة من كلّ شيء ما يقدر له في كلّ يوم من رزق أو طعام، أو علف أو شراب، وجمعها الوظائف والوظف، ووظف الشيء على نفسه ووظفه توظيفاً ألزمها إيّاه." ()

يتفق تعريف كلّ من ابن فارس (ت هـ)، وابن منظور (ت هـ) للوظيفة؛ فهي عندهما عبارة عن تقدير معلوم، يُدفع لمستحقه، دون أن يذكر مقابله هذا القدر، وكأنها عطاء مقدر على الدافع دون أن يأخذ مقابلاً لها من القابض. والأصل في ذاك العطاء حسب التعريفين أن يكون منتظماً.

أمّا من الناحية الاصطلاحية، فقد تدرّج مفهوم الوظيفة انطلاقاً من تعريفها اللغوي، وانفعل بشكل واسع مع معطيات الحياة من جعلٍ وعطاءٍ، إلى أن أضحت عبارة عن فكرة فلسفية، ذات شأن كبير، تبنتها بعض المدارس اللغوية ذات المناهج المعتمدة، والتي من

() : معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، تح: عبد السلام هارون، دار الفكر، دط، القاهرة، ج ، ص .

() : لسان العرب، ابن منظور، ج ، ص .

أشهرها وأبرزها مدرسة براغ*. فأصبح بذلك الحديث عن هذا المصطلح حاضرا بقوة في الدراسات الحديثة^(١)، ولا يخلو منه أيّ نتاج لغوي.

فالوظيفة إذاً مصطلح ألسني حديث، اختلفت وجهات الدارسين في تحديد مفهومه، كل وحسب خلفياته التي انطلق منها. فهناك من يقصد بها موقع الكلمة من الجملة، وهناك من يرى أنها المقابل للشكل (أي المعنى)، وهناك من قال إنها علاقة ... وقد وجدوا في تحديد مفهومها صعوبة أكبر بكثير من تحديد مفهوم الشكل، لأنها — حسبهم — لم توجد لذاتها بل لأشكال معينة، لذلك لا يمكن تحديدها إلا في ارتباطها بالشكل؛ ومن ثمة هم يؤكّدون دائماً على تبعية الوظيفة للشكل.

استعمل البراغيون** مصطلح الوظيفة واشتهروا به لدرجة أنهم عرفوا باسم الوظيفيين، فقد ركزوا كثيراً في دراساتهم على وظائف الأصوات، وكانوا يسعون دائماً إلى الكشف عمّا إذا كانت كلّ القطع الصوتية التي يحويها النص اللغوي تؤدي وظيفة في التبليغ أم لا^(٢)؛ أي أنهم كانوا يبحثون عن القطع التي تلعب دوراً هاماً في التمييز بين المعاني.

* مدرسة أو حلقة براغ: هي واحدة من أبرز المدارس الكلاسيكية في علم اللغة البنوي التي قامت في القرن العشرين مستندة بقوة على أفكار دو سوسور ونظريته اللغوية، وبالخصوص في مجال التأكيد على وظيفة التواصل التي تؤديها اللغة. من أشهر وأبرز علمائها: تروبت سكوي، رومان جاكسون، وأندريه مارتينييه.

(١): ينظر الوظائف الصوتية والدلالية للصوائت العربية العربية (أطروحة دكتوراه)، مكّي درار، جامعة وهران، ص / .

** البراغيون: هم أعلام ورواد مدرسة براغ، وقد عرفوا بهذا الاسم نسبة إلى المدرسة التي ينتمون إليها.

(٢): ينظر مبادئ في اللسانيات، حولة طالب الابراهيمي، دار القصة، ط ، الجزائر، ص .

ومن ثمة كانت وظيفة العنصر اللغوي عندهم هي قيمته واستعماله، وقولهم عنصر له وظيفة بمعنى له مهمة. وهم يعتمدون في ذلك ويؤكدون على عنصر الملاءمة "فلا يرد العنصر الصوتي إلا مع ما يلائمه من أصوات، ولا يرد العنصر اللغوي إلا مع ما يلائمه من عناصر لغوية أخرى." (١) وفي هذا تأكيد على عنصر الاستعمال لأنه لا يمكن الاعتماد أو الحديث عن الملاءمة إلا إذا ربطت بالاستعمال.

أما عند الغلوسيماتيين^(*)، حدد لويس يلمسلف (Louis Yhemslev)^{**} مفهوم الوظيفة بشكل مختلف عن مفهوم البراغيين، فهي عنده أقرب ما يكون لمفهوم العلاقة والتبعية؛ لأنها يمكن أن تحدّد التبعية بين طرفين، أو بين مجموعة من الأطراف، ولذلك قال: "التبعية التي تنفّذ شروط تحليل ما سوف نسميها وظيفة، ولذلك نقول إنه توجد وظيفة بين فئة وأجزائها، وبين الأجزاء بالتبادل. أمّا أطراف وظيفة ما فسوف نطلق عليها موظفات، ونفهم من الموظف أنه موضوع له وظيفة بالنسبة لموضوعات أخرى." (٢) والموظف هو العنصر اللغوي الذي يدخل في علاقة تبعية مع عناصر أخرى، ومن ثمة كانت الوظيفة عنده هي علاقة تبعية بين عنصرين لغويين على الأقل.

() : وظيفة الألسن، أندريه مارتينييه، تر: نادر سراج، دار المنتخب العربي، ط ، ، بيروت، ص .

* الغلوسيماتيون: نسبة إلى المدرسة الغلوسيمائية (مدرسة كوينهاغن) إحدى أشهر المدارس اللسانية التي ظهرت في أوروبا في مطلع القرن العشرين. أضفى هؤلاء الغلوسيماتيون صبغة علمية على دراساتهم اللغوية؛ فصاغوا عناصر اللغة في رموز جبرية، وتراكيبها في معادلات رياضية. كما كسوها بمصطلحات جديدة وغريبة.

** لويس يلمسلف (-) : من أبرز رواد المدرسة الغلوسيمائية، كان من الأوائل الذين اهتموا بالمنطق الرياضي

والمنهجية العلمية، إذ سعى إلى وضع نظرية لسانية كلية، من مؤلفاته: كتاب "مبادئ النحو العام"، وكتاب "اللغة".

() : تاريخ علم اللغة الحديث، جرهارد هلبش، تر: سعيد بحيري، مكتبة زهراء الشرق، ط ، ، القاهرة، ص .

يؤكد يلمسلف على "أنه يجب أن تصنف العناصر اللغوية على أساس وظيفتها فقط (Fonction) وليس على أساس معناها الدلالي (Signification)، وأن يشترط المعنى الوظيفة."^(١) فهو بهذا يفصل ما بين المعنى وبين الوظيفة. ومع أنه لا ينفي عنصر المعنى، إلا أنه يركز على الوظيفة باعتبارها مجموعة من العلاقات القائمة بين العناصر اللغوية.

رغم أن الوظيفة شاعت بشكل كبير عند هاتين المدرستين وبالخصوص عند مدرسة براغ؛ إلا أننا نجد أعلام المدارس الأخرى يشيرون إلى هذا المصطلح، ويعرفونه تعريفات تتماشى وفق آرائهم وميولاتهم الفكرية.

فليونارد بلومفيلد (Leonard Bloomfield)* يربط الوظيفة بالموقع التركيبي، ويرى أنها الموقع الذي يحتله العنصر اللغوي في التركيب "فالمواقع التي يمكن أن تظهر فيها الكلمة هي وظائفها... وكل الأشكال التي تظهر في الموقع ذاته تشكل قسما شكليا؛ إذ إن مزايا الوقوع هذه تخلق... الوظيفة النحوية."^(٢) فهو يحصرها في المستوى النحوي، والعناصر التي تحتل الموقع ذاته تؤدي الوظيفة ذاتها بغض النظر عن معانيها؛ لأن الوظيفة عنده ليست هي المعنى — كما يزعم بعضهم — ولا ترتبط به، وإنما هي أكثر ارتباطا بالجانب الشكلي.

(١): المرجع السابق، ص .

* ليونارد بلومفيلد (-) : رائد المذهب السلوكي كان يؤمن بالمنهج التجريبي في البحث اللساني، ويرى أن قواعد

اللغة وصفية وليست معيارية من مؤلفاته: كتاب "اللغة والتفكير le language et la pensée".

(٢): تاريخ علم اللغة الحديث، جرهارد هلبش، ص .

بخلاف بلومفيلد الذي يربط الوظيفة بالبنية السطحية يذهب نوام تشومسكي (Noam Chomsky)* زعيم المدرسة التحويلية التوليدية إلى ربطها بالبنية العميقة. فهي عنده عبارة عن علاقات قائمة بين عناصر البنية العميقة التي يمكن تفسيرها تفسيراً دلالياً^(١). أي أنها أقرب ما يكون إلى المعنى منها إلى الشكل.

نلاحظ من خلال هذه التعاريف اختلاف وجهات نظر العلماء حول تحديد مفهوم الوظيفة وتباينها. فكلّ وحسب ميولاته الفكرية، وحسب المدرسة أو الاتجاه الذي ينتمي إليه. وهو ما يعكس صعوبة تحديد مفهوم هذا المصطلح؛ إذ على الدارس ألاّ يتناول مفهوم الوظيفة بشكل عام، وإنما عليه بداية أن يبين وفق أي مدرسة سيتناوله، حتى لا يقع في الخلط بين المناهج أو المدارس.

ولأنّ مدرسة براغ هي أولى المدارس التي تبنت هذا المصطلح وركزت عليه أكثر من غيرها، وبنت عليه جميع أسس دراساتها اللغوية فإننا نميل إليها أكثر، ونسعى إلى تبني منهجها في هذا البحث؛ نظراً لارتباط مفهوم الوظيفة المباشر عندها بالاستعمال، ولاشتماله على جميع العناصر اللغوية انطلاقاً من أصغرها على الإطلاق (الفونيمات).

* نوام تشومسكي: لساني أمريكي ولد سنة ، تتلمذ على يد هاريس وتأثر بفكر ياكسون، سعى إلى إقامة نظرية عامة للغة باعتبار أنها تصدر عن العقل، بنى نظريته التحويلية التوليدية على أساس معرفة كيف تنتج اللغة جملاً لا حد لها انطلاقاً من عناصر لغوية محدودة، من مؤلفاته: كتاب "البنى التركيبية"، و "مظاهر النظرية التركيبية".
() : ينظر تاريخ علم اللغة الحديث، جرهارد هلبش، ص .

وبناءً على ذلك، فإن أبسط وأشمل تعريف يمكن ارتضاؤه للوظيفة هو اعتبارها "الدور التعبيري الذي يقوم به العنصر اللغوي في البنية النحوية سواء أكان فونيمًا، أو مورفيمًا، أم كلمة، أم جملة." (١) أي أن وظيفة العنصر اللغوي تكمن في الدور الذي يؤديه، وهي تختلف باختلاف ذلك العنصر. فوظيفة الفونيم مثلاً تختلف عن وظيفة المورفيم. كما أن وظيفة العنصر الواحد تختلف باختلاف استعماله في مواضع مختلفة.

وظائف اللغة:

كثيراً ما تحدث العلماء والدارسون عن تلك الوظائف التي يمكن أن تؤديها اللغة وغالباً ما نجدها تنقسم إلى قسمين:

فأما القسم الأول منها فيرتبط بالسياق اللغوي ارتباطاً تاماً ومباشراً؛ بحيث لا يمكن تحديد، أو فهم وظيفة عنصر لغوي ما، إلا من خلال معرفة ودراسة ما يسبقه، وما يليه من عناصر أخرى مجاورة له، فهي وظائف بنوية ترتبط بالبنية اللغوية للعنصر المدروس ولا تتجاوزها، لذلك اقترنت بمختلف مستويات اللغة، وسميت بها فكانت انطلاقاً من ذلك: الوظيفة الصوتية، الوظيفة الصرفية، الوظيفة النحوية، والوظيفة الدلالية. فهي مجموعة من الوظائف الفرعية الخاصة بالعناصر اللغوية الجزئية؛ أي الخاصة بأجزاء الجمل وليس بالجمل ككل.

(١): المدارس اللسانية، أحمد عزوز، ص .

1 — الوظيفة الصوتية (الفونولوجية):

هي التي ركزت عليها مدرسة براغ بصفة خاصة في بدايات تأسيسها، تسمى الوظيفة الصغرى كذلك لأنها ترتبط بالفونيمات؛ التي هي أصغر الوحدات اللغوية القادرة على تمييز المعنى، رغم أنها لا تحمل معنى في ذاتها، ومرجع ذلك طبعا هو وظيفتها. فقد يتغير معنى كلمة أو جملة بأكملها بمجرد تغيير أحد فونيماتها. فمثلا يتغير معنى كلمة "طاب" بمجرد تغيير الفونيم الأول منها فنقول مثلا "ناب" إذ لكل من الصوتين مميزات ووظائف خاصة به تجعله قابلا لأن يكون مقابلا استبداليا لمجموعة من الأصوات الأخرى^() في كلمات مثل "تاب، هاب، جاب، راب، خاب، غاب...).

ويمكن تطبيق هذه الوظيفة على جميع مفردات اللغة، لأنها كلها مكونة من أصوات. بما في ذلك الحروف. ونعتقد أنها تعطينا نتائج مهمة لأن الأصوات هي اللبنات الأولى التي تقوم عليها مختلف الدراسات اللغوية.

2 — الوظيفة الصرفية (المورفولوجية):

ترتبط هذه الوظيفة بالمورفيمات، أي بالوحدات الصرفية القادرة على تمييز المعاني. فكلمة "يلعبون" تختلف وظيفتها الصرفية عن كلمة "يلعبان"، نظرا لارتباط الجذر بلاصقتين مختلفتين، لكل واحدة منهما وظيفتها الصرفية الخاصة بها. فلاصقة الواو والنون في المثال الأول تدل على الجمع، ولاصقة الألف والنون في المثال الثاني تدل على التثنية

() : ينظر اللغة العربية معناها و مبناها، تمام حسان، ص / .

ولا يتعلق الأمر بالزوائد أو اللواصق فحسب، وإنما يتعلق بالصيغ الصرفية ككل. والتي تتميز كل واحدة منها بوظيفة خاصة، وذلك كدلالة صيغة "فاعل" على من قام بالفعل.

لا تتمتع جميع مفردات اللغة بهذه الوظيفة بل تقتصر على مجموعة منها فقط هي الأسماء والأفعال والصفات. وليس لحروف المعاني أي وظيفة صرفية يمكن أن نعرض لها نظراً لأنها لا تتمتع بأي صيغ صرفية.

3 — الوظيفة النحوية:

هي الموقع الذي يحتله العنصر اللغوي في الجملة - حسب الترتيب النحوي - والدور الذي يؤديه في التركيب. كأن يكون فاعلاً، أو مفعولاً، أو مضافاً، أو مبتدأ... وتتحدد هذه الوظائف النحوية عن طريق جملة من القرائن كالعلامة الإعرابية والرتبة وغيرها.

ولمعرفة الوظيفة النحوية لكلمة ما يجب أن ندرس صلتها بباقي الوحدات، وما ينتج عن ذلك من تأثير في طبيعة التركيب. لأن الكلمات تختلف وظائفها النحوية باختلاف السياق الواردة فيه. ففي الأمثلة التالية: نجح محمد، أكرمت محمدًا، التقيت بمحمد. وردت كلمة محمد مرة فاعلاً، وأخرى مفعولاً، وثالثة مضافاً. وكل هذه الوظائف حددها السياق الواردة فيه، والقرائن التابعة له من رتبة وعلامة إعرابية.

فما نلاحظه هو أن الوظائف النحوية وظائف متعلقة بالمحل الإعرابي للكلمات، فالكلمات التي لها وظيفة نحوية هي التي لها محل من الإعراب^(١). أمّا الكلمات التي لا محل

(١) : ينظر: العربية والوظائف النحوية (دراسة في اتساع النظام و الأساليب)، ممدوح عبد الرحمن الرمالي، دار المعرفة الجامعية،

لها من الإعراب فهي كلمات لا وظيفة نحوية لها مثل: حروف المعاني.

سمى بعضهم هذا النوع بالوظائف النحوية الخاصة، في مقابل الوظائف النحوية العامة التي تستفاد من الجمل والأساليب بشكل عام، والتي تتمثل في دلالتها على الخبر والإنشاء، الإثبات، النفي، التأكيد، والطلب بأنواعه (كالاستفهام، الأمر، التّهي، العرض، التحضيض، التّمني، الترجي، والنداء) ^(١). وتتجلى هذه الوظائف في غالب الأحيان عن طريق استخدام الحروف، أو الأدوات النحوية التي تحمل وظيفة الجملة، أو الأسلوب الواردة فيه، هذا باستثناء تلك الجمل التي لا تحتاج بطبيعتها إلى الأداة لتؤدي وظيفة نحوية. فالقارئ المصاحبة لتلك الجملة هي التي تخول لنا معرفة وظيفتها. كالتنغيم مثلاً الذي ينوب أحياناً عن حرف الاستفهام.

4 — الوظيفة المعجمية:

هي وظيفة الجذور اللغوية مستقلة في الأصل عما يمكن أن توحيه الأصوات المكونة لها أو صيغها الصرفية ^(٢). فهي الوظيفة الأصل والأساس التي تؤديها مفردات اللغة، ثم تأتي الوظائف الأخرى تابعة ومكملة لها.

5 — الوظيفة الدلالية:

تعرف بأنها "وظيفة المنطوق بأكمله في سياق الموقف" ^(٣)، فهي وظيفة شاملة ترتبط

(١): ينظر أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة، فاضل مصطفى السياقي، ص / .

(٢): ينظر دلالة الألفاظ، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، ط ، ، مصر، ص .

(٣): تاريخ علم اللغة الحديث، جرهارد هلبش، ص .

بالوظائف السابقة لها من جهة، وبالموقف المصاحب لها، أو الواردة فيه من جهة أخرى.

إذا كانت الوظائف السابقة ووظائف بنوية، تتعلق كل واحدة منها بمستوى معين من مستويات اللغة، ولا تخرج عن إطاره — رغم أنها تسعى كلها إلى تحقيق بعد تواصلية — فإن العلماء قد رصدوا للغة ووظائف أخرى ذات أهمية بالغة لا تنفي سابقاتها، وإنما تقوم عليها، ثم تتجاوزها إلى عناصر أخرى أوسع وأرحب مجالاً منها، فتركز بالخصوص على أطراف العملية الكلامية والعناصر المشاركة فيها.

6- الوظيفة التواصلية:

يكاد يجمع العلماء — على اختلاف مشاربهم — على أن أبرز وأهم وظيفة تؤديها اللغة هي الوظيفة التواصلية (La fonction communicative) نظراً لأن الهدف الأصل من استعمال اللغة هو إقامة التواصل، بينما تعتبر الأهداف الأخرى أهدافاً ثانوية^(١)، أو مشتقة من الهدف الأصل.

ورغم أن أنظمة التواصل كثيرة متنوعة، ترمي جميعها إلى نقل الأفكار والمعلومات بين الأشخاص "إلا أن اللغة تبقى الوسيلة الوحيدة القادرة على إبلاغ الفكرة من المتحدث إلى السامع بسهولة ويسر، وبسرعة فائقة؛ لأن اللغة هي أقدر الوسائل على التبليغ والتوصيل."^(٢) فهي وسيلة إنسانية خالصة لتوصيل الأفكار، وللتعبير عن الأحاسيس

(١): تاريخ علم اللغة الحديث، جرهارد هلبش، ص .

(٢): ينظر اللسانيات الوظيفية (مدخل نظري)، أحمد المتوكل، دار الكتاب الجديدة المتحدة، ط ، ، بيروت، ص .

(٣): علم اللغة، حاتم صالح الضامن، بيت الحكمة، دط، دت، بغداد، ص

والانفعالات والرغبات، وأداة لا غنى عنها في حياة الإنسان، بخلاف أنظمة التواصل الأخرى التي لا يؤثر غيابها على سيرورة الحياة.

فإذا قلنا إن الوظيفة التواصلية هي الأصل في وظائف اللغة كلها، فما هو التواصل يا ترى؟

مفهوم التواصل:

التواصل اسم مشتق من الجذر (و.ص.ل) يقال "وصلت الشيء وَصَلَةً وَصِلَةً. والوصل ضد الهجران ... ووصل الشيء إلى الشيء وصولاً وتوصل إليه: انتهى إليه وبلغه ... ووصله إليه وأوصله: أنهاه إليه وأبلغه إيّاه." (١) ومنه لا يمكن أن يكون التواصل في اللغة إلا بين طرفين فأكثر.

أما من الناحية الاصطلاحية، فالتواصل مفهوم واسع يشمل مختلف مجالات الفعالية الإنسانية (اجتماعية، سياسية، ثقافية...)، مما جعله محل مقارنة العديد من الحقول المعرفية كاللسانيات، علم النفس، علم الاجتماع... ولذلك تعددت تعريفاته، وتنوعت بتنوع هذه الحقول والمجالات.

فهو عند اللسانيين الاشتراك في عملية تبادل الرموز، وانتقال المعلومات بين الأشخاص، وتبليغ الأفكار، بهدف تحقيق التفاهم والتفاعل بينهم. وتقوم معظم تعريفاتهم له على ثلاثة دعائم أساسية هي كالآتي:

(١): لسان العرب، ابن منظور، ج ١، ص ١٠٠.

1 – الاشتراك: باعتباره "سلوك يهدف إلى التأثير في الغير، في إطار قواعد اجتماعية من طرف وضعية الشريك وخصوصياته، فهو يكتسي تعاقدًا ضمنيًا، وتشاركًا بين الفاعلين الأساسيين." ^(١) فلكي يتحقق التواصل لابد أن يشترك الطرفان في مجموعة من الأمور.

2 – التبادل: فهو عملية لتبادل الأفكار، والآراء، والمعلومات بين الأطراف المشاركة في العملية التواصلية، وتشتمل على استخدام الرموز وتحليلها وبثّها.

3 – التفاعل: باعتباره "نوع من التفاعل الهادف إلى خلق تفاهم بين مجموعة الذوات داخل مجال عمومي...". ^(٢) فلا يمكن أن يتحقق التواصل إذا لم يفهم الأشخاص بعضهم أو لم يتفاعلوا مع بعضهم.

وبناء على ذلك يمكن اعتبار الوظيفة التواصلية الوظيفة الأساس التي تؤديها اللغة. فرغم أن تشومسكي هو الوحيد تقريبًا الذي حاول الرد على أصحاب هذا الاتجاه، بزعمه أن وظيفة اللغة الأصلية ليست بالضرورة الوظيفة التواصلية، وأنها (اللغة) قد تكون مجرد التعبير عن فكرة ما؛ إلا أن جمهور المتحدثين عن وظيفة اللغة (لسانيين وغيرهم) يُجمع ويؤكد على أن دور اللغات في المجتمعات البشرية هو بالأساس تمكين مستعمليها من التواصل فيما بينهم ^(٣). باعتبارها أداة لا غنى عنها في التعامل والتفاهم بين الأفراد؛ إذ تكون للتعبير عن الحقائق، وتوصيل الأفكار، ونقلها بين الأشخاص، مع مراعاة أحوال

(١): التواصل (نظريات ومقاربات)، مجموعة باحثين، تر: عز الدين الخطابي وزهور حوتي، تق: عبد الكريم غريب، منشورات

عالم التربية، ط ، ، المغرب، ص .

(٢): المرجع نفسه، ص .

(٣): ينظر التركيبات الوظيفية (قضايا ومقاربات)، أحمد المتوكل، دار الأمان، ط ، ، الرباط، ص / .

جميع العناصر المشاركة في العملية التواصلية، من باث ومتلق وغيره، مما يسميه بعضهم بعناصر السياق الخارجي.

ولا تتحقق الوظيفة التواصلية للكلمة، إلا من خلال وجودها في سياق معين. لأن لغة الإنسان تتشكل من مجموعة من الدوال (الكلمات)، تعمل ضمن نظام معين "ولا يستطيع الدال أن يقوم بمهمة الاتصال إلا إذا وجد ضمن مجموعة أخرى من الدوال تمنحه وظيفة اتصالية ما." ^(١) بمعنى أننا عندما نبحث عن الوظيفة التواصلية للفظ ما لا نبحث عنها في الألفاظ وهي مفردة، وإنما نبحث عنها من خلال تضام الألفاظ بعضها إلى بعض، وفي مختلف السياقات؛ حيث نتمكن من معرفة ما يترتب عن ذلك من فوائد.

وهو ما أكد عليه مختلف الوظيفيين (البراغيين وغيرهم)، من بينهم رومان ياكبسون (Roman Jacobson)* الذي صاغ مخططاً سداسياً حصر فيه وظائف اللغة، وأكد من خلاله أن الوظيفة الأساس للغة هي التواصل، لذلك لا يمكن وصف الأجزاء المفردة فيها دون مراعاة، أو اعتبار وظائف تلك الأجزاء؛ إذ لكل واحد منها وظيفة معينة، لا تظهر إلا من خلال تضامه وتآلفه مع أجزاء أخرى ملائمة له. فاللغة عندهم مثل الآلة

() : التراكيب النحوية وسياقاتها المختلفة عند الإمام عبد القاهر الجرجاني، صالح بلعيد، ديوان المطبوعات الجامعية، دط، الجزائر، ص / .

* رومان ياكبسون (-) : لساني مشهور وأحد أعلام المدرسة الوظيفية اهتم بالأدب العالمية، شارك في تأسيس حلقة موسكو اللسانية ولعب دوراً مهماً في تأسيس مدرسة الشكلايين الروس، ثم في تأسيس حلقة براغ وكان نائباً لرئيسها وأحد الناطقين الأساسيين باسمها وركز على دراسة وظائف اللغة واهتم بالتواصل اللغوي من مؤلفاته: قضايا الشعرية، مقالات في اللسانيات العامة، ست محاضرات في الصوت والمعنى.

ومثل جسم الإنسان^(١) لها وظيفة معينة، وتتكون من مجموعة من الأجزاء الفرعية لكل واحد منها وظيفة خاصة يؤديها، وترتبط بوظيفة غيره من الأجزاء، لتؤدي جميعها تلك الوظيفة الأساس للغة المتمثلة في التبليغ والتواصل. ولا يمكن فهم وظيفة الجزء إذا كان مفردا أو مستقلا عن بقية الأجزاء ووظائفها؛ لأنها تقوم على تنسيق الوظائف في نطاق النظام اللغوي، لذلك لا تظهر وظائف الأجزاء ولا تتحقق إلا وهي متناسقة ومتكافئة في إطار اللغة العام.

حدد ياكبسون في بادئ الأمر العناصر المكونة لكل سيرورة لسانية، ولكل فعل تواصل لفظي، ورأى أنها ستة عناصر ومثل لها بالمخطط التالي^(٢):

سياق

مرسل _____ رسالة _____ مرسل إليه

اتصال

سنن

مخطط عوامل التواصل اللغوي.

(١) : ينظر تاريخ علم اللغة الحديث، جرهارد هلبش، ص ١٠ ، واللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، ص ١٠ / .

(٢) : ينظر قضايا الشعرية، رومان ياكبسون، تر: محمد الولي ومبارك حنون، دار توبقال، ط ١ ، المغرب، ص ١٠ .

— المرسل (Distinateur): هو المصدر الذي يركب الرسالة ويرسلها، وهو العامل الأساس والحيوي الذي تنبني عليه العملية التواصلية.

— المرسل إليه (Destinataire): هو مستقبل الرسالة الذي يقوم بتفكيك مختلف أجزائها.

— الرسالة (Message): هي مضمون وفحوى المعلومات، والأفكار المنقولة من المرسل إلى المرسل إليه.

— الاتصال أو القناة (Canal): هي الممر أو الوسيلة التي يعمرها المرسل لتوصيل وتبليغ رسالته. أي هي الجسر الرابط بين الطرفين.

— السنن (Code): هو اللغة المشتركة بين المرسل والمرسل إليه، فمنها ينطلق الأول لترميز رسالته، وعليها يعتمد الثاني في فك رموزها. ونجاح العملية التواصلية متعلق بهذا النظام المشترك، فإن انعدم عند أحدهما استحال التواصل بينهما.

— السياق (Contexte): هو الإطار العام الذي تنتج فيه الرسالة، وقد يكون لغويا أو غير لغوي.

يولد كل عامل من هاته العوامل وظيفة لسانية خاصة به، هي على التوالي⁽¹⁾:

1 — الوظيفة التعبيرية (La fonction expressive): تسمى أيضا الانفعالية

(Emotive)، تتعلق بالمرسل وتعبّر عن موقفه تجاه ما يتحدث عنه، فتهدف إلى تقديم

(1) : ينظر المرجع السابق، ص / / / / والنظرية الألسنية عند رومان جاكسون، فاطمة الطبال بركة، مجد

المؤسسة الجامعية، ط ، ، بيروت، ص / .

انطباع عن انفعال معين صادقا كان أم خادعا، وتظهر في التراكيب التي تحوي ضمير المتكلم، وكذلك صيغ التعجب ونحوها.

— الوظيفة الإفهامية (La fonction conative): يسميها بعضهم أيضا بالوظيفة التأثيرية، وهي تركز على المرسل إليه، وتتجلى بالخصوص في الجمل الندائية والأمرية.

— الوظيفة الشعرية (La fonction poétique): تركز على الرسالة ذاتها، توجد في كل أنواع الرسائل ولا تقتصر على الشعر. وتحقق وتبرز في الرسائل التي تكون معدة لذاتها كما في النصوص الفنية اللغوية.

— الوظيفة الانتباهية (La fonction phatique): تسمى وظيفة إقامة الاتصال، تركز دائما على قناة الاتصال، فالمرسل غالبا ما يسعى إلى إثارة انتباه المرسل إليه، وإبقاء الاتصال قائما معه، والحفاظ عليه من خلال استعمال بعض الألفاظ أو التراكيب البسيطة مثل: ألو، أتفهمني ...

— الوظيفة الميتالسانية (La fonction metalinguistique): أو وظيفة تعدي اللغة، هي وظيفة كلام اللغة عن اللغة نفسها، تظهر في الرسائل التي تكون فيها اللغة مادة للدراسة، فتعمل على وصفها، وذكر عناصرها، وتعريف مفرداتها.

— الوظيفة المرجعية (La fonction référentielle): تركز على المرجع، أو السياق المشترك بين طرفي التواصل، فتحدد العلاقة القائمة بين الرسالة، وبين الموضوع الذي ترجع أو تحيل إليه، وهي أكثر الوظائف أهمية في عملية التواصل، كما أنها الوظيفة الأساس في أغلب الرسائل اللغوية.

مثّل ياكبسون لهذه الوظائف بالمخطط التالي*:

مرجعية

انفعالية ————— شعرية ————— إفهامية

انتباهية

ميتالسانية

مخطط الوظائف اللغوية.^(١)

* تأثر ياكبسون في صياغة مخططة هذا ببعض العلماء الذين سبقوه، والذين عرضوا لهذه المسألة، وبالأخص منهم فردينان دي سوسير (Ferdinand de Saussure)، الذي تحدث عن التواصل اللساني وسماه الدائرة الكلامية (circuit de parole)، واشترط في إقامته وجود شخصين على الأقل يركب الشخص (أ) رسالة في ذهنه ثم يرسلها، فيستقبلها الشخص (ب) ويفك رموزها، ليقوم هو الآخر بتركيب رسالة جديدة ويرسلها إلى (أ). وكارل بوهلر (karl buhler) الذي قدم نموذجاً للتواصل سماه نموذج الأجهزة أو الأورجانون (organon modell)، حدد من خلاله عوامل التواصل ورأى أنها ثلاثة: المرسل، المرسل إليه، والمرجع أو الموضوع الذي يجري الحديث عنه، وربط كل عامل منها بوظيفة خاصة هي على التوالي: الوظيفة الانفعالية، الوظيفة الإفهامية، والوظيفة المرجعية. ينظر علم اللغة العام، فردينان دي سوسير، تر: يوثيل يوسف عزيز، دار آفاق عربية، دط، دت، بغداد، ص / . وقضايا الشعرية، رومان ياكبسون، ص . والتواصل اللساني والشعرية، الطاهر بومزير، منشورات الاختلاف، ط ، ، الجزائر، ص / / .

(١) : قضايا الشعرية، رومان ياكبسون، ص .

ليست تلك الوظائف إلا وظائف فرعية، الأصل فيها الوظيفة التواصلية؛ لذلك نلغيها
ترتبط جميعا بالعوامل التي يتحقق من خلالها التواصل، وتسعى جميعا إلى تحقيق هدف
واحد هو التواصل.

لذلك عندما نتحدث عن الوظيفة التواصلية للحروف يجب أن نتطرق بداية لما لها من
وظائف فرعية تتعلق بالمستويات اللغوية، ثم نحاول ربطها بمختلف التراكيب، والسياقات
بما تحويه من أبعاد ثقافية، اجتماعية، ونفسية... آخذين في الاعتبار جميع العناصر
المشاركة في العملية التواصلية، حتى نتمكن من التعرف على وظيفتها التواصلية، التي
تؤديها من خلال تألفها مع مجموعة من العناصر اللغوية الأخرى في تراكيب معينة،
معتمدين في ذلك على المنهج الوظيفي الذي ينظر إلى اللغة على أنها نظام متكامل، لا
يمكن الفصل بين عناصره، أو بين مستوياته، حتى تتمكن من الحفاظ على طابعها
التواصلية الذي تتميز به.

ولأننا نسعى إلى دراسة الوظيفة التواصلية لحروف التنبيه، فلا بد من الإشارة أولا إلى
أن حروف التنبيه متنوعة في اللغة العربية، يمكن تقسيمها في العموم إلى قسمين: أما
الأول منهما فهو الذي ذكره النحاة في باب التنبيه، وأما الثاني فهو الذي ذكره في باب
النداء. وهو ما أشار إليه المالقي (ت هـ) في إطار حديثه عن حروف التنبيه^(١)؛
بحيث ذكرها جميعا ثم استثنى منها مجموعة معينة قال إنها تسمى حروف نداء. وهو ما
سنتناوله في الفصلين اللاحقين من هذا البحث، ونبنى عليه تقسيمنا لهما.

(١): ينظر رصف المباني في شرح حروف المعاني، عبد النور المالقي، تح: أحمد محمد الخراط، مطبوعات مجمع اللغة العربية،

الفصل الثاني

حروف التّبيه.

— الحرف ألا.

— الحرف أما.

— الحرف ها.

تعريف التنبية:

ورد في لسان العرب في مادة (ن، ب، هـ): "النُّبْه: القيام والانتباه من النوم، وقد نُبِّهه وأنبّهه من النوم فتنّبّه وانتبه، وانتبه من نومه: استيقظ، والتنبيه مثله ... ونُبِّهه من الغفلة فانتبه وتنّبّه: أيقظه، وتنّبّه على: الأمر شعر به، وهذا الأمر منبهة على هذا الأمر: مُشعر به..."^(١) فالتنبية في اللغة فعل معنوي يدل على الانتقال من حال إلى أخرى؛ فهو الاستيقاظ من النوم أو الغفلة، أو الشعور بالشيء، والوقوف والاطّلاع عليه.

أما من الناحية الاصطلاحية فلا يختلف معنى التنبية كثيرا عن معناه اللغوي، فهو لفت نظر المخاطب إلى أمر ما، واستحضار ذهنه إلى ما يلقيه المتكلم، وتهيئته لما سيحدثه به. قال بعضهم: التنبية "هو أن تنبه المخاطب على ما تحدّث به، ولا يكون تنبيه إلا إذا كان الأمر ذا أهمية بالنسبة إلى المخاطب، حتى لا يفوته المقصود نتيجة غفله".^(٢) فأهمية التنبية إذاً كبيرة، ودوره بارز في نجاح العملية التواصلية بين المتخاطبين، فبه يدرك المخاطب مقصود المخاطب، وبه يفطن من غفله ويركز فيما سيلقى إليه من كلام، فيهيئ نفسه ويعدّها لذلك.

فالتنبية تركيب لغوي، وأسلوب بلاغي من الأساليب الشائعة في كلام العرب، أدت الحاجة إلى لفت انتباه المخاطب، وتهيئته لسماع الرسالة إلى استنباطه، فهو — على غرار باقي الأساليب اللغوية — يتطلب مراعاة حال المخاطبين ومختلف ظروفهم الاجتماعية

(١): لسان العرب، ابن منظور، ج ١، ص ١٠٠ / .

(٢): الأدوات المفيدة للتنبية في كلام العرب، فتح الله صالح المصري، ديوان المطبوعات الجامعية، دط، دت، الجزائر، ص ١٠٠ .

والنفسية والثقافية ... باعتبار أن عملية التواصل لا تتم بين المتخاطبين، وعملية الإقناع لا تنشأ في ذهن السامع، إلا إذا كان الخطاب الموجه إليه مبنيا على أسس نفسية واجتماعية ذات علاقة بمختلف أحواله^(١). بحيث يراعي المتكلم فيها جميع الظروف المحيطة به ثم يسعى إلى لفت انتباهه ليتمكن بعد ذلك من مخاطبته ويضمن تفاعله معه.

قال عبد القاهر الجرجاني (ت هـ): "وجملة الأمر أنه ليس إعلامك الشيء بغتة غفلا مثل إعلامك له بعد التنبيه عليه والتقدمة له."^(٢) ذلك لأن المخاطب كثيرا ما يحتاج إلى تنبيه ليعلم الكلام ويفهمه، حتى لا يفوته المقصود. فالتنبيه يضمن نجاح العملية التواصلية بين المتخاطبين.

ولأن التنبيه وظيفة من أبرز الوظائف التي تؤديها اللغة، فإنه يتم بمجموعة من الحروف الخاصة، شأنه في ذلك شأن باقي الوظائف، والأساليب اللغوية التي يختص كل واحد منها بطائفة معينة من حروف المعاني.

يكاد يجمع معظم اللغويين والنحاة على أن عدّة حروف التنبيه الأصلية* أربعة وهي: ألا، أما، ها، يا. ومنهم من يذكر الثلاثة الأولى دون الحرف "يا" كالزحشري^(٣) الذي لم يذكر هذا الحرف في سياق حديثه عن حروف التنبيه. وابن الحاجب (ت هـ) الذي

(١): ينظر دلالات أسلوب القسم في السور المكية (رسالة ماجستير)، قلايلية العربي، جامعة وهران، / ص ب.

(٢): دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تح: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، ط ، مصر، ص .

* قلنا حروف التنبيه الأصلية تميزا لها عن باقي الحروف التي تفيد التنبيه، ولكن لم يذكرها العلماء في باب التنبيه، إنما ذكروها في أبواب أخرى وذلك كحروف النداء مثلا.

(٣): ينظر المفصل في علم العربية، الزحشري، ص .

قال في باب حروف التنبيه:

وَبَّهُوا بِـ هَا أَمَا، ثُمَّ أَلَا عَلَى الْكَلَامِ بَعْدَهَا لِيَحْصُلَا^()

إذ نلاحظ أنه لم يذكر "يا" ضمن هذه الحروف بل اكتفى بالثلاثة الأخريات فقط. كما نلاحظ أنه أشار في الشطر الثاني إلى الوظيفة التي تشترك فيها هذه الحروف جميعا بعد تأديتها التنبيه وهي تحقيق وتوكيد ما بعدها. فقوله "ليحصل" بمعنى ليتحقق.

ورغم أهمية حروف التنبيه، إلا أننا لا نجد أولئك النحاة يتحدثون عنها حديثا مستفيضا في كتبهم، على عكس باقي حروف المعاني كحروف التوكيد والقسم أو حروف الجر، والعطف وغيرها، التي نالت قسطا وافرا من اهتمام العلماء وجهودهم. فنادرا ما نجدهم يفصلون الحديث عن حروف التنبيه، أو يتوسعون في ذكرها؛ فهم في غالب الأحيان يكتفون بذكرها، أو بالإشارة إلى بعض خصائصها دون التعمق في وظائفها، أو ما تؤديه في التركيب من تأثير.

ولا يكون توظيف حروف التنبيه واستعمالها اعتباطا؛ وإنما يكون مبنيًا على مجموعة من الركائز التي يقتضيها السياق، إذ لا يمكن توظيف الحرف أو استبداله بغيره، إلا إذا علمنا ما له من خصائص، ووظائف تظهر كل واحدة منها في سياق معين، ويمكن لها أن تتغير بتغير ذاك السياق. وفي مايلي تفصيل لتلك الحروف وخصائصها.

() : شرح الوافية نظم الكافية، ابن الحاجب النحوي، تح: موسى بناي علوان العليلي، مطبعة الأداب، دط، ، بغداد،

أولاً – ألا:

ألا بفتح الهمزة وتخفيفها حرف من حروف المعاني مبني على السكون، لا محل له من الإعراب، يؤدي مجموعة من الوظائف في التركيب، تتحدد طبيعة كل واحدة منها بحسب طبيعة التركيب الواردة فيه، وبحسب القرائن المرافقة له.

فهي حرف تنبيه، يأتي دائماً في مقدمة الكلام وصدارته، بغرض التنبيه إلى ما يليه، والاهتمام بما بعده من كلام، لذلك قيل عنه حرف استفتاح. ولا غرابة في ذلك؛ لأن الاستفتاح في حد ذاته أسلوب بلاغي خطابي يقصد به تنبيه السامع إلى بدء حديثه^(١). ولكن يجدر بنا الإشارة إلى أن الاستفتاح ليس سوى موقعها في التركيب، فالمعربون كما ذكر ابن هشام (ت)، عندما يقولون حرف استفتاح إنما يبينون مكانها ويهتملون معناها^(٢). باعتبار أن موقعها هو الصدارة دائماً. ففي قول أبي العتاهية (ت هـ):

أَلَا نَحْنُ فِي دَارٍ قَلِيلٍ بَقَاؤُهَا سَرِيعٍ تَدَاعِيهَا، وَشِيكَ فَنَاؤُهَا^(٣)

جاءت "ألا" في مقدمة الكلام ومفتتحه، فإذا قلنا هي حرف استفتاح فقط، فإننا نتحدث عن مكانها وموقعها في التركيب لا غير. أما إذا أردنا تبيان وظيفتها فنقول حرف تنبيه، نظراً لأن الشاعر يوظفها للفت انتباه المخاطب، وتهيئته لسماع رسالته.

(١): ينظر المعجم المفصل في علوم اللغة، محمد التونجي وراجي الأسمر، ج ، ص .

(٢): ينظر مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام، تح: مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، دار الفكر، ط ، دمشق، ج ، ص .

(٣): ديوان أبي العتاهية، دار بيروت، دط، ، بيروت، ص . يقصد بالدار الدنيا فالبيت من قصيدة "غداً تحرب الدنيا"، التي يتحدث فيها عن فناء الدنيا وعدم دوامها. تداعيها: تهدمها.

ورغم أن الاستفتاح لا ينفي التنبيه بل هو ملازم له لما فيه من تهيئة لذهن المخاطب، وتنبيه إلى ما سيلقى إليه من كلام فإن كل حروف الاستفتاح تفيد التنبيه، وهو ما أشار إليه السيوطي^(١) عندما ذكر أن التنبيه وظيفة عامة تؤديها مجموعة من الحروف، منها حروف الاستفتاح. لذلك كان من الأولى تسميتها حروف تنبيه، نسبة إلى الوظيفة التي تؤديها "إذ أن إضافة الحرف — كما يقول ابن الحاجب — في تسميته إلى المعنى المختص به في الدلالة، أولى من إضافته إلى أمر ليس من دلالاته. والتنبيه من دلالتها بخلاف الاستفتاح." ^(٢) ومما يؤكد هذا الزعم وجود الكثير من حروف المعاني التي لها الصدارة في الكلام ولا تأتي إلا مستفتحا بها؛ بيد أنها لم تُسمَّ حروف استفتاح، لأنه ليس وظيفة تؤديها. كحروف الاستفهام مثلا التي سميت بهذا نظرا لأن الاستفهام هو الوظيفة الحقيقية والأصلية التي تؤديها، وما الاستفتاح إلا موقعها في الكلام.

تأتي "ألا" التي للتنبيه في غالب الأحيان لتفيد توكيد وتحقيق ما بعدها، فتدخل على الجملتين الاسمية والفعلية نحو قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(٣). وقول كثير عزة (ت هـ):

أَلَا زَعَمْتُ أَنِّي تَغَيَّرْتُ بَعْدَهَا وَمَنْ ذَا الَّذِي يَا عَزَّ لَا يَتَغَيَّرُ^(٤)

إذ استفتح بها الكلام في الشاهدين فأفادت التنبيه، كما أفادت تحقق ووقوع ما بعدها.

(١): ينظر الأشباه والنظائر، السيوطي، ج ١، ص ١٠٠.

(٢): الأدوات المفيدة للتنبيه، صالح المصري، ص ١٠٠.

(٣): يونس: ١٠١.

(٤): ديوان كثير عزة، تح: إحسان عباس، دار الثقافة، دط، بيروت، ص ١٠٠.

فقد دخلت في الآية الكريمة على جملة اسمية تنبيهها للمخاطبين، وتأكيدا على الجزاء الحسن الذي يلقاه أولياء الله، بحيث لا يحزنوا ولا يخافوا إذا حزن أو خاف الناس. أما في البيت الشعري فقد علم الشاعر زعم "عزة" تغيّره، فراح يؤكد أن الإنسان مهما كان لا يبقى على حال واحدة بل هو دائم التغير.

وقد تأتي "ألا" مكررة في التركيب زيادة في التنبيه وتوكيدا له، كما في قول امرئ القيس (ت ق هـ):

أَلَا أَيُّهَا اللَّيْلُ الطَّوِيلُ أَلَا انْجَلِي بِصُبْحٍ وَمَا الْإِصْبَاحُ فِيكَ بِأَمْثَلٍ^(١)

تكررت "ألا" مرتين في الشطر الأول، رغم أن الثانية تفيد التحضيض إلا أنها أكدت وظيفة سابقتها، وهو ما يؤكد حرص الشاعر على تنبيه المخاطب، ، فرغم أنه لا يخاطب شخصا عاقلا (إنما يخاطب الليل)، إلا أنه يترله مترلة العاقل الذي يستجيب له. كما نلاحظ توظيف حرف تنبيه آخر هو "ها" مما يجعل البيت ثريا بحروف التنبيه، وربما كان ذلك إدراكا منه استحالة تنبيه الليل أو استجابته له.

ويجوز حذفها من الكلام دون أن يختل المعنى العام، فقد قال بعضهم: "وعلامتها صحة الكلام بدونها."^(٢) ذلك لأن الغرض منها ليس إضفاء معنى جديد على الكلام أو إكسابه إيّاه؛ وإنما الغرض منها يتعلق بنسبة أكبر بالمخاطب؛ إذ يسعى المتكلم من خلالها إلى تهيئته ذهنيا، ولفت انتباهه، واسترعاء تركيزه واهتمامه، حتى يتمكن من مخاطبته. فلذلك

(١): ديوان امرؤ القيس، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ط ٤، دت، القاهرة، ص ١٠.

(٢): الجنى الداني، المرادي، ص ١٠.

يصح الكلام بدونها ولا يتأثر بحذفها لأنها ليست ضمن الكلام المراد تبليغه وتوصيله إلى المخاطب، وإنما هي حرف يسبق عملية التواصل ويضمن نجاحها.

خصائصها ومميزاتها:

— الصدارة في الكلام: لحروف التنبيه كلها الصدارة في الكلام — ماعدا "ها" الداخلة على اسم الإشارة — فهي دائما تأتي في مقدمته، ولا يجوز أن تأتي في مرتبة متأخرة عنه.

— وجوب كسر همزة إن بعدها: نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا إِلَهُ الْإِنسَانِ الْحَمْدُ كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِعَدِ قَوْمٍ هُودٍ﴾^(١). فقد كسرت همزة "إن" لدخول "ألا" عليها.

— اختصاصها بالدخول على الجمل: يجمع النحاة على جواز دخولها على كافة أنواع الجمل، سواء أكانت اسمية أم فعلية، خبرية أم طلبية، وسواء أكان الطلب أمرا، أم نهيا، أم استفهاما^(٢). حالها في ذلك حال بقية حروف التنبيه باستثناء "ها" التي تدخل على اسم الإشارة (أي على المفرد).

— لا تدخل إلا على كلام مكتف بنفسه: فهي لا تدخل على كلام ناقص لتتم معناه؛ وإنما دخولها يكون دائما على كلام مكتف بنفسه وذو معنى، فإذا حذفت لا يؤثر حذفها على الكلام، ولا يخل بالمعنى قال المالقي: "وإذا لم تدخل صحّ الكلام دونها."^(٣) ذلك لأن المعنى تام من قبل دخولها على الكلام.

(١): هود: .

(٢): ينظر الأدوات المفيدة للتنبيه ، صالح المصري، ص / .

(٣): رصف المباني في شرح حروف المعاني، المالقي، ص .

— كثرة دخولها على الجمل المصدرة بما يتلقى به القسم: يكثر دخولها على الجمل التي يتصدرها حرف من الحروف التي تلي جملة القسم ك: إن، قد، وحروف النفي وغيرها وربما ساهم هذا كذلك في إفادتها تحقيق ما بعدها. قال جميل بثينة (ت هـ):

أَلَا قَدْ أَرَى، إِلَّا بُشَيْنَةَ، لِلْقَلْبِ بَوَادِي بَدِيٍّ، لَا بِحِسْمِي وَلَا شَغْبِ^(١)

دخلت "ألا" على حرف التحقيق "قد" فأفادت معه التحقيق وأكدت وظيفته وقوتها.

"ألا" من حيث البساطة والتركيب:

اختلف العلماء في "ألا" التنبيهية هل هي مركبة أم بسيطة؟ فذهب بعضهم إلى كونها مركبة من همزة الاستفهام ولا النافية، وهو ما قال به كل من الزمخشري، المرادي، ابن هشام، والسيوطي^(٢)، وهي في هذه الحالة تفيد تحقيق ما بعدها، لأن همزة الاستفهام إذا دخلت على النفي أفادت التحقيق والتوكيد.

ذكر ابن فارس (ت هـ) أن الهمزة للتنبيه ولا للنفي^(٣)، واستشهد بقوله تعالى ﴿قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصَلِحُونَ، أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ﴾^(٤) فاعتبر الهمزة لتنبيه المخاطب، و"لا" نفي لدعوى الإصلاح عنهم.

(١): ديوان جميل بثينة، تح: بطرس البستاني، درا بيروت، دط، ، بيروت، ص . بدوي، حسمي، وشغب: أسماء أماكن.

(٢): ينظر الجني الداني، المرادي، ص . مغني اللبيب، ابن هشام، ج ، ص . والإتقان في علوم القرآن، السيوطي، ج ، ص .

(٣): ينظر الصاحي، ابن فارس، ص .

(٤): البقرة: / .

وذهب فريق آخر إلى كونها بسيطة، واعتبروها حرفاً واحداً غير مركب، فمن هؤلاء أبو حيان (ت هـ) الذي رد على من ادعوا التركيب فيها، واعتبر أن الأصل هو عدمه. محتجا بدخولها قبل: إن، رُبَّ، ليت، والنداء^(١) ذلك لأن النفي لا يصلح قبل أي واحد من هذا، فلو صح الزعم الأول وحاولنا تفكيكها وإرجاعها إلى أصلها، باعتبارها مركبة من همزة الاستفهام ولا النافية، فإنه لا يستقيم الكلام معها نظراً لأننا لا نستطيع نفي التمني أو النداء.

وبناء على ما سلف فإن الأرجح عندنا هو كونها بسيطة غير مركبة، ويمكن أن نستدل على بساطتها كذلك بجواز دخولها على حرف النفي.

نحو قول عمرو بن كلثوم (ت ق هـ):

أَلَا لَا يَجْهَلُنْ أَحَدٌ عَلَيْنَا فَجْهَلُ فَوْقَ جَهْلِ الْجَاهِلِينَ^(٢)

فلو كانت "ألا" مركبة لما جاز أن يدخل حرف النفي على حرف نفي آخر.

لا تنحصر وظيفة "ألا" في مجرد التنبيه أو الاستفتاح، بل تؤدي مجموعة من الوظائف الأخرى غير التنبيه، وذلك بحسب السياق الواردة فيه، والقرائن المصاحبة لها. وإنه لمن الضروري الوقوف على تلك الوظائف حتى نتعرف إذا ما كان لها صلة — من قريب أو بعيد — بالتنبيه، وحتى نتمكن من تحديد وتمييز كل وظيفة عن الأخرى، ورصد الشروط المصاحبة لكل واحدة منها، ومتى تتحقق هذه الوظيفة أو تلك.

(١): ينظر الجني الداني، المرادي، ص .

(٢): ديوان عمرو بن كلثوم، تح: إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، ط ، ، بيروت، ص .

1 — العرض والطلب:

قد تفيد "ألا" العرض فـ "يطلب بها برفق ولين ترغيباً في فعل شيء أو تركه." (١)
نحو: ألا تُسمعنا صوتك فنطرب. إذ يطلب المتكلم من المخاطب إسماعه صوته ليطرب.
فهو يطلب منه ولا يأمره، لأن الأمر يكون فيه شيء من الغلظة أو الفضاضة، كما
يتطلب الإجابة، بينما لا يتطلب العرض بالضرورة إجابة، بحيث يكون حسب موقف
المخاطب، الذي له أن يجيب ويلبي عرض المتكلم وله ألا يجيب.

فيكون ما بعدها مطلوباً والجملة طلبية (حالتها في ذلك حال سائر حروف العرض
والطلب)، ويقع بعدها دائماً الفعل المضارع؛ فإن جاء بعدها الماضي تغيرت وظيفتها
وأفادت التنبيه — وسيأتي تفصيل ذلك لاحقاً — وإن وليتها الأسماء فعلى تقدير الأفعال.

وقد يكون الفعل المضارع ظاهراً كما في قوله تعالى: ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ
لَكُمْ﴾ (٢). فوظيفة "ألا" هنا هي العرض، وقد وليها الفعل المضارع الظاهر.

كما قد يكون مقدراً يفسره ما بعده كما في قولنا: ألا النبيل الوديع تصاحبه. فتؤدي
"ألا" وظيفة العرض ويكون تقدير الجملة: ألا تصاحب النبيل الوديع (٣). فالظاهر أن ما
بعدها اسم ولكن ليس الأمر كذلك لأن المتكلم يعرض على المخاطب مصاحبة النبيل
ويطلب منه ذلك. لذلك فسر المثال بأن الفعل فيه مقدر، وأن النبيل معمول لفعل

(١): المعجم المفصل في علوم اللغة، محمد التونجي وراجي الأسمر، ج ١، ص ١٠٠.

(٢): النور: ١٠٠.

(٣): ينظر النحو الوافي، عباس حسن، دار المعارف، ط ١، مصر، دت، ج ١، ص ١٠٠ / ١٠١.

مضارع (منصوب به)، الأصل فيه أن يفصل بينه وبين حرف العرض.

خالف ابن الحاجب معظم العلماء الذين قالوا باختصاصها بالفعل، وأجاز دخولها على الاسم، فرد عليه المرادي قائلاً: "ما ذكره ابن الحاجب من دخول ألا التي للعرض على الاسم وتركيبه معها نحو: ألا نزول عندنا، غير ثابت بل هي مختصة بالفعل كما تقدم."^(١) وليس هذا الفعل المحذوف على تقدير ثابت كما في النداء — عندما قدر الفعل المحذوف بأدعو أو أنادي في مطلق الحالات — وإنما تأويل هذا الفعل يكون بحسب السياق الواردة فيه "ألا".

2 — التحضيض:

التحضيض طلب بحث وإلحاح وشدة، وهو كالعرض من حيث الاستعمال، وفي كونهما طلباً؛ إلا أن التحضيض أشد توكيداً. ففي العرض يعرض المتكلم على المخاطب الشيء لينظر فيه، أما في التحضيض فكأنه يقول له الأولي لك أن تفعله^(٢). أي أن إرادة الفعل في التحضيض تكون أقوى منها في العرض لذلك هو أشبه ما يكون بالأمر. ففي قوله تعالى: ﴿أَلَا تَقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ﴾^(٣) يتجلى من الآية الكريمة أن وظيفة "ألا" تتمثل في الحث الشديد على الفعل مما يستلزم تنفيذه؛ إذ ليس لهم المماطلة في تنفيذ أمر القتال.

تختص "ألا" التي للتحضيض بالدخول على الجمل الفعلية كقول عمرو بن كلثوم:

(١): الجني الداني، المرادي، ص .

(٢): ينظر المصدر السابق، ص .

(٣): التوبة: .

أَلَا هُبِّي بِصَحْنِكَ فَاصْبَحِينَا وَلَا تُبْقِي خُمُورَ الْأَنْدَرِينَا^(١)

فهو يحضها ويحثها على الاستيقاظ، فيوظف لذلك الحرف "ألا"، ويتبعه بفعل الأمر مما يؤكد التحضيض. باعتبار أنه (التحضيض) داخل في حيز الأمر.

ويجوز أن يليها اسم، ولكن على تقدير فعل محذوف، أو مؤخر. قال ابن مالك:

وَقَدْ يَلِيهَا اسْمٌ بِفِعْلِ مُضْمَرٍ عُلِّقَ أَوْ بظَاهِرٍ مُؤَخَّرٍ^(٢)

فالاسم الذي يكون بعد "ألا" معمول لفعل مضمر أو مؤخر، ويكون إما منصوبا فيعرب مفعولا لفعل محذوف، وإما مرفوعا فيعرب فاعلا لفعل محذوف أو مؤخر.

عرض النحاة لـ "ألا" التي تؤدي وظيفتي العرض والتحضيض من حيث البساطة والتركيب، فمنهم من قال ببساطتها، ومنهم من قال بتركيبها من الهمزة ولا النافية. فأما المالقي وأبو حيّان فارتأيا أنها حرف بسيط، وأما المرادي وابن مالك فقالا حرف مركّب من همزة الاستفهام ولا النافية.^(٣) والأرجح عندنا هو كونها حرف بسيط لأنها لو كانت لا فيها للنفي لتسرب شيء من هذا إلى المعنى العام للجملة، ولكننا لا نجد أو نلمس شيئا من النفي في كل من العرض والتحضيض؛ بل هما مجرد طلب. وليس النفي من الطلب.

3 — الجواب:

تكون "ألا" حرف جواب بمعنى "بلى" كقول القائل: ألم تقل؟. ألم تخرج؟. فيجيبه

(١): ديوان عمرو بن كلثوم، ص . هي: قومي، اصبحينا: اسقينا شراب الصباح، الأندرينا: اسم قرية جنوب حلب.

(٢): ألفية ابن مالك في النحو والصرف، ابن مالك، دار الكتب العلمية، ط ، ، بيروت، ص .

(٣): ينظر الجني الداني، المرادي، ص .

المخاطَب: ألا. أي بلى وقد ذكر هذا المألقي^(١) في أثناء حديثه عن "ألا" إذ قال لها في الكلام ثلاث مواضع الثالث منها أن تكون جواباً بمعنى "بلى" وهو قليل في كلام العرب. وقد مثل لها بعضهم بقوله:

وَقَدْ تُرَى حَرْفَ جَوَابٍ كَبَلَى قَالَ: أَلَسْتَ الْمُبْتَلَى؟ قُلْتُ: أَلَا^(٢)

والظاهر أنها تختص بالنفي مثل "بلى"، فلا تؤدي وظيفة الجواب إلا إذا سبقت باستفهام منفي، أما إذا كان الاستفهام مباشراً فلا نجيب بها؛ وإنما نجيب بنعم. وهي في هذه الحال حرف بسيط.

4 — التوبيخ والتنديم:

هو معاتبة المخاطَب وإشعاره بالأسف على ما فات نتيجة إهماله وتقصيره، وقد تأتي "ألا" لتؤدي هذه الوظيفة فلا تدخل إلا على الفعل الماضي، سواء أكان ظاهراً، أم مقدراً تدل عليه قرائن الكلام. أي يشترط أن يكون الفعل ماضياً بعدها "لأن التوبيخ لا يكون إلا على شيء حصل."^(٣) فلا يمكن أن نوبِّخ شخصاً على فعل لم يقم به بعد، كما لا يمكن أن نندم على فعل مستقبلي لم يحدث بعد.

هنا يكمن الفرق بين "ألا" عندما تؤدي وظيفتي العرض والتحضيض، وبينها عندما تؤدي وظيفة التوبيخ والتنديم. فالأولى لا تدخل إلا على فعل مضارع مُنتظر، مرجو

(١): ينظر رصف المباني، المألقي، ص .

(٢): كفاية المعاني في حروف المعاني، عبد الله الكردي البيتوشي، تح: شفيع برهاني، دار اقرأ، ط ، دمشق،

ص .

(٣): النحو الوافي، عباس حسن، ج ، ص .

حصوله ووقوعه، أما الثانية فلا تدخل إلا على فعل ماضٍ، قد تم وقوعه، وانتهى وفات زمانه. ففي قولنا ألا اجتهدت فنجحت، وألا تحتهد فتنجح فرق؛ رغم أن الظاهر من الجانب التركيبي أنه لا اختلاف، ففي الجملة الأولى يوبّخ المتكلم المخاطب على عدم اجتهاده في الماضي، ويندمه على ذلك. أمّا في الثانية فيعرض عليه فعل الاجتهاد في المستقبل لينجح.

أما إذا وليها اسم فيكون معمولاً لفعل محذوف، سواء بالرفع أو النصب. وقد ذكر ابن هشام تدخلت على الأسماء فتعمل عمل "لا" النافية للجنس، باعتبار أنها مركبة من همزة الاستفهام و"لا" النافية للجنس. واستشهد بقول الشاعر:

أَلَا أَرَوْعَاءَ لِمَنْ وَلَّتْ شَيْبَتُهُ وَأَذَنْتِ بِمَشِيبٍ بَعْدَهُ هَرَمٌ^(١)

إذ دخلت "ألا" على الاسم فأدت وظيفة التوبيخ، وعملت عمل "لا" النافية للجنس فنصبت الاسم بعدها (اروعاء).

5 – التمني:

التمني هو "الرغبة في تحقق أمر محبوب سواء أكان تحققه ممكناً أم غير ممكن، ولا يصح أن يكون في أمر محتوم الوقوع."^(٢) وأشهر أدواته "ليت"، وكذا "ألا".

تؤدي "ألا" وظيفة التمني فتكون في ذلك مركبة من همزة الاستفهام ولا النافية للجنس ويقتصر عملها على الاسم فقط؛ إذ لا خبر لها (لا ظاهراً ولا مقدراً)، كما أنه لا يجوز

(١): مغني اللبيب، ابن هشام، ج ١، ص ١٠٠.

(٢): النحو الوافي، عباس حسن، ج ١، ص ١٠٠ / .

مراعاة محلها مع اسمها^(١)، ولا يجوز إلغاؤها حتى وإن تكررت لأنها بمتزلة "ليت". كما في قول الشاعر:

أَلَا عُمَرَ وَلَّى مُسْتَطَاعٌ رُجُوعُهُ فَيَرَأْبَ مَا أَثَّاتَ يَدُ الْغَفَلَاتِ^(٢)

أدت "ألا" في البيت وظيفة التمني، وعملت عمل "لا" النافية للجنس، فنصبت الاسم بعدها (عمر) واكتفت بذلك؛ إذ لا نجد لها خبراً، وقوله "مستطاع رجوعه" مبتدأ وخبر على التقديم والتأخير، والجملة في محل نصب صفة ثانية. وقد نُصب الفعل "يرأب" لأنه جواب تمنٍ مقرون بالفاء.

يرى جمهور النحاة أن "ألا" التي للتمني تدخل على الاسم فتعمل فيه بالنصب، والنصب لا غير هو عملها حسب الخليل (ت هـ)، وسيبويه (ت هـ)، ومن تبعهما. قال سيبويه: "واعلم أن "لا" إذا كانت مع ألف الاستفهام ودخل فيها معنى التمني عملت فيما بعدها فنصبته، ولا يحسن لها أن تعمل في هذا الموضع إلاّ فيما تعمل فيه في الخبر، وتسقط النون والتنوين في التمني كما سقطا في الخبر ..."^(٣)

ومعنى هذا أن مذهبهم هو النصب لا غير في اسم "ألا" التي للتمني ولا خبر لها حسبهم إذ لا يجوز حمل اسمها على موضع الابتداء — كما زعم بعضهم — فهم يقولون: ألا رجلاً أفضل منك. ولا يجيزون رفع "أفضل"، بحجة أنهم كانوا يقولون: لا رجلاً أفضل

(١): ينظر مغني اللبيب، ابن هشام، ج ، ص .

(٢): الجنى الداني، المرادي، ص . ومغني اللبيب، ابن هشام، ج ، ص .

(٣): الكتاب، سيبويه، ج ، ص .

منك بالرفع، لأن "لا" ورجل في موضع ابتداء، و"أفضل" خبره. أما في التمني فموضع ألا رجل أفضل منك هو النصب^(١) لأنه بمثابة قولهم اللهم غلاما أي هب لي غلاما فهو منصوب على المفعولية.

فقد لاحظوا فيها معنى الفعل والحرف معا، فمعنى الفعل لكونها بمرتلة "أتمنى" لذلك قالوا لا خبر لها، لأن الفعل ليس له خبر، كما أن التمني ليس بموضع ابتداء، ولا يحتاج فيه إلى خبر حتى يكون "أفضل" بعده مرفوعا على أنه خبر ابتداء.

أما معنى الحرف فلأنها بمرتلة "ليت" التي لا يجوز مراعاة محلها مع اسمها، والتي لا يجوز حمل اسمها على موضع الابتداء. وحجة النحويين في ذلك "أنه لما دخله معنى التمني زال عنه الابتداء، وموضعه نصب، كقولك اللهم غلاما أي هب لي غلاما، وكقولهم إن زيدا في الدار وعمرو، حُمل "عمرو" على الموضع، فإن قالوا ليت زيدا في الدار وعمرا لم يكن موضع عمرو الابتداء لأن "إن" تدخل على معنى الابتداء، و"ليت" تدخل للتمنى.^(٢) وهما وظيفتان متباينتان ليست إحداهما مثل الأخرى.

ومعنى هذا أننا إذا حملنا "ألا" على الفعل، فإن الاسم بعدها يكون منصوبا على المفعولية، أما إذا حملناها على "ليت" فإن حكم "ليت" ليس هو نفسه حكم "إن" في الحمل على موضع الابتداء، لأن وظيفة هذه الأخيرة هي الابتداء؛ بينما تختلف وظيفة "ليت" عن ذلك وهي التمني مثلها في ذلك مثل "لعل" و"كأن" اللتان تؤديان وظائف

(١): ينظر الأصول في النحو، ابن السراج، ج ١، ص ١٠.

(٢): المقتضب، أبو العباس المبرد، تح: محمد عبد الخالق عزيمة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، دط، القاهرة، ج ١، ص ١٠.

أخرى غير الابتداء الذي تؤديه "إن"؛ رغم أنها جميعا من فصيلة واحدة.

خالف أبو عثمان المازني(ت هـ) أصحاب هذا المذهب، ورأى أنه يجوز حمل اسم "ألا" التي للتمني على الابتداء، فنقول ألا رجلَ أفضلُ منك، برفع أفضل على أنه خبر الابتداء.^(١) فأجاز فيها ما يجوز في النفي وتعامل معها معاملته مع "لا" النافية للجنس قبل دخول الاستفهام عليها. فحتى ولو تغيرت وظيفتها التواصلية من النفي إلى التمني، إلا أن وظيفتها الإعرابية تبقى ثابتة عنده.

لعل الرأي الذي نرجحه هو ما ذهب إليه أصحاب الاتجاه الأول، من أنها تعمل عمل "لا" النافية للجنس ولا خبر لها، لأنه لا يجوز حملها على الابتداء من جهة، ولأنها تحمل معنى الفعل، والفعل لا يحتاج إلى خبر من جهة أخرى.

قد تدخل "ألا" على "ليت" وكلاهما يؤدي التمني للزيادة والمبالغة في ذلك كما في قول قيس بن ذريح (ت هـ):

أَلَا لَيْتَ لُبْنَى فِي خَلَاءٍ تَزُورُنِي فَأَشْكُوا إِلَيْهَا لَوْعَتِي ثُمَّ تَرْجِعُ^(٢)

فالبيت من غير "ألا" يفيد التمني، ولكن بدخولها عليه تكون درجة التمني أكبر من ذي قبل، وكأن الشاعر يعي بُعد ما يتمناه لذلك وظف حرفين متتالين قمينين بأداء هذه الوظيفة.

(١): ينظر المصدر السابق، ج ، ص .

(٢): ديوان قيس بن ذريح، تح: عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة، ط ، ، بيروت، ص .

6 — الاستفهام عن النفي:

هي مركبة في هذه الحال، وقد ذكر المبرد وبعده ابن السراج^(١) أنه إذا دخلت همزة الاستفهام على لا النافية فإن هذا التركيب يكون إما للتمييز، أو للاستفهام (وهو الأصل عند ابن السراج). و"أما كونها للاستفهام فعلى حالها قبل أن يحدث فيها علامته. تقول: ألا رجل في الدار؟ على قول من قال: لا رجل في الدار..."^(٢) فهي باقية على عملها وسائر أحكامها، سواء دخل عليها الاستفهام أم لم يدخل. فكما نقول لا رجل ظريفا في الدار، نقول بالاستفهام: ألا رجل ظريفا في الدار؟ و من نون في الحالة الأولى أو رفع، فإنه كذلك يفعل في الحالة الثانية (الاستفهام).

فمن شواهد "ألا" التي للاستفهام عن النفي قول حسان بن ثابت (ت هـ):

حَارِ بْنَ كَعْبٍ أَلَا الْأَحْلَامُ تَزْجُرُكُمْ عَنَّا وَأَنْتُمْ مِنَ الْجُوفِ الْجَمَاحِيرِ^(٣)

فوظيفة "ألا" في البيت هي الاستفهام عن النفي. والأصل فيها قبل التركيب هو: لا الأحلام تزجركم، إذ نفى الشاعر، ثم استفهم بإضافة همزة الاستفهام، فلم يغير ذلك شيئا في وظيفتها الإعرابية بل بقي الاسم مرفوعا على حاله.

(١): ينظر المقتضب، المبرد، ج ، ص . والأصول في النحو، ابن السراج، ج ، ص .

(٢): المقتضب، المبرد، ج ، ص .

(٣): شرح ديوان حسان بن ثابت الأنصاري، عبد الرحمن البرقوقي، المطبعة الرحمانية، دط، مصر، ص . حار:

مرخم حارث، الأحلام: العقول، الجوف والجماحير جمع أجوف وجمخور على التوالي وهو الواسع الجوف والمقصود بهم في البيت ضخام الأجسام ضعفاء العقول.

وخلاصة الأمر من "ألا" ومختلف وظائفها أنها حرف بسيط يؤدي وظيفة التنبيه فيدخل على الجملتين الاسمية والفعلية دون أن يعمل فيهما، وقد يؤدي وظيفتي العرض أو الطلب والتحضيض فيختص بالدخول على الجمل الفعلية سواء ظهر الفعل فيها أم قدر، ولا يكون ذلك الفعل إلا مضارعاً. بخلاف وظيفة التوبيخ التي يختص فيها بالدخول على الفعل الماضي. والتي ذكر بعضهم أنه إذا أدتها "ألا" فلكونها مركبة من همزة ولا النافية للجنس والتي يبقى عملها حتى أثناء تركيبها مع الهمزة.

وقد ذكر بعضهم أنه لم ترد "ألا" في القرآن الكريم إلا لتؤدي إحدى الوظائف الثلاثة السابقة (التنبيه، العرض، والتحضيض)، بيد أن هذا لا يستوعب في حقيقته جميع استعمالات ووظائف "ألا" في القرآن الكريم، فقد جاءت للتقرير^(١) نحو قوله تعالى: ﴿أَلَا تَدْرُونَ أَنِّي أُولِيُ الْكِيلِ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾^(٢). بمعنى أنتم ترون، كما وردت للتعجب والاستهزاء نحو قوله: ﴿فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ، مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ﴾^(٣) فهو لا يطلب منهم أن يأكلوا ولا يسألهم عن عدم فعل ذلك إنما يستهزئ بهم، ويسخر منهم.

أما في التمني، والاستفهام عن النفي فهي (ألا) مركبة من همزة الاستفهام ولا النافية للجنس (بإجماع العلماء) وتختص بالدخول على الجملة الاسمية فتعمل فيها عمل لا النافية للجنس، بيد أن التي للتمني تتميز بأنه لا خبر لها لا لفظاً ولا تقديراً.

(١): ينظر تحويلات الطلب ومحددات الدلالة (مدخل إلى تحليل الخطاب النبوي الشريف)، حسام أحمد القاسم، دار الآفاق

العربية، ط ١، القاهرة، ص .

(٢): يوسف: .

(٣): الصفات: / .

ثانياً — أما:

أما بفتح الهمزة وتخفيف الميم حرف تنبيه، مبني على السكون، لا محل له من الإعراب، وهو بمرتلة "ألا" في دلالتها على تأكيد وتحقيق ما بعدها، قال ابن يعيش (ت هـ): "أما" "أما" فتنبية أيضاً، وتحقيق الكلام الذي بعدها، والفرق بينها وبين "ألا" أن "أما" للحال، و"ألا" للاستقبال. فتقول أما إن زيدا عاقل، تريد أنه عاقل على الحقيقة لا على المجاز.^(١) ففي أدائها لوظيفة التنبيه ما لا يخفى من تأكيد الجملة التالية لها. إذ إنها تكون لتنبيه المخاطب، وتحريضه على حسن الاستماع، ليتفطن لما يقوله المتكلم، ثم تؤكد مضمون الرسالة الموجهة إليه.

تصنف "أما" أيضاً ضمن حروف الاستفتاح مع "ألا"، وقيل هو الأصل فيهما، وما التنبيه سوى وظيفة إضافية قد تكون وقد لا تكون، وذهب ابن مالك إلى أنه قد يعزى التنبيه إلى "ألا" و"أما" وهما للاستفتاح مطلقاً، فعلق عليه أبو حيان ورأى أن في قوله "وقد يعزى" إشعار بالقلّة^(٢)، بمعنى أنهما يكونان في أغلب الأحيان للاستفتاح سواء قصد معه التنبيه أم لم يقصد.

وليس الأمر كذلك لأنه — كما سبق وأشرنا — ليس الاستفتاح سوى موقعها في التركيب، ولا يكون لذاته وإنما يكون دائماً لتهيئة المخاطب ولفت انتباهه، لذلك لا يمكن أن نفصله عن التنبيه لأنه ملازم له على الدوام.

(١): شرح المفصل، ابن يعيش، إدارة الطباعة المنيرية، دط، دت، مصر، ج ، ص .

(٢): ينظر مع الهوامع، السيوطي، ج ، ص .

وبخلاف "ألا" التي ذكرت مرات عديدة في التزئيل الحكيم، وتكرر ذكرها في مختلف آياته وسوره، لا نجد لـ "أما" ذكرًا فيه، رغم أنها استعملت في سائر كلام العرب، ووظفها الشعراء والأدباء في كتاباتهم.

ومن شواهدا في الشعر قول قيس بن الملوّح (ت هـ):

أَمَّا وَالَّذِي أَبْلَى بَلِيْلَى بَلِيْلَتِي وَأَصْفَى لِيْلَى مِنْ مَوْدَّتِي الْمَحْضَا^(١)

إذ جاءت "أما" في مفتتح الكلام، فأدت وظيفة التنبيه، وتهيئة المخاطب لما يأتي بعدها.

خصائصها ومميزاتها:

تتماز "أما" التنبيهية بمجموعة من الخصائص، لا تكاد تختلف فيها عن سابقتها "ألا" وهي كالآتي:

— الصدارة في الكلام: تتمتع "أما" كسائر حروف التنبيه بالصدارة في الكلام. واحتلالها الصدارة في الكلام أمر لا جدال فيه، لاعتبار التنبيه مرحلة أولى تُعبر من خلالها إلى تبليغ رسالة ما إلى المخاطب، مما يستلزم أن يكون الحرف المستعمل لأداء هذه الوظيفة في بداية الكلام، وليس في وسطه أو نهايته. وذلك ليضمن المتكلم سماع المخاطب لما يقول ووصول رسالته إليه.

— وجوب كسر همزة إن بعدها: إذا وقعت "إن" بعد حرف التنبيه "أما" وجب كسر همزتها كما تكسر بعد "ألا"، والعلة في ذلك كما قال بعضهم أن الجملة بعد "إن"

(١): ديوان قيس بن الملوّح، تح: يسري عبد الغني، دار الكتب العلمية، ط ، ، بيروت، ص .

المكسورة الهمزة جملة ابتدائية، بينما تكون الجملة بعد "أن" المفتوحة الهمزة في حكم المفرد^(١). ولأن الأصل في "أما" الدخول على الجمل دون المفرد وجب كسر همزة إن بعدها.

— دخولها على الجمل بمختلف أنواعها: تتميز أما بالدخول على الجمل دون المفرد، ولا تختص بنوع معين من الجمل؛ إنما تدخل على الاسمية والفعلية، الخبرية منها والإنشائية على حد سواء.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿أَمَّا إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرُونَ هَذَا الْقَمَرَ، لَا تُضَامُونَ فِيهِ رُؤُوسُهُ﴾^(٢) فقد دخلت على الجملة الاسمية. ونلاحظ أنها تنبيه على ما سيأتي من كلام بعدها وتأكيده وتحقيق له.

ومن شواهد دخولها على الجملة الفعلية قوله صلى الله عليه وسلم: ﴿أَمَّا لَوْ قُلْتِ حِينَ أَمْسَيْتِ: أَخُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ﴾^(٣) حيث دخلت على الفعل الماضي.

— كثرة وقوعها قبل القسم: من أهم خصائص "أما" التنبيهية كثرة مجيئها قبل القسم، وذلك لتنبيه المخاطب على استماع القسم، وتحقيق المقسم عليه. لذلك اعتبرت من مقدمات اليمين وطلائعه. ومنه قول أبي صخر الهذلي (ت هـ):

أَمَّا وَالَّذِي أَبْكَى وَأَضْحَكَ وَالَّذِي
أَمَاتَ وَأَحْيَا وَالَّذِي أَمَرُهُ الْأَمْرُ

(١): ينظر الأدوات المفيدة للتنبيه، صالح المصري، ص .

(٢): صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج، تح: نظر بن محمد الفاريابي أبو قتيبة، دار طيبة، ط ، مكة، ص .

(٣): المصدر نفسه، ص .

لَقَدْ تَرَكْتَنِي أَحْسَدُ الْوَحْشَ أَنْ أَرَى أَلَيْفَيْنِ مِنْهَا لَا يَرُوعُهُمَا النَّفْرُ^(١)

فالشاهد في البيت، قوله "أما والذي"؛ إذ دخلت "أما" على واو القسم، وجاء جواب القسم في البيت الثاني. والغالب فيها أنها تدخل على هذا الحرف دون غيره من حروف القسم. ومن شواهد ذلك أيضا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: **﴿أَمَّا، وَاللَّهِ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ، مِنْ الرَّجُلِ بِرَأْسِهِ﴾**^(٢) حيث دخلت "أما" على واو القسم، تحقيقا لذاك القسم، وتنبيها للمخاطب إلى المقسم عليه، والمتمثل في فرحة الله بتوبة عباده التي لا تماثلها فرحة أخرى.

قد تحذف همزة "أما" فيقال "ما"، وذلك كقول الشاعر:

مَا تَرَى الدَّهْرَ قَدْ أَبَادَ مَعَدًّا وَأَبَادَ السَّرَّاءَ مِنْ عَدْنَانِ^(٣)

وقد تبدل همزتها هاءً أو عينا فيقال حينئذ: هما والله، عما والله. أو تحذف ألفها في الحالات الثلاث فيقال: أم والله، هم والله، عم والله.

وظائفها في التركيب:

ترد "أما" في مواضع كثيرة متنوعة، تتجاوز من خلالها وظيفة التنبيه لتؤدي وظائف أخرى جديدة، تتحدد جميعها من خلال السياق الواردة فيه. وهذه الوظائف حسب ما ذكره العلماء هي:

(١): شرح المفصل، ابن يعيش، ج ١، ص ١٠٠.

(٢): صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج، ص ١٠٠.

(٣): همع الهوامع، السيوطي، ج ١، ص ١٠٠.

1 — العرض:

تؤدي "أما" وظيفة العرض فتكون مثل سابقتها "ألا"، مختصة بالدخول على الفعل دون الاسم، كقولنا لشخص ما: أما تقوم، أما تقعد؛ حيث نعرض عليه في المثال الأول فعل القيام، ونعرض عليه في الثاني فعل القعود. وهو مخير في أن يستجيب لهذا العرض أو لا يستجيب له. ومنه قول ديك الجن الحمصي (ت هـ):

أَمَّا تَرَى الْحُسْنَ وَالْإِحْسَانَ قَدْ جُمِعَا فَاشْرَبْ فَإِنَّكَ فِي عُرْسٍ وَفِي عِيدٍ^(١)

فقد عرض عليه بداية رؤية الحسن والإحسان المجتمعين باستعمال الحرف "أما"، ثم جاء الشطر الثاني كنتيجة لاستجابة المخاطب للعرض.

أما إذا وليها اسم فهو على تقدير الفعل الذي تحدده قرائن السياق نحو قولنا: أما زيدا، بتقدير: أما تبصر زيدا.

أما من حيث البساطة والتركيب، فالشائع بين العلماء أنها حرف بسيط، إلا ما ذكره ابن هشام^(٢) من ادعاء تركيبها من همزة الاستفهام التقريرية وما النافية. وهو أمر باطل في تقديرنا لأن في العرض يتعلق الأمر بنسبة أكبر بالمخاطب؛ إذ عليه يتوقف فعل الأمر أو عدمه، أما في الاستفهام والنفي فإنه أكثر ما يتعلق بالمتكلم، وهو ما لا نلمسه في "أما" عندما تكون للعرض، لذلك قلنا إنها حرف بسيط غير مركب.

(١): ديوان ديك الجن الحمصي، تح: مظهر الحجي، إتحاد الكتاب العرب، دط، ، دمشق، ص .

(٢): ينظر مغني اللبيب، ابن هشام، ج ، ص .

2 — أن تكون بمعنى حقا:

قد تأتي "أما" بمعنى حقا أو أحقا — على خلاف في ذلك — فتفتح همزة "أن" بعدها كما تفتح بعد "حقا" () ، بخلاف "أما" التي تؤدي وظيفة التنبيه، والتي تكسر همزة "إن" بعدها فنقول: أما أنه قائم بمعنى أحقا أنه قائم.

فالحد الفاصل بين "أما" التي تكون وظيفتها التنبيه، وبين "أما" التي تكون بمثابة حقا يكمن في همزة "أن" الواردة بعدها، فإذا كانت مكسورة فهي للاستفتاح والتنبيه، نقول: أما إنك قائم. أمّا إذا كانت مفتوحة فهي بمعنى حقا، فنقول حينئذ: أما أنك قائم.

3 — التقرير والتوبيخ:

ترد "أما" مركبة من همزة الاستفهام و"ما" النافية فتؤدي في حالة تركيبها هذه إما وظيفة التقرير أو التوبيخ فنقول مثلا أما أخبرتك بهذا؟. ونقول أما قمت بواجبك؟. فتكون الأولى للتقرير، وتكون الثانية للتوبيخ.

قال المالقي: "وقد تكون أما داخلية على "ما" النافية فيكون معنى تركيبها التقرير والتوبيخ كما يكون ذلك في الهمزة و"لم" نحو: ألم يقم زيد؟... () أي أن هاتين الوظيفتين تتولدان من اجتماع الاستفهام والنفي.

ومن شواهد ذلك قول الأعشى (ت هـ):

() : ينظر المصدر السابق، ج ، ص .

() : رصف المباني، المالقي، ص .

أَمَّا تَرَيْنَا حُفَاةً لَا نَعَالَ لَنَا إِنَّكَ كَذَلِكَ مَا نَحْفَى وَنَنْتَعِلُ^(١)

فهو يخاطب "هريرة" المرأة التي أحبها، ويوبخها ويلومها على إعراضها عنه، بحيث لم ترأف لحاله، ولم يشفع له عندها كل ما بذله من أجلها.

تبقى "أما" دائما على حالها، فلا تدخل على المفرد سواء أكانت بسيطة أم مركبة، فهي "تنفي الأفعال وتنفي الجمل الاسمية ولكنها لا تنفي الاسم المفرد إلا بقيود، وذلك أن لها صدر الكلام."^(٢) فلا يصح مثلا أن نقول: محمد ما حاضرا، ولا: أقبل محمد ما مسرعا؛ بل يجب أن تقدم "ما" مع منفيها وتتصدر الكلام فنقول لذلك: ما حاضر محمد، وما مسرعا أقبل محمد. وهكذا تكون عند دخول همزة الاستفهام عليها وتركيبها معها، إذ إن المعنى يختلف في التقديم عنه في التأخير.

وإذا كان الغالب في هذا الحرف في حالة التركيب أن يؤدي وظيفتي التقرير والتوبيخ، فهذا لا يمنع من أن يؤدي وظائف أخرى بحسب السياق منها الاستفهام الصريح، أو المتضمن معنى الاستبطاء، كقول ديك الجن الحمصي مستبطيا إتيان الطيف:

أَمَّا آنَ لِلطَّيْفِ أَنْ يَأْتِيَا وَأَنْ يَطْرُقَ الْوَطْنَ الدَّانِيَا^(٣)

خلاصة الأمر من كل هذا أن "أما" مهما كانت حالها بسيطة أو مركبة لا تدخل على الاسم المفرد، وإنما تدخل على الجملة بنوعيتها. إضافة إلى أنها تتمتع بالصدارة في الكلام.

(١): غنية الطالب ومنية الراغب، أحمد فارس الشدياق، دار المعارف، دط، دت، تونس، ص .

(٢): معاني النحو، فاضل صالح السامرائي، دار الفكر، ط ، ، الأردن، ج ، ص .

(٣): ديوان ديك الجن الحمصي، ص .

ثالثا — ها:

حرف تنبيه، ينبه به على ما يساق أو يأتي بعده من كلام سواء أكان مفردا أم جملة. وهو حرف مهمل لا محل له من الإعراب، يتصدر دائما ما يتصل به من كلام؛ بحيث يكون التنبيه سابقا للشيء المنبه عليه. ولهذا الحرف أربعة مواضع في الكلام فهو يدخل على:

1 — اسم الإشارة:

يدل اسم الإشارة على مسمى وإشارة إليه. فالإشارة عمل حسي، أما المشار إليه فقد يكون حسيا أو معنويا. واسم الإشارة كالموصول في الإبهام لأنه يقع على كل شيء من حيوان وجماد ونبات^(١)، ولا يزول إبهامه إلا بالإشارة الحسية المقترنة بلفظه؛ إذ يصير إشارة إلى شيء معين دون البقية.

وأسماء الإشارة هي: ذا (للمفرد المذكر)، ذه، ته، ذي، تي، وتا (للمفرد المؤنث)، دان، وذَيْن (للمثنى المذكر)، تان، وتَيْن (للمثنى المؤنث)، أولاء (للجمع المذكر والمؤنث)، هنا، وثَمَّ أو ثَمَّة (للمكان).

يمتاز المشار إليه بأن له ثلاث مراتب: قريبة، متوسطة، وبعيدة، فأما القريب فيشار إليه مباشرة دون كاف الخطاب أو لام البعد، وأما المتوسط فيشار إليه باسم الإشارة مقرونا بكاف الخطاب، وأما البعيد فيشار إليه بما فيه الكاف واللام معا فنقول: هذا الرجل إذا

(١): ينظر الكتاب، سيبويه، ج ١، ص ١٠.

كان قريبا منّا، وذاك الرجل إذا كان متوسط البعد، وذلك الرجل في حال بعده.

تدخل "ها" التنبيه على أسماء الإشارة جميعا ما عدا "ثم". فقد شاع ارتباطها واقتراها بها كثيرا، إذ قليلا ما نجد أحدا يستعمل اسم إشارة مجردا من "ها" التنبيه. أما من حيث المرتبة فإنها لا تجمع "ما دل على الرتبة البعدى، وتجمع ما دل على الرتبة القربى والوسطى".^(١) فالشائع فيها إذا أنها تدخل على المختص بالمرتبة القربى، أي المجرد من كاف الخطاب ولا م البعد، نحو قوله تعالى: ﴿هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النُّذُرِ الْأُولَى﴾^(٢)

ثم يكون بصفة أقل دخولها على المختص بالمرتبة الوسطى، أي المقرون بكاف الخطاب. كقول طرفة بن العبد (ت ق هـ):

رَأَيْتُ بَنِي غَبْرَاءَ لَا يُنْكِرُونَنِي وَلَا أَهْلُ هَذَاكَ الطَّرَافِ الْمُمَدَّدِ^(٣)

ذكر ابن مالك أنه لا يجوز أن تجتمع "ها" التنبيه وكاف الخطاب في الاتصال باسم الإشارة المثنى أو الجمع، فلا يجوز: هذانك، ولا هاتانك ولا هؤلاءك، فرد عليه أبو حيان بجواز ذلك، وتبعه ابن عقيل (ت هـ) مؤكدا زعمه، ومحتجا بالسماع عن العرب^(٤)، فاستشهد بقول الشاعر:

(١): التذييل والتكميل، أبو حيان، ج ، ص .

(٢): النجم: .

(٣): ديوان طرفة بن العبد، تح: حمدو طمّاس، دار المعرفة، دط، دت، لبنان، ص .

(٤): ينظر ارتشاف الضرب من لسان العرب، أبو حيان، تح: رجب عثمان محمد، مكتبة الخانجي، ط ، ، القاهرة،

ج ، ص . والمساعد على تسهيل الفوائد (شرح التسهيل)، ابن عقيل، تح: محمد كامل بركات، دار الفكر، دط،

، دمشق، ج ، ص .

يَا مَا أُمِيلَحَ غَزْلَانَا شَدَنَّ لَنَا مِنْ هُوْلِيَاءِ كُنَّ الضَّالِّ وَالسَّمُرِ (١)

فالشاهد في البيت اجتماع "ها" التنبيه وكاف الخطاب في الاتصال باسم الإشارة الجمع، والظاهر أنه رغم جوازه عند بعض العلماء لسماعه من العرب، إلا أنه قليل الورد.

ولا تدخل "ها" التنبيه على اسم الإشارة البعيد، أي المقرون باللام أو ما يقوم مقامها مما يستعمل في المرتبة البعدى، فلا يقال: هاذلك أو هاهنالك، وقد علل ذلك بأحد أمرين (٢):

الأول منهما أن العرب كرهت كثرة الزوائد في كلامها واعتبرت كلا من الهاء واللام والكاف حروفا زائدة.

والثاني أنهم قالوا: إن كلا من الهاء واللام يفيد ويؤدي وظيفة التنبيه، لذلك لا يجوز أن يجتمعا في الدخول على اسم الإشارة.

الظاهر أن في هذين التعليين نوعا من المغالاة، لأن الحروف الزوائد ليس لها وظيفة في الكلام سوى التوكيد أحيانا، وحتى لو اعتبرت هاته الحروف زوائد، فإن لكل واحدة منها وظيفة خاصة — تؤديها عند اقترانها باسم الإشارة — تختلف عن وظيفة الأخرى، فالهاء للتنبيه على ما سيأتي، واللام للبعد، والكاف للخطاب.

وكذلك بالنسبة للرأي الثاني فاللام للبعد وليست للتنبيه. وحتى لو زعمنا أنها للتنبيه

(١): المساعد على تسهيل الفوائد، ابن عقيل، ج ١، ص ١٠٠. أميلح: من الملاحه وهي البهجة والحسن، شدن: شدن الغزال إذا قوي وبرز قرنائه، الضال والسمر: نباتات برية.

(٢): ينظر التذييل والتكميل، أبو حيان، ج ١، ص ١٠٠ / .

فإنه يجوز اجتماع حرفي تنبيه في سياق واحد، وذلك لتوكيد التنبيه وتقويته. كأن تجتمع "ألا" و"يا" في تركيب واحد وكلاهما للتنبيه. نحو قول الخنساء (ت26هـ):

أَلَا يَا صَخْرُ إِنَّ أَبْكَيْتَ عَيْنِي لَقَدْ أَضْحَكْتَنِي دَهْرًا طَوِيلًا^(١)

والأرجح عندنا هو ما ذهب إليه السهيلي^{*} (ت هـ) بقوله: "الأظهر أن اللام تدل على تراخٍ وبعدٍ في المشار إليه، وأكثر ما تقال في الغائب وما ليس بحضرة المخاطب، و"ها" تنبيه للمخاطب لينظر إلى ما بحضرته، لا إلى ما غاب عن بصره فلذلك لم يجتمعا."^(٢) فالظاهر أن هذا القول أكثر عقلانية وموضوعية من سابقه، لاستحالة تنبيه البعيد الغائب عن الحضور، فالتنبيه لا يكون على شيء بعيد غير موجود وإنما يكون على ما هو موجود.

تدخل "ها" التنبيه كثيرا على أول اسم الإشارة، مع أنها ليست من جملته، أو ملازمة له، إنما هي مجرد حرف جيء به لتنبيه المخاطب على المشار إليه، والدليل على ذلك جواز سقوطها منه، وورود اسم الإشارة مجردا منها.

والظاهر أنه كلما قرن اسم الإشارة بـ"ها" كلما كان ذلك أكد وأقوى، وهو ما يتجلى من خلال مقارنتنا بين جملتين جاء اسم الإشارة في الأولى مجردا من الهاء، كقولنا:

(١): ديوان الخنساء، تح: حمدو طماس، دار المعرفة، ط ، لبنان، ص .

* أبو القاسم السهيلي (— هـ): عالم أندلسي فاضل كبير القدر في علم العربية، كثير الاطلاع، اشتهر بذكائه وسعة اطلاعه له عدة مؤلفات منها: "الروض الأنف" الذي شرح فيه سيرة ابن هشام وكتاب "نتائج الفكر".

(٢): التذييل والتكميل، أبو حيان، ج ، ص .

من ذا الذي جاء؟ بينما قرن بها في الثانية نحو: من هذا الذي جاء؟ فرغم أن المثالين متطابقين إلا أننا نلمس في المثال الثاني نوعاً من المبالغة في الإشارة، والتعظيم للمشار إليه، والسبب دخول الهاء طبعاً.

أشرنا سابقاً إلى أن "ها" تدخل على مختلف أسماء الإشارة، وفيما يلي تفصيل لذلك:

أ — اسم الإشارة المفرد:

تدخل "ها" التنبيه على اسم الإشارة المفرد بنوعيه المذكر والمؤنث: فأما المذكر "ذا" فيصير "هذا" كقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: **هَذَا يَوْمٌ مَخْشَوْرَاءٌ وَلَمْ يَكْتَبْهُ اللَّهُ عَلَيْكُمْ صِيَامَهُ** (١)، كما تدخل على اسم تصغيره "ذِيّا" بالفتح والتشديد (٢)، فيقال: "هاذِيّا".

إذا اتصلت كاف الخطاب بـ "ذا" أو بتصغيره "ذِيّا" جاز معها أن تدخل عليهما "ها" التنبيه فيقال حينئذ: هاذاك وهاذِيّاك. ومنه قول طرفة بن العبد:

رَأَيْتُ بَنِي غَبْرَاءَ لَا يُنْكِرُونَنِي وَلَا أَهْلُ هَذَاكَ الطَّرَافِ الْمَمْدَدِ (٣)

وظف الشاعر في البيت اسم الإشارة المفرد، مقروناً بكل من "ها" التنبيه وكاف الخطاب، لأنه أراد التنبيه إلى مشار ليس بالقريب منه ولا البعيد، وإنما في المرتبة الوسطى.

وأما اسم الإشارة المفرد المؤنث فتدخل عليه "ها" التنبيه، فيقال: هذي أو هذه، نحو

(١): صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج، ص .

(٢): ينظر الكتاب، سيوييه، ج ، ص .

(٣): ديوان طرفة بن العبد، ص .

قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿هَذِهِ رَحْمَةٌ جَعَلَهَا اللَّهُ فِي قُلُوبِ عِبَادِهِ﴾^(١)،
وتدخل على "تي" فيقال "هاتي"، نحو قول الشاعر:

نَبَأْتُمَانِي إِنَّمَا الْمَوْتُ بِالْقُرَى فَكَيْفَ وَهَاتِي هَضْبَةً وَكَثِيبًا^(٢)

وتدخل على "تا" فيقال "هاتا"، نحو قول الشاعر عمران بن حطان* (ت هـ):

وَلَيْسَ لِعَيْشِنَا هَذَا مَهَاهُ وَلَيْسَتْ دَارُنَا هَاتَا بِدَارٍ^(٣)

لا تلحق كاف الخطاب إلا بهاتين الأخيرتين (تي، تا) من بين أسماء الإشارة المفردة المؤنثة، فإذا دخلت عليهما "ها" التنبيه قيل: هاتيك، وهاتاك، كقول أبي النجم العجلي** (ت هـ):

جئْنَا نُحْيِيكَ وَنَسْتَجْدِيكَ فَافْعَلْ بِنَا هَاتَاكَ أَوْ هَاتِيكَ^(٤)

فالشاهد في البيت توظيف اسمي إشارة للمفرد المؤنث، مقرون كل منهما بـ "ها" التنبيه وكاف الخطاب، والمقصود بهما افعل هاته أو تلك.

(١) : صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج، ص .

(٢) : شرح المفصل، ابن يعيش، ج ، ص .

* عمران بن حطان: أحد الشعراء المفلكين كان من أهل السنة فتزوج امرأة جميلة من الخوارج، فأحبها وارتد معها إلى مذهبها، له أبيات مشهورة في مقتل علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

(٣) : الكتاب، سيبويه، ج ، ص . المهاه: الصفاء والركة والحسن.

** أبو النجم العجلي (ت هـ): شاعر أموي اشتهر بقول الرجز حتى إن بعض الدارسين فضلوه على العجاج ورؤبة.

(٤) : الأدوات المفيدة للتنبيه، صالح المصري، ص .

امتنع تصغير المفرد المؤنث بـ "ذيا" كراهة التباس المذكر بالمؤنث^(١)، فقليل لأجل ذلك "تيا" في تصغير "ذي" و"ذه"، فإذا اتصلت بها كاف الخطاب قلنا "تياك"، وتدخل عليها "ها" التنبيه فيقال "هاتيا" مجردة من الكاف، و"هاتياك" إذا لحقتها كاف الخطاب.

ب — اسم الإشارة المثنى:

تدخل "ها" التنبيه على اسم الإشارة المثنى بنوعيه، فيقال في المذكر: "هذان" في الرفع، و"هذين" في النصب والجر، نحو قوله تعالى: ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِيَّ رَبِّهِمْ﴾^(٢)، وإذا لحقته كاف الخطاب قيل: هذانك، وهذينك. ويقال في التصغير "هذيان".

وتدخل على المؤنث منه فيقال "هاتان" في الرفع، و"هاتين" في النصب والجر، نحو قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ انْجَحِكَ بِإِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ﴾^(٣)، ويقال حين تلحقها كاف الخطاب "هاتانك" و"هاتينك"، وفي التصغير "هاتيانك".

ج — اسم الإشارة الجمع:

تدخل "ها" التنبيه على اسم الإشارة الجمع، فيقال هؤلاء (للمذكر والمؤنث)، كما في قوله تعالى: ﴿هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً﴾^(٤) وقد تلحق بها كاف الخطاب، فيقال هؤلاءك، كما في قول الأعشى:

(١): ينظر القتضب، المبرد، ج ، ص .

(٢): الحج: .

(٣): القصص: .

(٤): الكهف: .

هَؤُلَاءِ، ثُمَّ هَؤُلَاءِكَ كَلَّا أُعْطِيَ — ت نَعَالًا مَحْذُوءَةً بِنَعَالٍ^(١)

فالشاهد في البيت "هؤلا ثم هؤلئك"، حيث جاءت الأولى بالقصر — على لغة أهل نجد وقيس وغيرهم — متصلا بها "ها" التنبيه. أما الثانية فجاءت بالمد — على لغة أهل الحجاز^(٢) — متصلا بها كل من "ها" التنبيه وكاف الخطاب.

يصغر اسم الإشارة الجمع في حالتي القصر والمد، فيقال على التوالي: "أولياء" و"أولياء"، ويجوز أن تدخل عليهما "ها" التنبيه سواء اتصلت بهما كاف الخطاب، أم جرّدا منها فيقال: هؤليّك وهؤليّئك، ومنه قول الشاعر:

يَا مَا أُمِيلَحَ غَزَلَانَا شَدَنَّا لَنَا مِنْ هَؤُلِيَّائِ كُنَّ الضَّالِّ وَالسَّمُرِ^(٣)

استعمل الشاعر "هؤليائكن"، وهي تصغير "أولاء"، متصل بها كل من "ها" التنبيه، وكاف الخطاب، ونون النسوة. والأصل فيها قبل التصغير هو "هؤلئكن".

د — أسماء الإشارة الخاصة بالمكان:

أسماء الإشارة الخاصة بالمكان هي: هُنا، وَثَمَّ (ثَمَّة)، وتختص "ها" التنبيه بالدخول على الأولى منهما دون الثانية.

فـ "هنا" بضمّ الهاء وتخفيف النون اسم إشارة للمكان القريب، ملازم للظرفية (لا

(١): شرح المفصل، ابن يعيش، ج ١، ص ١٠٠.

(٢): ينظر الأدوات المفيدة للتنبيه، صالح المصري، ص ١٠٠.

(٣): المساعد على تسهيل الفوائد، ابن عقيل، ج ١، ص ١٠٠.

يكون فاعلا أو مفعولا أو مبتدأ، وإنما يكون ظرفا في جميع الأحوال)، يشار به كما يشار بالأسماء الأخرى؛ بيد أن هذه الأخيرة يشار بها إلى كل شيء، بينما "هنا" لا يشار بها إلا إلى ما حضر من المكان. ولها ما لـ "ذا" من مصاحبة كاف الخطاب، ولام البعد و"ها" التنبيه، فقد تأتي مصاحبة لها أو مجردة منها.

تدخل "ها" التنبيه على "هنا" إذا أشير بها إلى المكان القريب فيقال "ههنا"، نحو قوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ لَوْ كُنَّا لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قَتَلْنَا هَهُنَا﴾^(١) أما إذا أريد بها المكان المتوسط البعد، فإنها تكون مصاحبة لكاف الخطاب. ويقال حينئذ: "ههناك".

جملة الأمر من دخول "ها" التنبيه على أسماء الإشارة أنها تصحب ما كان للقريب كثيرا، كما تصحب المتوسط البعد، لكن بنسبة أقل نوعا ما من الأولى، ويمتنع دخولها إطلاقا على ما يكون في المرتبة البعدى؛ ذلك لأن تنبيه المخاطب إنما يكون لإبصار شيء قريب يسهل رؤيته، أو متوسط البعد يمكن إدراكه، ولا يكون لشيء بعيد تستحيل رؤيته، أو يعسر إدراكه.

2 — اتصافها بأيّ في النداء:

أيّ اسم مفرد مذكّر، مؤنّثه "آية" لا يثنى ولا يجمع في الحالتين بل يبقى دائما على حاله فيقال: يا أيها الرجل، يا أيها الرجال، كما يقال: يا أيتها المرأة، يا أيتها المرأتان، يا أيتها النساء.

(١): آل عمران: .

ليست "أي" هي المقصود بالنداء في الأصل، إنما هي مجرد اسم مبهم يأتي وصلة لنداء المعرف بالألف واللام، والاسم الذي يليها هو المقصود بالنداء، لكن لما امتنع نداؤه استعين بـ "أي" فصارت هي المنادى وبنيت على الضم لكونها عرفت بالقصد (نكرة مقصودة)، وصار الاسم بعدها نعتا لها.

تلحق "ها" التنبيه "أي" دائما وتلازمها فتكون واجبة الذكر معها، وقد علل ذلك بأحد أمرين:

الأول منهما: أن هذه الهاء جاءت عوضا عما تضاف إليه "أي"، باعتبار أن الأصل في هذه الأخيرة أن تكون مضافة لذلك جيء بـ "ها" التنبيه لتكون صلة لها^(١)، بسبب ما فاتهما من إضافة، ومن ثم قال العربون في "ها" أنها صلة وتنبيه. ففي قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾^(٢) المراد بالآية الكريمة نداء الذين آمنوا، ولكن نظرا لتعريف "الذين" بالألف واللام، فإنه لا يمكن نداؤهم مباشرة، وإنما يجب الاستعانة بـ "أي" لتصبح بذلك هي المنادي، ويصير "الذين" نعتا لها. ولأنه يستحيل القول "يا أي الذين" إذ تحتاج "أي" إلى صلة أو رابط يربطها بما بعدها، جيء بـ "ها" التنبيه عوضا عن المضاف إليه لتصلها بما بعدها.

والثاني: أنها تذكر للتفريق والتمييز بين الاستفهام والنداء اللذان تستعمل "أي" في كل واحد منهما. فإذا ألحقت الهاء بـ "أي" فهمنا أنه نداء، أما إذا جرّدت منها فإنه يلتبس

(١): ينظر الجني الداني، المرادي، ص . ومغني اللبيب، ابن هشام، ج ، ص .

(٢): الأنفال: .

الأمر، ويقع التداخل بين الاستفهام والنداء. ففي قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

يَا أَيُّهَا الْعَبْدُ اللَّئِيمُ الْمُتَّعِبُ إِنَّ كُنْتَ لِلْمَوْتِ مُحِبًّا فَاقْتَرِبْ^(١)

لا شك في أن "أي" في البيت للنداء، لكن إذا حذفنا حرف النداء "يا"، و"ها" التنبيه المتصلة بـ "أي" سنلاحظ ما يقع من التباس بين النداء والاستفهام، فلو قلنا أيّ عبد لئيم، سيكون الظاهر منه الاستفهام حتى لو أريد به النداء، ولكن لمجرد دخول "ها" يتأكد النداء حتى إن لم يذكر حرفه. وبالتالي تكون "ها" هي الحد الفاصل ما بين النداء وبين الاستفهام باستعمال "أي".

أما الاسم الذي يأتي بعد "ها" التنبيه المتصلة بـ "أي" فهو إما أن يكون:

أ — اسما معرفا بالألف واللام، نحو قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾^(٢)

ب — اسم إشارة كما في قول طرفة بن العبد:

أَلَا أَيُّهَذَا اللَّائِمِي أَحْضَرَ الْوَعَى وَأَنْ أَشْهَدَ اللَّذَاتِ، هَلْ أَنْتَ مُخْلِدي؟^(٣)

ج — اسما موصول معرفا بالألف واللام: نحو قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي

نَزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾^(٤) ولا تدخل على غير المعرف بـ "ال" (من، ما)

فلا يقال: يا أيها من أنزل، يا أيها ما أنزل، لأن فيهما ثقل وإبهام.

(١): ديوان الإمام علي بن أبي طالب، تح: عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة، ط ، ، بيروت، ص .

(٢): الفجر: .

(٣): ديوان طرفة بن العبد، ص .

(٤): الحجر: .

— دخولها على الماضي المقرون بقـد:

تدخل "ها" التنبيه على الفعل الماضي، شريطة أن يكون مقرونا بالحرف "قد"، ونحن نعلم ما تفيد "قد" من تحقيق إذا دخلت على الفعل الماضي، وبدخول "ها" التنبيه التي تفيد هي الأخرى تأكيد وتحقيق ما بعدها، يتم تأكيد ذلك الفعل والتنبيه إلى تحققه. ففي قولنا: قد نجحنا، نفهم أنه قد تمّ فعل النجاح وتحقيق، ولكن بدخول "ها" عليه: ها قد نجحنا، يتمّ التنبيه إليه، والتأكيد على تحققه.

4 — دخولها على "أن" المشبهة بالفعل:

قد تدخل "ها" التنبيه على "أن" في بعض الأحيان، حسب ما ذهب إليه بعضهم، إلا أن ذلك ليس من الشائع كثيرا في كلام العرب، نحو قول النابغة الذبياني (ت ق هـ):

هَـا إِنْ ذِي عِذْرَةٍ إِلَّا تَكُنْ نَفَعْتُ فَإِنْ صَاحِبَهَا مُشَارِكُ النَّكَدِ^(١)

استشهد بعضهم بهذا البيت على أن فيه فصل بين "ها" التنبيه، وبين اسم الإشارة، فردّ عليهم أبو حيان هذا الزعم، واعتبر أنه ليس من جنس ما فصل فيه بين الهاء وبين اسم الإشارة^(٢)، محتجا في ذلك بأن "ذي" اسم "إن" و"عذرة" خبرها، ولا يمكن تركيب "ها" التنبيه مع اسم الإشارة. فهي لم تدخل عليه ليقال فصل بينهما، ومن ثمة لم يجز القول "هذي إن عذرة" لأنه ليس كلاما مفيدا أو مفهوما.

(١): ديوان النابغة الذبياني، تح: حمدو طماس، دار المعرفة، ط ، ، بيروت، ص . عذرة: معذرة إليك، النكد:

العسر وقلة الخير.

(٢): ينظر التذييل والتكميل، أبو حيان، ج ، ص .

ومع اعتقادنا بصحة ما ذهب إليه أبو حيان من أنه لا يمكن القول "إن هذي عذرة"، إلا أننا نزعم أنه يمكن تفسير ذاك التركيب من وجهة أخرى فنقول "إن هذي عذرة"؛ بحيث تتصل "ها" باسم الإشارة، ويبقى إعراب "ذي" دائما نفسه، أي اسم "إن" سواء اتصلت بها "ها" التنبيه، أم لم تتصل. لأن هذه الأخيرة ليس لها محل من الإعراب و"عذرة" خبرها. ثم فصل بينهما ربما رغبة في تقديم التنبيه، نظرا لما له من أهمية في التمهيد لغيره من الكلام، وفي تهيئة المخاطب لسماعه.

5 — دخولها على اسم الله تعالى في القسم:

تقع "ها" التنبيه في باب القسم مع اسم الجلالة "الله"، وتكون عوضا عن حرف القسم نحو: ها الله لأفعلن كذا، بتقدير والله لأفعلن كذا. ويكون اسم الجلالة في ذلك مجرورا بحرف القسم المحذوف الذي نابت عنه "ها" التنبيه. والدليل على نيابة هذه الأخيرة عن حرف القسم هو عدم الجمع بينهما. ومنه قول الشاعر:

هَآ اللهُ لَنْ أَبْرَحَ بَابَ الدَّارِ أَوْ أَقْضِيَنَّ مِنْكُمْ أَوْطَارِي^(١)

نابت "ها" التنبيه في البيت عن حرف القسم، ودخلت على اسم الجلالة وكان الأصل فيه: والله أو تالله. ومثله كذلك قول زهير بن أبي سلمى (ت ق هـ):

تَعَلَّمْنَ! هَا، لَعَمْرُ اللهِ، ذَا قَسَمَا فَاقْدِرْ بِذَرْعِكَ وَأَنْظُرْ أَيْنَ تَنْسَلِكُ^(٢)

(١): كفاية المعاني في حروف المعاني، عبد الله الكردي البيتوشي، ص . الأوطار: جمع وطر وهو الحاجة.

(٢): ديوان زهير بن أبي سلمى، تح: حمدو طماس، دار المعرفة، ط ، ، بيروت، ص .

نلاحظ أنها — في هذا البيت — لم تدخل على اسم الجلالة مباشرة، وإنما دخلت على صيغة من أبرز صيغ القسم (لعمركم الله) في كلام العرب، وربما كان ذلك للتنبيه على القسم، ولتقويته وتوكيده.

- جاء في دخول "ها" على اسم الجلالة أربعة أوجه هي^(١):
- إثبات ألف "ها" مع قطع همزة "الله": ها الله، ومع وصلها: ها الله.
- حذف ألف "ها" مع قطع الهمزة: هالله، ومع وصلها: هالله.

6 — دخولها على ضمائر الرفع المنفصلة:

يكثر دخول "ها" التنبيه على ضمائر الرفع المنفصلة جميعاً دون استثناء، والشائع دخولها عليها إذا كان مخبراً عنها باسم الإشارة كقوله تعالى: ﴿هَآؤُلَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَهُمْ﴾^(٢) — "ها" للتنبيه، وأنتم: مبتدأ، وأولاء (اسم الإشارة) خبره.

ورغم كثرة هذا وشيوعه من حيث الاستعمال، إلا أنه يجوز أن يخبر عن ذاك الضمير بغير اسم الإشارة؛ فقد يخبر عنه بالاسم المفرد، كقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين وقف أبو سفيان بعد انتهاء معركة أحد يسأل عن كبار المسلمين: "هذا رسول الله عليه السلام، وهذا أبو بكر، وها أنا عمر..."^(٣) فقد دخلت ها للتنبيه على المبتدأ "أنا" الذي أخبر عنه باسم مفرد ظاهر "عمر".

(١): ينظر الجني الداني، المرادي، ص .

(٢): آل عمران: .

(٣): النحو الوافي، عباس حسن، ج ، ص .

وقد يخبر عنه بجملة فعلية كقول الشاعر:

هَآ أَنَا آمَلُ الْخُلُودَ وَقَدْ أَدْرَكَ عُمْرِي وَمَوْلِدِي هُجْرًا^(١)

ها: للتنبيه، أنا: مبتدأ، آمل: فعل مضارع فاعله مستتر والجملة الفعلية في محل رفع خبر.

وقد يخبر عنه بشبه جملة كما في قول المتنبي (ت هـ):

وَكُنْتُ مِنَ النَّاسِ فِي مَحْفَلٍ فَهَآ أَنَا فِي مَحْفَلٍ مِنْ قُرُودٍ^(٢)

أخبر عن الضمير الذي دخلت عليه "ها" بشبه جملة من الجار والمجرور.

خطأ بعضهم دخول "ها" على ضمير الرفع المنفصل المخبر عنه بغير اسم إشارة، فزعموا أنت تلك الهاء مفصولة في الأصل عن اسم الإشارة، وأنهم عندما قالوا: ها أنا ذا إنما أرادوا: أنا هذا، أو هذا أنا^(٣)، بيد أن سيبويه قال بخلاف هذا المذهب واعتبر "ها" غير مقدمة، وإنما دخلت على ضمير الرفع المنفصل تماما كما تدخل على اسم الإشارة، بحجة دخولها على الضمير وعلى اسم الإشارة الذي يليه معا، نحو قوله تعالى: ﴿هَآ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ جَاذَلْتُمْ عَنْهُمْ﴾^(٤) حيث ذكرت "ها" مرتين، دخلت الأولى على الضمير "أنتم"، بينما دخلت الثانية على اسم الإشارة توكيدا للأولى، وزيادة في التنبيه. فلو كانت الأولى كما زعموا مفصولة عن اسم الإشارة لاكتُفي بها، ولما جاز أن تدخل الثانية عليه.

(١): الأدوات المفيدة للتنبيه، صالح المصري، ص .

(٢): شرح ديوان المتنبي، عبد الرحمن البرقوقي، دار الكتاب العربي، دط، بيروت، ج ، ص .

(٣): ينظر الكتاب، سيبويه، ج ، ص . والتذييل والتكميل، أبو حيان، ج ، ص .

(٤): النساء: .

7 — دخولها على اسم الفعل "لَمْ":

تدخل "ها" التنبيه على "لَمْ" التي هي اسم فعل أمر بمعنى: إيتِ وأقبل وتعال. فيقال هلمَّ يا رجل، أيَّ تعال يا رجل.

إنما حذفت ألف "ها" لكثرة الاستعمال، وجعلت مع "لَمْ" بمثابة الاسم الواحد. قال ابن جني: "... كثر استعمالها فحذفت الألف تخفيفاً، ولأن اللام بعدها متحركة فإنها في حكم السكون. ألا ترى أن الأصل وأقوى اللغتين — وهي الحجازية — أن تقول المُم بنا، فلما كانت لام "هلمَّ" في تقدير السكون حذف لها ألف "ها" كما تحذف لالتقاء الساكنين فصارت "هلمَّ".^(١) ولا تحذف هذه الهاء بل هي ملازمة له، تتصل به دائماً، وربما كان ذلك للحاجة إلى تنبيه المخاطب قبل طلب إقباله وإتيانه، سعياً إلى ضمان استجابته للطلب.

فإذا قيل للشخص هلمَّ إلى كذا. أجاب إلامَ أهلمَّ بفتح الهمزة والهاء، وإذا قيل له هلمَّ كذا أجاب بالنفي لا أهلمَّ بمعنى لا أعطيكه وهي — كما يرى الحجازيون — على لفظ واحد لا تتصرف في التثنية والجمع أو التذكير والتأنيث نحو قوله تعالى: **لَقَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا**.^(٢) فقد جاءت "هلمَّ" على حالها بصيغة واحدة، ولم تتصرف حسب السياق رغم أن المخاطب جمعٌ.

(١): الخصائص، ابن جني، ج ١، ص ١٠٠.

(٢): الأحزاب: ١٠. المعوقين هم الذين يدعون المسلمين إلى عدم الجهاد، وهلمَّ إلينا بمعنى تعالوا إلينا وانظروا راحتنا.

يجدر بنا الإشارة إلى أنه ليست كل "ها" ممدودة في العربية للتنبيه، بل هناك منها ما يصنف في باب الحروف وهي تلك السالفة الذكر، وهناك ما يصنف ضمن الأفعال أو ما شابهها، ولكل واحدة منهما خصائصها وسماتها التي تميزها عن الأخرى.

هذا بغض النظر عن تلك الهاء التي تكون ضميرا للمفردة المؤنثة الغائبة، متصلا بأواخر الأسماء والأفعال، وتكون في محل نصب إذا اتصلت بالأفعال أو بالحروف المشبهة بالأفعال، وتكون في محل جر إذا اتصلت بالأسماء، كقول كعب بن زهير (ت هـ):

أَمِنْ دِمْنَةٍ قَفَرٍ تَعَاوَرَهَا طُولُ الْبَلَى لَعَيْنَيْكَ أَسْرَابُ تَفِيضٍ غُرُوبُهَا^(١)

فالهاء في "تعاورها" ضمير متصل في محل نصب مفعول به، أما في "غروبها" فهي في محل جر مضاف إليه.

لا تحتاج هذه الهاء إلى تفصيل كبير نظرا إلى أنه ليس يعتريها غموض يجعلها تلتبس علينا مع "ها" التنبيه. فما يهمنا بالخصوص تلك التي تكون:

اسم فعل أمر:

من الوظائف التي تؤديها "ها" أنها تكون اسم فعل أمر مبني على السكون بمعنى "خذ" و"تناول"، يقال ها يا رجل بمعنى خذ يا رجل. وقد تمد ألفه فيقال "هاء" فيتصرف حينئذ مع المثنى والجمع، المذكر والمؤنث نحو قوله تعالى: ﴿هَآؤُمْ أَقْرَبُوا كِتَابِيهِ﴾^(٢) إذ جاءت

(١): ديوان كعب بن زهير، تح: درويش الجويدي، المكتبة العصرية، ط ، ، بيروت، ص .

(٢): الحاقة: .

"هاؤم" بصيغة الجمع.

وتلحق به كاف الخطاب في حالة القصر فيقال هاك، هاك، هاكما، هاكم، هاكن؛ أما في المد فتنبوهمزة عن الكاف وتتصرف تصرفها^(١) فيقال: هاء، هاء، هاؤما، هاؤم، هاؤن.

نلاحظ أنه إذا كانت "ها" — التي هي اسم فعل أمر — ممدودة أو متصلة بها كاف الخطاب، لا يقع اللبس بينها وبين التي تؤدي وظيفة التنبيه. أما إذا كانت مقصورة مجردة من كاف الخطاب فهناك يقع التشابه؛ بحيث يلزم على الدارس مراعاة السياق بأكمله، حتى يتمكن من التمييز بينهما، وبالأخص إذا وليها حرف النداء "يا".

الحروف المختلف في إفادتها التنبيه:

يجدر بنا الإشارة في آخر هذا الفصل أن ثمة حروف أخرى لم يذكرها العلماء في باب التنبيه، إلا أنهم أشاروا إليها في أبواب أخرى كما أنهم لم يجمعوا على إفادتها التنبيه؛ فهناك من قال به وهناك من خالفه، وهذه الحروف هي: كاف الخطاب، كلاً، ووي.

فأما كاف الخطاب، فقليل إنما تأتي تنبيهها على حال المخاطب من الأفراد والتنبيه والجمع والتذكير والتأنيث... أي تبياناً لحاله وتوضيحاً لها، فإذا لحقت اسم الإشارة تكون للتحقق من تنبيه المخاطب للمشار إليه^(٢) إذا كان غافلاً أو بعيداً نسبياً عن المتكلم، أو إذا ظن ذلك. فالمقصود بتنبيهها إذاً هو مجرد توضيح حال المخاطب وليس تهنيئته إلى

(١): ينظر شرح المفصل، ابن يعيش، ج ١، ص ١٠٠. ومغني اللبيب، ابن هشام، ج ١، ص ١٠٠.

(٢): ينظر في النحو العربي (قواعد وتطبيق)، مهدي الخزومي، ص ١٠٠.

سماع أو استقبال رسالة ما من المتكلم.

وأما "كلاً" فذكر سيبويه وأكثر البصريين أنها حرف ردع وزجر، لا وظيفة لها عندهم غير ذلك، فيوقف عليها في الكلام ويبدأ بما بعدها. ورأى آخرون أن هذا (الردع والزجر) غير مستمر فيها فقالوا إنّ لها وظيفة أخرى تؤديها، يجوز من خلالها أن يوقف على ما قبلها، ويبدأ بها، فاختلفوا في تحديد هذه الوظيفة^(١)، وكانوا على ثلاثة آراء: فإما أن تكون بمرتلة حقا، أو "ألا" الاستفتاحية، أو حرف الجواب "أي".

فإذا كانت بمرتلة "ألا" الاستفتاحية فإنها تؤدي وظيفة التنبيه ويكون تقدير الكلام ارتدع وتنبه. وما نلاحظه أن التنبيه غير أصيل فيها كما أنه غير متفق عليه من قبل العلماء.

وأما الحرف الثالث الذي قيل إنه يفيد التنبيه فهو "أي"، وهو رأي البصريين^(٢) الذين شبهوه بـ "ها" في الوظيفة، بيد أن الأول تنبيه على الزجر، والثاني تنبيه على الحض. وقد ذكر المالقي أن "وي": "تقال للرجوع عن المكروه والمحذور، وذلك إذا وجد رجل يسبّ أحدا يوقعه في مكروه، أو يتلفه أو يأخذ ماله، أو يعرض به لشيء من ذلك، فيقال لذلك الرجل: وَيْ، ومعناها تنبه وازدجر عن فعلك."^(٣) أي أنها تفيد تنبيه المخاطب على الخطأ الذي وقع فيه، أو الذنب الذي ارتكبه، ومن ثمة تفيد زجره عنه، إذ يقصد المتكلم منذ البداية أن يطلب منه الكفّ عن ذاك الفعل. ومثل لها بعضهم بقول الشاعر:

(١): ينظر شرح المفصل، ابن يعيش، ج ١، ص ١٠٠. والإتقان في علوم القرآن، السيوطي، ج ١، ص ١٠٠.

(٢): ينظر الأدوات المفيدة للتنبيه، صالح المصري، ص ١٠٠.

(٣): رصف المباني، المالقي، ص ١٠٠.

وَيَ، كَأَنَّ مَنْ يَكُنْ لَهُ نَشَبٌ يُحْ بَبْ، وَمَنْ يَفْتَقِرْ يَعِشْ عَيْشَ ضُرٍّ ()
سَأَلْتَنِي الطَّلَاقَ إِذْ رَأَيْتَنِي قَلَّ مَالِي، قَدْ جِئْتُمَنِي بُكْرَ

قال بعضهم إن "وي" في هذا البيت لا تفيد التنبيه والزجر بل هي فعل أمر بمعنى أتعجب وهو ما نميل إليه أكثر ونرجحه فالشاعر يحكي متعجبا عن فعل زوجته اللتين سألتاه الطلاق لفقره.

ومهما يكن من أمر إفادة "وي" التنبيه فإنه يبقى نسبيا نظرا لاختلاف العلماء منذ البداية حول ذلك ونظرا لما لمسناه من إفادتها التعجب في البيت السابق.

خلاصة القول من هذا الفصل أن هذه الحروف (كاف الخطاب، كلاً، ووي) غير مذكورة في باب التنبيه، كما أنها غير متفق عليها من قبل العلماء. فحتى إن ثبت فيها نوع من التنبيه فإنه يكون مجرد وظيفة ثانوية تؤديها حيناً ولا تؤديها أحياناً أخرى كثيرة.

أمّا الحروف الثلاثة الأولى (ألا، أما، ها) التي درسنا وظائفها ومختلف مواقعها في الكلام فهي تلك الحروف التي ذكرها النحاة في باب التنبيه، وليست هذه وحدها في الحقيقة التي ينبه بها في اللغة العربية؛ بل ثمة حروف أخرى ذكرها النحاة في باب النداء وهي على غير سابققتها لا ينبه بها على العموم؛ بل ينبه بها فئة معينة فقط دون غيرها هي فئة المناديات، لذلك سنتناولها في الفصل الموالي إضافة إلى الحرف "يا" الذي ذكره النحاة أصالة في البابين، والذي لم نذكره نحن في هذا الفصل، إذ أجّلنا الحديث عنه — عمداً — إلى الفصل الموالي حتى نتمكن من التمييز ومعرفة خصائصه في كلا البابين.

() : الأصول في النحو، ابن السراج، ج ، ص .

الفصل الثالث

حروف النداء

— مفهوم النداء.

— الحروف التي ينادى بها القريب.

— الحروف التي ينادى بها البعيد.

أولاً — مفهوم النداء:

النداء مصدر وردت فيه أربع لغات؛ يكون بالمد والقصر، كما يكون بضم النون وكسرها^(١)، بيد أن الشائع فيه الجاري على ألسنة العرب، هو المد مع كسر النون.

وهو في اللغة بُعد الصوت وامتداده، قال ابن فارس: "النون والبدال والحرف المعتل يدلّ على تجمع، وقد يدل على بلل في الشيء ... ومن الباب ندى الصوت: بُعد مذهبه، وهو أندى صوتاً منه: أي أبعد." ^(٢) وقيل هو الدعاء ورفع الصوت، فقد جاء في المعجم الوسيط أن النداء من "نادى الشيء مناداةً ونداءً: ظهر... وفلاناً: دعاه وصاح بأرفع الأصوات." ^(٣) أي أنه يرتبط ارتباطاً مباشراً بمدى رفع الصوت ومدّه.

غير بعيد عن هذا التعريف اللغوي يعرف النداء في الاصطلاح بأنه "التصويت بالمنادى ليعطف على المنادي." ^(٤) فهو دعوة المخاطب (المنادى)، وطلب إقباله، لتنبيهه واسترعاء سمعه وفكره إلى ما سيلقى عليه، وبالتالي لحمله على الالتفات والاستجابة.

نلاحظ من تعريف النداء أنه مبني على أساس التخاطب والتواصل، فهو يركز على العناصر الثلاث الأساسية التي تقوم عليها كل عملية تواصلية من مرسل متكلم (منادٍ)، ومستقبل متلقٍ (منادى)، ومرسلة كلامية هي غرض المنادي من استعمال النداء، أو الهدف الذي يرمي إلى تبليغه وتوصيله إلى المنادى.

(١): ينظر ارتشاف الضرب، أبو حيان، ج ١، ص ١٠٠.

(٢): معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ج ١، ص ١٠٠ /

(٣): المعجم الوسيط، مجموعة باحثين، مكتبة الشروق الدولية، ط ١، مصر، ص ١٠٠.

(٤): شرح المفصل، ابن يعيش، ج ١، ص ١٠٠.

طالما أن النداء هو طلب الإقبال بواسطة مجموعة من الحروف الخاصة والمنوطة بأداء هذه الوظيفة فإنه "لا ينادى حقيقة إلا المميّز الذي تتأتى إجابته، وأما غيره كيا جبال، ويا أرض فاستعارة مكنية حيث شبهه بالميّز في النفس، ويا تخيل." (١) فالأصل فيه نداء العاقل، الذي يُتَظَرَّ إقباله واستجابته، والذي نسعى إلى لفت انتباهه إلى أمر ما، أو إلى سماع الرسالة الكلامية، ليكون في استدعائه وإسماعه فائدة.

ويجوز مع هذا نداء غير العاقل على سبيل المجاز من حيوان وجماد، ومظاهر للطبيعة، وحالات وجدانية ونفسية، كأحوال النفس وعواطفها من حب وبغض وحسرة... إلّا أن نداء مثل هذه الأمور لا يكون في الحقيقة لطلب الإقبال، وإنما يكون لأغراض أخرى يقصدها المتكلم ويرمي إليها، لأنه لا يمكن طلب إقبال أو لفت انتباه مثل هذه الأمور.

ولا يكون النداء لمجرد طلب الإقبال؛ بحيث لا يمكن أن ننادي ثم نسكت، لذلك لا يأتي منفردا في الكلام، فغالبا ما يكون مصحوبا بأحد الأساليب الأخرى، ترافقه، ويكون هو بمثابة التمهيد والتهيئة لها كالنهي والأمر والاستفهام وغيرها. قال سيبويه: "ولأن أول الكلام أبدا النداء، إلّا أن تدعه استغناءً بإقبال المخاطب عليك، فهو أول كل كلام لك، به تعطف المكلّم عليك." (٢) فقوله أول الكلام أبدا دليل على أهمية النداء، ووظيفته الكبرى في الكلام المتمثلة في تنبيه المخاطب وطلب إقباله بحيث لا يشترط في ذاك الإقبال أن يكون جسديا، إنما يكون بالالتفات والسمع والتركيز أي يكون ذهنيا أو فكريا.

(١): حاشية الخضري على شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، محمد الخضري، دار الفكر، دط، دت، بيروت، ج ،

وكان النداء يعدّ النفس ويهيئها لتلقي تلك الأساليب، فهي تتقوى به، وتستند عليه لأنه يوقظ النفس، ويلفت الذهن، وينبه المشاعر. فإذا ما جاء بعده الأمر أو النهي أو الاستفهام "صادف نفساً مهيّأة يقظة فيقع منها موقع الإصابة حيث تتلقاه بحس واع وذهن متنبه. ولذا كثر مصاحبة النداء لتلك الأساليب." (١) فالتكلم لا يبادر إلى تبليغ رسالته إلاّ حين يدرك إقبال المخاطب (المنادى) عليه. أما الحالات التي ترد فيها تلك الأساليب أو الأغراض من دون نداء أو تنبيه فهي التي يكون فيها المتكلم متأكداً من إقبال المخاطب عليه واستعداداه .

يتجلى لنا من خلال ما سبق أن النداء يرتبط ارتباطاً مباشراً بالتنبيه؛ بل هو تنبيه في حد ذاته ولا شيء غير ذلك. وهو ما أكدّه ابن يعيش بقوله: "وأصل النداء تنبيه المدعو ليقبل عليك وتؤثر فيه." (٢) فالفائدة العظمى منه إذاً هي طلب إقبال المنادى، ولفت انتباهه، وتهيئته لاستقبال الرسالة الكلامية التي غالباً ما تكون إحدى الأساليب الطلبية من أمر ونهي ونحوه.

وبناء على ذلك، سميت حروف النداء بالحروف التي ينبّه بها المدعو (المنادى)، لأنها تختص بتنبيه طائفة معينة فقط هي طائفة المناديات، بخلاف الحروف الأخرى التي لا تختص بطائفة معينة، والتي تكون للتنبيه في جميع الأحوال، وليس في النداء فقط.

(١): علم المعاني (دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني)، بسيوني عبد الفتاح فيود، مؤسسة المختار، ط ٢ ، القاهرة،

ص .

(٢): شرح المفصل، ابن يعيش، ج ١ ، ص .

حروف النداء وعدتها:

لم يختلف جمهور العلماء كثيرا في ذكر عدة الحروف التي ينبه بها المدعو، فهي خمسة (يا، أيا، هيا، أي، والهمزة) عند كل من سيبويه، ابن جني، الحريري البصري، وابن يعيش، وغيرهم. ولم يذكروا "وا" معها باعتبارها مقتصرة على الندبة وخاصة بها، والندبة لا يطلب منها إقبال المخاطب أو المندوب، ولا يرجى منها لفت انتباهه، فهي مد الصوت تفجعا وحزنا للتعبير عن المصيبة التي حلت بالشخص حتى يعلمها الحاضرون. ومنهم من أضاف إلى تلك الحروف الخمسة "آ" و"آي" بالمد وقال هما لنداء البعيد.

تأتي حروف النداء في الكلام فتكون بمثابة الفعل أدعوا، وتؤدي معناه، وهو ما طرح إشكالا بين العلماء وجعلهم يختلفون في شأنها، فاعتبرها بعضهم أسماء أفعال، واعتبرها بعضهم الآخر حروفا.

فمن أصحاب الرأي الأول بعض الكوفيين، والمرادي الذي قال: "يا وأخواتها التي ينادى بها أسماء أفعال تتحمل ضميرا مستكنا فيها."^(١) فهذا الضمير الذي يقصده يكون مستترا ويعود على المنادي، أي هو الفاعل.

راح بعضهم يؤكد هذا الزعم، ويحتج بأن الهمزة تصنف ضمن مختلف أقسام الكلم^(٢) فهي حرف في الاستفهام، وفعل أمر من الوأي بمعنى الوعد، ثم اسم فعل بمعنى أدعو عندما تكون للنداء.

(١): الجني الداني، المرادي، .

(٢): ينظر حاشية الخضري على شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، محمد الخضري، ج ، ص .

ردّ السيوطي على هؤلاء الذين زعموا أن حروف النداء أسماء أفعال "بأنه لو كانت كذلك لتحملت الضمير، وكان يجوز اتّباعه كما سمع في سائر أسماء الأفعال، ولاكتفي بها دون المنصوب لأنه فضلة، ولا قائل بأنها تستقل كلاماً." (١) ذلك لأنه ليس ثمة فعل مقدر فيها.

ونحن على مذهب السيوطي لأن أسماء الأفعال تحمل ضميراً مستترا وليست كذلك حروف النداء رغم زعمهم ذاك، كما أن أسماء الأفعال جملٌ تامّةٌ ترد مستقلة بنفسها ويستقيم بها الكلام فقد نقول: صه أو مه أو هيهات ونسكت، فيتم المعنى دون إضافة شيء، ويكون تقدير الضمير في صه ومه أنت، بينما يكون في هيهات هو.

وليست كذلك حروف النداء بحيث لا يمكننا أن نقول: يا ونسكت، لأنها ليست جملة ولا تؤدي الغرض المطلوب؛ بل لا بد دائماً من ذكر المنادى لأن به يتحدد الغرض ويزول الإبهام. فلو كانت (حروف النداء) أسماء أفعال لصحّ الاكتفاء بها وحدها من غير ذكر المنادى، ولتمت الجملة بها، وفهم المقصود.

العامل في المنادى:

يسمى الاسم بعد حرف النداء منادى، وهو المطلوب إقباله. ويصنف من حيث الوظيفة النحوية ضمن قسم الفضلة، وهو إما أن ينصب على أنه مفعول به، وإما أن يبنى على الضم ويكون في محل نصب، وهو في كلتا الحالتين — باتفاق العلماء والنحاة — واجب الذكر حتى لا يفوت أو يضيع الغرض من النداء.

(١): همع الهوامع، السيوطي، ج ١، ص ١٠٠.

وثمة إشكال مطروح هنا يخص ناصب المنادى أو العامل فيه، فهل هو حروف النداء؟ أم الفعل المحذوف الذي نابت عنه تلك الحروف؟.

انقسم العلماء في هذا إلى فريقين، يرى الأول منهما أن حروف النداء هي التي تعمل في المنادى وتنصبه، وليس الفعل المحذوف المقدر بأدعو أو أنادي؛ فنظرا لأنها توغل في شبهه جاز لها أن تنوب عنه وتعمل عمله. وهو مذهب بعض الكوفيين الذين يرون أن المنادى لم يحذف عامله^(١)، ولم يقدر في الكلام، إنما هو منصوب بحرف النداء الذي سد مسد الفعل المحذوف، والفاعل مقدر حسبهم.

وأما الفريق الثاني فيرى أن ناصبه والعامل فيه فعل مضمر تقديره أدعو، ولكنه حذف "حذفا لازما لكثرة الاستعمال، ولدلالة حرف النداء عليه، وإفادته فائدته." ^(٢) وهذا مذهب كل من سيويه وجمهور البصريين الذين رأوا أنه لكثرة استعمال النداء في كلامهم حذف فعله وصارت "يا" بدلا من ذكره، ونابت عنه وبقي الفعل مقدرًا بأدعو أو أنادي أو أريد، فالأصل في قولهم يا عبد الله هو: يا أريد عبد الله، أو يا أدعو عبد الله. ردّ ابن يعيش على أصحاب الفريق الأول ردّا يبطل ما يذهبون إليه من كون حروف النداء هي العامل في المنادى، باعتبار أن نيابتها عن الفعل أدعو أو أنادي من الناحية التواصلية لا توجب ولا تحوّل لها النيابة عنه في نصب المنادى أو العمل فيه.

(١): ينظر شرح شذور الذهب، محمد بن عبد المنعم الجوجري، تح: نواف بن جزاء الحارثي، مكتبة الملك فهد الوطنية، ط ،

، السعودية، ج ، ص .

(٢): المصدر نفسه، ج ، ص .

إذ ليست نياتها عنه سوى لضرب من الإيجاز والاختصار، فإذا قالوا هي العاملة وقعوا في التناقض، وكان ذلك "تراجعا عمّا اعتزموه من الإيجاز وعوداً إلى ما وقع الفرار منه، لأن الفعل يكون ملحوظاً مراداً، فيصير كالثابت، وإذا كان كذلك فلا يجوز لهذه الحروف أن تعمل، وإذا لم تكن عاملة كان العمل للفعل المحذوف." (١) وإنما حذف هذا الفعل رغبة في الاختصار والابتعاد عن الإكثار من جهة، ولما في التصريح به وذكره من إخبار من جهة ثانية. نظراً لأن النداء ليس بإخبار، ومع كل هذا يبقى الفعل مقدراً ولا شك في كونه موجوداً وعاملاً في الاسم المنادى.

فبناء على ما سبق، ونظراً لطغيان نظرية العامل على الدراسات اللغوية العربية، فقد صنفت جملة النداء ضمن الجمل الفعلية، وليس المنادى بأحد جزأها لأنه منصوب على المفعولية (مفعول به)، فجزءا الجملة عند سيويه وأتباعه — الفعل والفاعل — مقدران، أما عند غيرهم فقد سدّ حرف النداء مسد أحد الجزأين وهو الفعل، أما الفاعل فمقدّر.

وفي كلتا الحالتين حذف الفعل لأن النداء أسلوب إنشائي مكوّن في الظاهر من حرف واسم، فإذا أظهر ذاك الفعل أو صرح به خرج من الإنشاء إلى الخبر، قال ابن جني: "ألا ترى أنه لو تُجشّم إظهاره فقليل أدعو زيدا، وأنادي زيدا لاستحال أمر النداء، فصار إلى لفظ الخبر المحتمل للصدق والكذب، والنداء مما لا يصح فيه تصديق وتكذيب." (٢) ومن ثمة كان لازم الإضمار، لأن الغرض من النداء رفع الصوت، والتصويت بالمنادى، ولا

(١): شرح المفصل، ابن يعيش، ج ١، ص ١٠٠.

(٢): الخصائص، ابن جني، تح: محمد علي النجار، المكتبة العلمية، دط، مصر، دت، ج ١، ص ١٠٠.

يتحقق ذلك بذكر الفعل. وهو ما نلاحظه من خلال ندائنا شخصا بالحرف ثم ندائه بالفعل؛ إذ ليس قولنا: يا زيد مثل قولنا: ناديت أو أنادي زيدا. بحيث نلمس الفرق بينهما والاختلاف في درجة النداء وقوته. ففي الحرف اختصار وخفة وتصويت بالمنادى يقصد من خلاله الإنشاء، ويعرف منه أن المتكلم يطلب إقبال المنادى ويسعى إلى لفت انتباهه.

أما الفعل ففيه ثقل، وإطالة في الكلام، إضافة إلى أن ظاهر الأسلوب يصبح به كأنه خبري. فما من أحد يسمع قولنا: أنادي زيدا إلاّ وظن أننا نخبر بذلك، لأنه ليس فيه تصويت مثل الذي في الحرف. وعليه فقد لزم إظهاره (الفعل)، ولم يجز التصريح به لما فيه من خروج عن الغرض الأصلي للنداء.

حذف حرف النداء:

شاع في اللغة العربية، وفي أسلوب النداء بالخصوص ظاهرة حذف حرف النداء، وهذا الحذف يكون في أغلب الأحيان من خصائص الطوابع وأشباه الطوابع، والآيات المستأنف بها في القصائد الشعرية^(١)، بحيث يتترّل المنادى بعد الحذف في صدارة الكلام فيبرز لفظه ويقوى معناه، وينحصر فيه الاهتمام.

يجوز حذف حرف النداء حذفاً لفظياً مع ملاحظة تقديره، ولا يقدر سوى الحرف "يا" من دون سائر حروف النداء لأنها أم الباب. وليس ذاك الحذف بجائز على العموم، أو في مطلق الأحوال؛ بل على العكس هناك حالات يجوز فيها، وأخرى يمتنع فيها، وكلّ

(١): ينظر أسلوب النداء في اللهب المقدس (رسالة ماجستير)، عبد القادر موفق، جامعة وهران، ص .

ذلك متعلق بطبيعة المنادى، إذ منه ما يقبل الحذف، ومنه ما لا يقبله.

اختصر ابن يعيش هذه المواضع فقال: "كل ما يجوز أن يكون وصفا لأيّ ودعوتّه فإنّه لا يجوز حذف حرف النداء منه، لأنّه لا يجمع عليه حذف الموصوف، وحذف حرف النداء فيكون إجحافاً." (١) ولأنّ "أيّ" مبهم فإنّه لا يوصف إلا بمعرف بالألف واللام، أو بمبهم مثله فلا يقال في النداء: رجل أقبل، ولا هذا اهتم، لأنّها قد تكون وصفا لأيّ، لذلك وجب إظهار الحرف فيقال: يا أيّها الرجل، يا أيّها اهتم.

ذكر العلماء مواضع أخرى — لا تقتصر على ما ذكره ابن يعيش — يكون فيها المنادى بحاجة دائمة إلى مد الصوت ورفع. وهو ما يستوجب ذكر الحرف لأنّه الوحيد القادر على تأدية مثل هذه الوظيفة، ممّا يجعل في حذفه إبطالا للغرض المقصود وإخلالا به. ومن ثمّة امتنع حذفه قبل (٢):

— المنادى البعيد مطلقاً.

— المنادى المتعجب منه.

— المندوب.

— المستغاث.

— ضمير المخاطب عند من أجاز نداءه.

— اسم الجلالة "الله" إذا لم تتصل بآخره الميم المشددة.

(١): شرح المفصل، ابن يعيش، ج ١، ص ١٠٠.

(٢): ينظر ارتشاف الضرب، أبو حيان، ج ١، ص ١٠٠. وجمع الموامع، السيوطي، ج ١، ص ١٠٠. والنحو الوافي، عباس

حسن، ج ١، ص ١٠٠.

— النكرة غير المقصودة.

— اسم الإشارة.

وقد اختلف في حذفه مع اسم الإشارة؛ بحيث ذهب البصريون^(١) إلى المنع وعدم الجواز إلا للضرورة. بينما قال الكوفيون بعكس ذلك وأجازوه، واعتبروه قياساً مطرداً. واستشهدوا في ذلك بمجموعة من الشواهد منها قوله تعالى: **﴿ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ﴾**^(٢) معتبرين أن الأصل: يا هؤلاء، ثم حذف الحرف.

ومنها قول المتنبي:

هَٰذَا بَرَزْتُ لَنَا فَهَجْتُ رَسِيًّا ثُمَّ انْثَبْتُ وَمَا شَفَيْتِ نَسِيًّا^(٣)

فالشاهد في البيت حذف حرف النداء (يا هذي) رغم أن المنادى اسم إشارة، وهو الأمر الذي منعه البصريون ورفضوه، والذي نميل إليه نحن ونراه صواباً؛ لأن اسم الإشارة من الأسماء المبهمة، وتوظيف أو إثبات حرف النداء يخفف من ذاك الإبهام باعتبار أن النداء تعريف. كما أن في حذفه (الحرف) ثقل وتباطؤ في النداء، حتى إنه لا يكاد يميز الدارس إذا ما كان نداء أم غيره. وبالتالي يمكن تفسير حذف الحرف في هذه الحالة بأنه للضرورة فقط.

(١): ينظر توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، المرادي، تح: عبد الرحمن علي سليمان، دار الفكر العربي، ط ١،

مصر، ج ١، ص ١٠٠.

(٢): البقرة: ١٠٧.

(٣): شرح ديوان المتنبي، عبد الرحمن البرقوقي، ج ١، ص ١٠٠. الرئيس: مسّ الحمى وقيل الهم. النسيب: بقية النفس.

تنقسم حروف النداء من حيث المسافة بين المنادي والمنادى إلى قسمين: قسم ينادى به القريب، هو: الهمزة وأي. وقسم آخر ينادى به البعيد، هو: أيا، هيا، يا. نظرا لما فيها من مد للصوت يلزم في نداء البعيد. وقد تخرج هذه الحروف عن طبيعتها فينادى البعيد بحرف من الحروف التي ينادى بها القريب، أو العكس من ذلك.

تشارك هذه الحروف جميعا في أداء وظيفة تواصلية واحدة هي النداء والتنبيه، فهي الأصل الذي يجمع ويوحد بينها، لتختص بعد ذلك كل واحدة منها بوظائف جديدة وسمات مميزة، دون أن تخرج أو تتجاوز الأصل الذي تنتمي إليه، فقد يكون بين تلك الحروف تقارب من حيث الخصائص والمميزات، ومن حيث الاستعمال كذلك، إلا أنه يبقى لكل واحدة ما يميزها عن البقية.

ثانياً — الحروف التي ينادى بها القريب:

1 — الهمزة:

يعتبر النداء أحد الوظائف الأساس التي تؤديها الهمزة في اللغة العربية، فهي حرف لا ينادى به إلا القريب حقيقة أو حكما، لأنها مقصورة خالية من المد مجردة منه، والقريب لا يحتاج في ندائه أوفي لفت انتباهه إلى مد أو رفع صوت.

فالقريب حقيقة هو الذي يكون مصغيا إلى المنادي؛ بحيث تكون المسافة بينهما قصيرة تسهل من عملية النداء والتنبيه.

أما القريب حكما فهو بعيد في الأصل من حيث مكان تواجده، إلا أنه يكون في حكم القريب لعله ما، يتصور من خلالها المنادي أن ذاك الشخص قريب منه، ويسمعه،

فيعامله معاملة القريب. أي أنه قرب معنوي غير حقيقي.

ربط بعضهم بين قلة الحروف في الهمزة، وبين استعمالها في نداء القريب، أي بقلة المسافة بين المنادي والمنادى. وليس الأمر كذلك في نظرنا، لأن قرب المسافة أو بعدها إنما يراعى فيه مد الأصوات أو عدمه وليس كثرة الحروف أو قلتها، فوجود حرف مد في الأخير هو الذي يعلل بعد المسافة، لأن البعيد يحتاج إلى مد الصوت حتى يسمع وينتبه، بينما لا يحتاج القريب إلى مد الصوت، لذلك كان عدمه دليل على قرب المسافة.

فمن شواهد نداء القريب حقيقة قول علي بن أبي طالب:

أَفَاطِمُ قَدْ أَبْلَيْتُ فِي نَصْرِ أَحْمَدٍ وَمَرْضَاةُ رَبِّ بِالْعِبَادِ رَحِيمٌ^(١)

فالهمزة في هذا البيت لنداء القريب حقيقة لأن عليا — رضي الله عنه — ينادي زوجته فاطمة وهي قريبة منه غير بعيدة، ليخبرها ببلائه في نصرة النبي الكريم ابتغاء مرضاة الله.

ومن شواهد نداء القريب حكما قول قيس بن ذريح:

أَلْبَنَى لَقَدْ جَلَّتْ عَلَيْكَ مُصِيبَتِي غَدَاةَ غَدٍ إِذْ حَلَّ مَا أَتَوَقَّعُ^(٢)

فقد نادى الشاعر حبيبته لبنى، رغم بعدها عنه، ليستعطف قلبها على ما حل به من ألم فراقها، فوظف الهمزة دون غيرها من الحروف الخاصة بنداء البعيد دلالة على أنها قريبة منه، دائمة الوجود في قلبه وتفكيره نظرا لحبه وشغفه بها. فكان قربها منه قربا معنوياً.

(١): ديوان علي بن أبي طالب، ص .

(٢): ديوان قيس بن ذريح، ص .

نلاحظ من خلال البيتين السابقين أن الهمزة استعملت لنداء الإنسان العاقل الذي ينتظر منه مطلق الإجابة سواء أكان قريباً أم بعيداً، إلا أنها لا تقتصر من حيث الاستعمال على هذا فحسب، بل قد تستعمل في نداء أمور أخرى لا ينتظر منها إجابة في الحقيقة كالجوامد وغيرها، وذلك كقول الخنساء في رثاء أخيها صخر:

أَعَيْنِي جُودًا وَلَا تَجْمُدَا أَلَا تَبْكِيَانِ لِصَخْرٍ النَّدَى؟^(١)

فالشاعرة لشدة حزنها على أخيها تتعامل مع عينيها معاملتها مع الشخص العاقل الذي يستجيب للنداء. إذ نادتها بالهمزة لقوة قربهما منها، ومن جميع المخلوقات مادياً ومعنوياً، ولمكانتهما ودورهما الكبير في الحياة؛ فهما من أجل نعم المولى عز وجل على عباده.

ومن ذلك أيضاً قول ذي الرمة (ت هـ):

أَدَارًا بِحُزْوَى هِجْتِ لِلْعَيْنِ عَبْرَةً فَمَاءُ الْهَوَى يَرْفُضُ أَوْ يَتَرَقَّرُ^(٢)

رغم أن الدار شيء جامد لا ينادى، ولا يطلب إقباله أو تنبيهه، إلا أنها عند الشاعر ذات بعد حسي كبير، نظراً لأنها تذكره بالمحسوب؛ فقد ناداها ونبهها إلى إحساسه وحاله حين وقف عندها ورآها. ومن ثمَّ كانت الهمزة هنا لنداء القريب مسافة وحكما. فمن جهة لأنه وقف عند الدار وكان قريباً منها، ومن أخرى لأن الدار شيء لا ينادى في الواقع إلا أنه في حكم المنادى.

(١): ديوان الخنساء، ص .

(٢): ديوان ذي الرمة، شر: الخطيب التبريزي، دار الكتاب العربي، ط ، ، بيروت، ص . حزوى: اسم موضع.

يرفض: يسيل متفرقا. يترقق: يجيء ويذهب في العين من غير أن ينحدر.

ليس النداء إلا وظيفة واحدة من بين الوظائف التي تؤديها الهمزة في العملية التواصلية، فقد ورد في كتب النحاة الذين استقصوا كلام العرب، ودرسوه دراسة مستفيضة أن الهمزة في أصلها إما أن تؤدي وظيفة النداء، وإما أن تؤدي وظيفة الاستفهام. فهاتان هما الوظيفتان الأصل اللتان تؤديهما الهمزة، لتأتي بعد ذلك مجموعة من الوظائف الفرعية يسميها بعضهم بدل من أصل^(١) تتفرع في مجملها عن همزة الاستفهام.

فهمزة الاستفهام هي أصل أدوات الاستفهام وأمّ الباب فيه، وهي حرف مشترك غير مختص يدخل على الأسماء كما يدخل على الأفعال. ويكون في عمومها إما لطلب تصديق^(٢) نحو: أزيد قائم؟. أو لتصور نحو: أزيد عندك أم عمرو؟.

تأتي همزة الاستفهام في مختلف التراكيب فتتفرع عنها مجموعة من الوظائف، تتجلى كلها من خلال السياق وقرائن الأحوال، ومهما اختلفت تلك الوظائف وتمايزت يبقى الأصل الجامع بينها واحدا هو الاستفهام، ومن أبرز تلك الوظائف ما يلي:

1 — التسوية:

تؤدي الهمزة هذه الوظيفة حين ورودها بعد طائفة معينة من الألفاظ والعبارات نحو: سواء، ما أبالي، ما أدري، ليت شعري. والثابت فيها أنها تدخل على جمل فعلية^(٣) يصح تبديلها بمصدر مؤول يحل محل الهمزة، ويعرب مبتدأ مؤخرًا.

(١): ينظر رصف المباني، المالقي، ص .

(٢): ينظر الجنى الداني، المرادي، ص .

(٣): ينظر مغني اللبيب، ابن هشام، ج ، ص .

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ﴾^(١) فوظيفة الهمزة في الآية: التسوية بين أمرين متناقضين، هما الإنذار وعدمه، جاء كل منهما في جملة فعلية إذا أولناها إلى مصدر يصبح تقدير الآية الكريمة: سواء عليهم إنذارهم وعدم إنذارهم.

2 - الإنكار الإبطالي:

تقتضي الهمزة في هذه الحال أن ما بعدها غير واقع، وأن مدعيه كاذب، كما في قوله تعالى: ﴿أَيُّجِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ﴾^(٢) فليست وظيفة الهمزة هنا الاستفهام الذي ينتظر منه إجابة، وإنما وظيفتها إنكار وإبطال دعوى حب أكل لحم الأخ ميتا. فكما يكره الإنسان ذلك ويمقته ويستقذره عليه أن يكره مثيله ونظيره^(٣) من الغيبة والطعن في أعراض المسلمين.

فإذا دخلت هذه الهمزة على كلام مثبت نفته وأنكرته كما في الآية السابقة. أما إذا دخلت على كلام منفي فإنها تثبته وتفيد تحقيقه، كما في قول جرير (ت هـ):

أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا وَأُنْدَى الْعَالَمِينَ بُطُونٌ رَاحٌ^(٤)

الأصل في هذه الهمزة إنكار ما بعدها، فلما كان ما بعدها في البيت منفيًا، فإنها نفته مرة ثانية، فأفادت تحقيقه بذلك لأن إنكار ونفي النفي يجعله تحقيقًا وتأكيدًا. فالشاعر هنا

(١): البقرة: .

(٢): الحجرات: .

(٣): ينظر الكشف عن حقائق غوامض التزليل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، الزمخشري، تح: أحمد عادل الجود والشيخ

علي محمد معوض، مكتبة العبيكان، ط ، ، الرياض، ج ، ص .

(٤): ديوان جرير، دار بيروت، دط، ، بيروت، ص . الراح: بمعنى الراحة وهي الكف.

أراد أن يمدح عبد الملك بن مروان ويثبت له الخير فنفاه عنه بداية بـ "ليس"، ثم أدخل الهمزة لتنكر وتبطل ذاك الزعم، وهو ما جعل مدحه أبلغ مما إذا نفى أو أكد مباشرة.

3 — الإنكار التوبيخي:

يكون ما بعدها في هذه الحال واقع، وفاعله معلوم، كقول العجاج:

أَطْرَبًا وَأَنْتَ قَنْسَرِيٌّ وَالذَّهْرُ بِالْإِنْسَانِ دَوَّارِيٌّ^()

ليست الهمزة هنا للاستفهام الحقيقي، بل للإنكار التوبيخي، حيث ينكر الشاعر على الشيخ الكبير طربه، ويوبخه على فعله، وكأنه يقول: أظرب وأنت شيخ كبير.

4 — التقرير:

التقرير حمل المخاطب على الاعتراف والإقرار بأمر قد استقر ثبوته أو نفيه عنده، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾^() وظفت الهمزة هنا لحمل المخاطب على الإقرار والاعتراف رغم معرفة الأمر مسبقا والعلم به.

5 — التهكم:

قد تخرج الهمزة من الاستفهام إلى التهكم إذا اقتضى السياق ذلك، كما في قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصْلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾^() فلا يسأل القوم شعيبا في الآية ليرد عليهم أو يجيبهم، وإنما وظفت الهمزة بغرض التهكم عليه والسخرية منه.

() : مغني اللبيب، ابن هشام، ج ، ص .

() : المائدة: .

() : هود: .

6 — التنبية:

ذكر سيبويه في كتابه أنه لما سأل الخليل عن قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أَن يَكُونُوا مُلَكًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ أَوْ يَكُونُوا أَهْلًا مِنَ الْبَنَاتِ أَوَّلَ الْآخِرِ﴾ (١) أجاب أنه "تنبيه كأنك قلت: أسمع أن الله أنزل من السماء ماءً فسلكه ينابيع في الأرض" (٢) يعني أنك تنفي الحديث وتوجب الإتيان. (٣) فتفسيره هذا يبين أن الهمزة لا تفيد الاستفهام الحقيقي، وإنما تفيد تنبيه المخاطب إلى الكلام التالي لها.

طالما أفادت الهمزة التنبيه فقد فسر قوله "ألم تر" بـ "انتبه"، وهو أولى من "ألم تسمع" في تقديرنا؛ ذلك لأن في قولنا ألم تسمع تبقى الهمزة ويبقى معها الاستفهام طاغيا على الكلام، أما في قولنا "انتبه" فيضعف الاستفهام ويقوى التنبيه ويرجح عليه.

2 — أي:

أي بفتح الهمزة وسكون الياء حرف نداء وتنبيه، اختلف في استعماله فقليل لنداء القريب، وقليل للبعيد، وقليل للمتوسط.

فمن أصحاب الرأي الأول ابن يعيش، وابن الحاجب الذي قال في منظومته:

وَأَيُّ مَعَ الهمزة لِلْقَرِيبِ وَوَا مَضَتْ تَخْتَصُّ بِالْمُنْدُوبِ (٤)

(١): الزمر: .

(٢): الكتاب، سيبويه، ج ، ص .

(٣): شرح الوافية نظم الكافية، ابن الحاجب، ص .

بحيث اعتبرا "أي" مثل الهمزة لا ينادى بهما إلا القريب، وذلك لأن البعيد يحتاج إلى مد الصوت وهذان الحرفان ليس فيهما مد.

ومن أصحاب الرأي الثاني المرادي، وابن مالك الذي قال في ألفيته:

وَلِلْمُنَادَى النَّاءِ أَوْ كَالنَّاءِ يَا وَأَيَّ وَآ كَذَا أَيَا ثُمَّ هَيَّا^()

أي أنه يصنفها ضمن الحروف التي ينادى بها البعيد (الناء) حقيقة أو حكما، أي البعيد مسافة أو المتزل متزلته.

أما الرأي الثالث، فمن أصحابه المالقي، الذي قال في سياق حديثه عن "أي": "...تكون تنبيهها ونداء مثل "يا" إلا أنها تختص بالقريب المتزل متزلة المصغي إليك لتقارب لفظها، وهي في النداء أبعد من الهمزة فهي في المتزلة الوسطى من الهمزة وأيا."^() أي أنها تختص بالمنادى المتوسط البعد لا القريب مطلقا الذي يكون مصغيا والذي ينادى بالهمزة، ولا البعيد كذلك الذي يحتاج إلى مد الصوت، وهي ليست ممدودة، لذلك اختصت بالمتزل بينهما.

الأرحح من هذه الآراء في نظرنا هو الرأي الأول، أي أنها تكون لنداء القريب مسافة أو حكما، حالها في ذلك حال الهمزة؛ لأننا لا نمد الصوت فيهما ولا نرفعه. والمنادى البعيد أكثر ما يحتاج إلى مد الصوت وإطالته، وإلا كيف نطلب إقباله، ونسعى إلى لفت انتباهه، وهو بعيد بحرف مثل "أي" لا يصلح في نظرنا إلا للقريب.

() : ألفية ابن مالك، ابن مالك، ص .

() : رصف المباني، المالقي، ص / .

ومن ذلك قول كثير عزة:

أَلَمْ تَسْمَعِي أَيَّ عَبْدٍ فِي رَوْنَقِ الضُّحَى بُكَاءَ حَمَامَاتٍ لَهْنٍ هَدِيرٌ^()

فقد وظف الشاعر "أي" لنداء وتنبيه القريب (عبدة)، والدليل على ذلك أنه قدم السؤال على النداء، فلو كانت بعيدة عنه ما استطاع ذلك. ولكن لقربها منه ولضمانه إقبالها وانتباهها سأل في البداية ثم جاء بأي للزيادة في التنبيه ليضمن ويوطد تواصلها معه.

ومن ذلك أيضا قول أعرابية توصي ابنها: "أي بني إياك والنميمة فإنها تزرع الضغينة وتفرّق بين المحبّين."^() نلاحظ أن "أي" استعملت لنداء القريب، فالأعرابية تخاطب ابنها وتوصيه، وتقدم له النصائح، وهو بالقرب منها؛ إذ لا يمكن أن توصي شخصا أو تنصحه وهو بعيد عنك.

تأتي "أي" أحيانا لتؤدي وظيفة أخرى في التركيب غير النداء وهي التفسير، فتكون مفسرة لما قبلها سواء أكان مفردا أم جملة، نحو قول الشاعر:

وَتَرْمِينِي بِالطَّرْفِ، أَيَّ أَنْتَ مُذْنِبٌ وَتَقْلِينِي لَكِنَّ إِيَّاكَ لَا أَقْلِي^()

فقد جاءت "أي" بمعنى "أقول" أو "أعني" مفسرة وشارحة للجملة التي قبلها.

() : ديوان كثير عزة، ص . عبد: مرخم عبدة وهو اسم امرأة. رونق الضحى: أوله وحسنه.

() : النحو الأساسي، محمد حماسة عبد اللطيف، أحمد مختار عمر، ومصطفى النحاس زهران، دار الفكر، دط، القاهرة، ص .

() : الجني الداني، المرادي، ص . ومغني اللبيب، ابن هشام، ج ، ص . أقلّي: أبغض.

ثالثا — الحروف التي ينادى بها البعيد:

1 — أيا:

حرف نداء وتنبية، مختص بنداء البعيد مسافة وحكما كالنائم والغافل والساهي والمستقل ونحوه، فهي تتكون من ثلاثة أحرف، الأخير منها ألف يحتمل المد কিفما شاء المنادي، وعلى حسب درجة بُعد المنادى أو غفلته. ومنه قول الشاعر:

أَيَا رَاكِبًا إِمَّا عَرَضْتَ فَبَلَّغْنِ نَدَامَايَ مِنْ نَجْرَانَ أَلَّا تَلَاَقِيَا^(١)

فنظرا لبعد المنادى عنه وظف الشاعر "أيا" في ندائه، لأنها تساعد في مد صوته ورفعته كيف شاء، حتى يتمكن ذاك الراكب من الانتباه وإدراك ما يقال له. وقد ينادى بها ما يتزل مترلة البعيد كقول الشاعر:

أَيَا حَاسِدًا لِي عَلَى نِعْمَتِي أَتَدْرِي عَلَى مَنْ أَسَأْتَ الْأَدَبَ^(٢)

فالحاسد في هذا البيت ليس بعيدا من حيث المسافة الحقيقية، وإنما جعل في مترلة البعيد، وعومل معاملته للدلالة على دنو مكانته وعلى الفرق الخُلقي والتربوي بينه وبين المنادي، أي أنه بعد معنوي يتعلق بنفسيهما فالحاسد بعيد لإساءته ولسلوكة غير الحمود.

قد يراد بـ "أيا" أحيانا التحسر والتحزن، وذلك عند الأطلال، والمنازل، والقبور والأموات.

(١) : رصف المباني، الماقي، ص .

(٢) : المستقصى في معاني الأدوات النحوية، مسعد زياد، دار الصحوة، ط ، القاهرة، ص .

فمن نداء القبور قول الحسين بن مطير* في نداء القبر:

أَيَا قَبْرٍ مُعْنٍ كُنْتَ أَوَّلَ حُفْرَةٍ مِنْ الْأَرْضِ خُطَّتْ لِلْسَّمَاحَةِ مَضْجَعًا^(١)

وظف الشاعر "أيا"، وخاطب بها القبر تعبيراً عما بداخله من ألام وأحزان، فالقبر في خياله حيّ يعقل، عليه أن يجيب نداءه ويشعر بألمه نظراً لفرط ما حل به من وجد وأسى.

وقد يراد بها التعجب كما في قول أبي العتاهية (ت هـ):

أَيَا عَجَبًا لِلنَّاسِ فِي طُولِ مَا سَهُوا وَفِي طُولِ مَا اغْتَرُّوا وَفِي طُولِ مَا لَهَوْا^(٢)

ليست "أيا" في البيت للنداء الحقيقي، وإنما وظفها الشاعر للتعجب من حال أولئك الناس الذين أصبحت أفعالهم صبيانية في كبرهم، فهو تعجب ذم، نلمس فيه شيئاً من البعد لأن ما قام به أولئك ليس بالهين، وهو أمر بعيد عن الفعل والسلوك السليم.

وقد توظف "أيا" للدعاء وللثناء على الله كما في قول أبي العتاهية:

أَيَا رَبُّ يَا ذَا الْعَرْشِ أَنْتَ حَكِيمٌ، وَأَنْتَ بِمَا تُخَفِّي الصُّدُورَ عَلِيمٌ^(٣)

فهي هنا للثناء على المولى عز وجل، استعملت لما فيها من مد نظراً لعظمته تعالى ولعظمة شأنه، ودنو مكانة المخلوق الذي يستصغر نفسه أمام خالقه ويدرك بعد منزلته.

* الحسين بن مطير بن مكمل: شاعر مقدم في القصيدة والرجز، كان مولى لبني أسد ثم لبني سعد بن مالك، مدح بني أمية وبني العباس لأنه كان من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية.

(١): علم المعاني، بسيوي عبد الفتاح فيود، ص .

(٢): ديوان أبي العتاهية، دار بيروت، دط، ، بيروت، ص .

(٣): المصدر نفسه، ص .

2- هيا:

حرف نداء وتنبية، لا ينادى به إلا البعيد مسافة وحكما حاله في ذلك حال "أيا"، لما فيهما من ألف يعين على مد الصوت ورفعته كيفما شاء المنادي. ومنه قول الأغلب العجلي* (ت هـ):

وَأَنْصَرَفَتْ وَهِيَ حِصَانٌ مُعْضَبَةٌ وَرَفَعَتْ مِنْ صَوْتِهَا هَيَا أَبَه
كُلُّ فَتَاةٍ بِأَيِّهَا مُعْجَبَةٌ^()

استعملت "هيا" لنداء البعيد، نظرا لأن الفتاة قد انصرفت وبعدت المسافة بينها وبين من تناديه (أبوها)، والدليل على ذلك البعد أيضا قول الشاعر "رفعت صوتها" والرفع لا يكون إلا إذا كان المنادى بعيدا، فالقريب لا يحتاج إلى رفع الصوت أو مده.

اختلف النحاة في هاء "هيا"، فقال بعضهم هي بدل من همزة "أيا"، وأن الأصل في "هيا" هو "أيا"، ثم أبدلت همزتها هاءً. واحتجوا في ذلك بكثرة سماعهم إبدال الهاء من الهمزة كما في قولهم: أرحت وهرحت، إياك وهياك ونحوهما. واستدلوا بقول الشاعر:

فَهَيَّاكَ وَالْأَمْرُ الَّذِي إِنْ تَوَسَّعْتُ مَوَارِدُهُ ضَاقَتْ عَلَيْكَ مَصَادِرُهُ^()

إذ أراد الشاعر "إياك" فقال "هياك" مبدلا الهمزة هاء، فاعتبر ابن يعيش هذا الإبدال

* هو الأغلب بن جُشم بن عمرو بن بني عجل بن لُجيم، أول من رجز الأراجيز الطوال عمّر زهاء تسعين سنة عاش شطرا منها في الجاهلية ثم أدرك الإسلام فأسلم، وحسن إسلامه توفي سنة هـ.

() : رصف المباني، المالقي، ص .

() : شرح المفصل، ابن يعيش، ج ، ص .

صالحاً على سبيل التخفيف^(١)؛ لأن الهمزة حرف شديد مستقل، والهاء حرف مهموس خفيف، ومخرجاها متقاربان، إلا أن الهمزة أُدخلُ منها في الحلق لذلك ثقل النطق بها.

بخلاف القائلين بهذا الرأي، ذهب فريق من النحاة إلى أنهما أصلان مستقل كل واحد منهما عن الآخر، فـ "هيا" حرف مستقل قائم بذاته، والهاء فيه أصلية أصالة الهمزة في "أيا"، وليست إحداهما بدلا من الأخرى، رغم التقارب الكبير الكائن بينهما.

وسواء أكانت هاء "هيا" أصلية أم بدلا من همزة "أيا" المهم أن تكون الوظيفة ظاهرة، والخصائص متماثلة، فكلاهما يختص بنداء البعيد، وكلاهما ينادى به العاقل وغير العاقل.

3 - يا:

حرف نداء وتنبيه (أصلي في كلا البابين)، فهو أشهر حروف النداء، وأكثرها استعمالا وتداولاً. اعتبرت أم الباب لأنها دائرة في جميع وجوهه بحيث لا يقدر عند الحذف سواها، ولا ينادى اسم "الله"، و"أيها"، والمستغاث إلا بها، ولم يقع نداء في التثنية الكريمة إلا بها.

والأصل في هذا الحرف أن ينادى به البعيد حقيقة وحكما لأن آخره حرف ألف يجوز مده وإطالته كيفما شاء المنادي، كما في قول النابغة الذبياني:

يَا دَارَ مَيَّةَ بِالْعَلْيَاءِ، فَالْسَّنْدِ، أَقْوَتُ، وَطَالَ عَلَيْهَا سَالِفُ الْأَبْدِ^(٢)

(١): ينظر المصدر السابق، ج ، ص .

(٢): ديوان النابغة الذبياني، ص . مية: اسم امرأة، العلياء: كل ما ارتفع من الأرض، السند: ارتفاع الجبل، أقوت: خلت من الناس، السالف: الماضي من كل شيء، الأبد: الدهر.

فالبیت من قصيدة يمدح فيها النعمان بن المنذر ويعتذر إليه، ويستهلها بذكر الديار الدارسة؛ إذ يناديها بالحرف "يا" نظرا لمضي عهدها وبعده وإدراكا منه استحالة عودته، مما يحتاج فيه إلى مد الصوت ورفعها حتى يتمكن من أن يعكس لنا تلك الصورة ويجعلها ماثلة أمامنا لتكون أقوى أثرا على النفس.

وقد ينادى بها القريب أحيانا لعل تواصلية يقتضيها السياق^(١)؛ بحيث يترل القريب منزلة البعيد، وينادى بالياء زيادة في تأكيد الأمر الذي استدعى النداء، وإعلاما بشأن المنادى ومكانته، أو لاستبعاد الداعي نفسه عن حال المنادى، أو استعظام الأمر المدعو له أو الحرص على إقباله، أو لانحطاط شأن المنادى وبلادته فيعامل معاملة البعيد الذي لا يسمع. ومنه قول المتنبي:

يَا مَنْ يَعِزُّ عَلَيْنَا أَنْ نُفَارِقَهُمْ وَجَدَانُنَا كُلَّ شَيْءٍ بَعْدَكُمْ عَدَمٌ^(٢)

رغم قرب المتنبي من سيف الدولة وتواجهه معه إلا أنه ناداه بـ "يا" التي لا تستعمل عادة في نداء القريب، فهو بمنزلة البعيد عنه نظرا لما أحس به من أن الوشايات ملأت نفسه (سيف الدولة)، وأبعدته عنه بعدا معنويا يناسبه استعمال "يا".

وعلى غرار معظم الحروف تخرج "يا" عن وظيفتها الأصلية لتؤدي وظائف أخرى جديدة، تتجلى من خلال السياق الواردة فيه، بمعونة القرائن المرافقة له. ومن أهم وأبرز هذه الوظائف ما يلي:

(١): ينظر النداء في القرآن الكريم، توفيق دحام الحياي، دار الكتب العلمية، ط ١، لبنان، ص ١٠٠ / .

(٢): شرح ديوان المتنبي، عبد الرحمن البرقوقي، ج ١، ص ١٠٠ .

1 — التعجب:

التعجب تعبير عن شعور داخلي ناتج عن استعظام فعل نادر، يخرج عن نطاق المألوف لمزية أو لشيء زائد أو ناقص فيه مقارنة بنظائره، فيكون إما لأمر حميد، أو لآخر ذميم.

تستعمل "يا" بغرض التعجب فيسمى ذاك "التعجب بالنداء" أو " النداء التعجبي" ويكون الباعث عليه أو الغرض منه أحد أمرين^(١):

— **أحدهما:** أن يرى الشخص أمرا عظيما يتميز بشيء ما (كثرة، شدة، جمال، غرابة فيه...) فينادي جنسه مبينا ومعلنا تعجبه منه، كقولنا: يا للماء! تعجبا من عذوبته وكثرته، ويا للهلول! إذا رأينا أمرا عظيما هالنا وأدهشنا فتعجبنا من فظاعته.

— **ثانيهما:** أن يرى الشخص أمرا عظيما تدهشه عظمته فينادي من له نسبة إليه أو تمكنا فيه فيكون ذلك حمدا وتقديرا له، أو طلبا لكشف السر ومواطن العجب فيه. نحو قولهم: يا للعلماء! إذا استعظموا شأن العلم، أو سمعوا عن اختراعات جديدة سببها العلم. وقولهم: يا للشعراء! إذا سمعوا قصيدة أعجبتهم وهزّتهم فنادوهم تعبيرا عن إعجابهم بفعالهم، ودعوة لغيرهم لسماع هذا الشعر المتعجب منه.

يتم التعجب بـ "يا" بإدخال لام جرّ مفتوحة على المتعجب منه مسبوقة بالحرف "يا" نحو: يا للماء، يا لك شاعرا، يا للعب. ومنه قول امرؤ القيس:

فَيَا لَكَ مِنْ لَيْلٍ كَأَنَّ نُجُومَهُ بِكُلِّ مُغَارٍ الْفَتْلِ شُدَّتْ يَبْذُبِلُ^(٢)

(١): ينظر توضيح المقاصد والمسالك، المرادي، ج ، ص .

(٢): ديوان امرئ القيس، ص . المغار: الشديد الفتل، يذبل: اسم جبل.

فالشاعر ينادي الليل، ويخاطبه متعجبا من طوله. فكأن نجومه شدت بشيء مفتول قوي إلى جانب الجبل. لذلك وظف "يا" ثم ألحق بها لام التعجب. وتقدير قوله بتوظيف صيغة التعجب: يا ليلُ ما أطولك، على وزن ما أفعلك.

وقد تحذف اللام ويؤتى بألف في آخر المتعجب منه فيقال: يا عجباً! يا هولاً!... والفرق بين المذهبين أن في حذف اللام وتعويضها بالألف آخر المتعجب منه مدّاً للصوت وزيادة في التعجب وإظهاراً له، فإذا قلت يا عجباً! كنت ماداً صوتك بالتعجب، لأن فيه حرفي مد (ألف يا، وألف التعجب)، بخلاف قولك يا للعجب لأن درجة المد فيه أقل من الأولى، فهو يحوي حرف مد واحد فقط. ومنه قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

يَا عَجَبًا لَقَدْ سَمِعْتُ مُنْكَرًا كَذِبًا عَلَى اللَّهِ يُشِيبُ الشَّعْرًا^()

ففي قوله "يا عجباً" دليل على قوة تعجبه مما سمع، لأنه لو قال عجبت، أو أتعجب، أو يا للعجب لما قوي تعجبه، وما كانت الفائدة ظاهرة مثلما هي عليه بقوله يا عجباً، لما فيه من زيادة في مد الصوت، إضافة إلى تلك التي يتضمنها حرف النداء والتنبيه "يا".

2 — التحسّر والتأسّف:

يكون في غالب الأحيان بندااء مجموعة من الألفاظ كالحسرة والأسف والويل... ونحوها، فيقال: يا حسرة، يا أسفا، يا ويلتي. ويكون التحسر على شيء مضى غير مستطاع رجوعه، لا يشعر الشخص بقيمته إلا بعد الوقوع في عواقبه، ومنه قوله تعالى:

() : ديوان علي بن أبي طالب، ص .

﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسُ يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَطْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ﴾^(١)، إذ تنادي النفس الحسرة ندما على ما سلف يوم لا ينفعها الندم، وإدراكا منها لما ستعرض له من عقاب.

وفي قوله أيضا: ﴿يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا، لَقَدْ أَضَلَّنِي مَنِ الذِّكْرُ بَعْدَ إِذِ جَاءَنِي﴾^(٢) ينادي الكافر ويلته ويقول لها تعالي هذا أوانك^(٣)، حسرة وندما منه على الخليل الذي أضله عن ذكر الله، واعترافا بما فعله، فكأنه لفرط وهول ما هو فيه صار يتخيل أن الويل يسمعه ويجب ندائه. مما ينيء عما بداخله من ألم وندم وحسرة.

3 — المدح:

هو التعبير عن استحسان شيء ما، ويكون إما بتوظيف فعلي المدح "حبذا، نعم" أو بنداء الشيء المستحسن، أو صفة من صفاته الحميدة. نحو قول الشاعر:

يَا فَارِسًا مَا أَبُو أَوْفَى إِذَا شُغِلَتْ كَلَّتَا الْيَدَيْنِ كَرُورًا غَيْرَ فَرَارٍ^(٤)

فهو يمدحه ويصفه بالفارس. ويمكن أن يقترن هذا المدح بلام التعجب فيقال: يا لك فارسا، أو يا لك من فارس. لأن المدح إما أن يكون لمجرد المدح أو للإغراء أو للتعجب.

4 — الذم:

هو استقباح الشيء والتعبير عنه بأحد الأفعال الآتية: بئس، لا حبذا، ساء، أو يكون

(١): الزمر: .

(٢): الفرقان: / .

(٣): ينظر الكشف، الزمخشري، ج ، ص .

(٤): الصاحي، ابن فارس، ص .

بنداء الشيء المستقبح وذكر مثالبه، ووصفه بقبيح الأفعال والصفات، نحو قول النابغة الذبياني:

قَالَتْ بُنُو عَامِرٍ: خَالُوا بَنِي أَسَدٍ، يَا بُؤْسَ لِلْجَهْلِ ضَرَّارًا لَأَقْوَامٍ^(١)

يذم الشاعر في البيت بني عامر، ويرميهم بالجهل من خلال توظيفه الحرف "يا" في نداء البؤس، رغم أنه كلمة لا تنادى في الحقيقة ولا يطلب إقبالها.

وعلى غرار المدح يقتزن الدم بالحرف "يا" بلام التعجب فيقال مثلاً: يا لبؤس الجهل، ومنه قول الشاعر:

أَبُو حَازِمٍ جَارٌ لَهَا وَابْنُ بُرْثَنٍ فَيَا لَكَ جَارِيْ ذَلَّةٍ وَصِغَارٍ^(٢)

فهو يتعجب من ذلة جاريها ويذمهما باستعمال "يا" المقرونة بلام التعجب.

5 _ الدعاء:

هو الرغبة واللجوء إلى الله، وإظهار الافتقار إليه وطلب المعونة منه. يتضمن معنى الشاء عليه، ولا يكون إلا من العبد إلى ربه (أي من الأدنى إلى الأعلى)، نحو قول عروة بن حزام* (ت هـ) في أرجوزة له:

(١): ديوان النابغة الذبياني، ص . خالوا: اتركوا وقاطعوا.

(٢): الصاحبي، ابن فارس، ص .

* عروة بن حزام بن مهاجر الضبي (عروة عفراء): شاعر من بني عذرة. أحب ابنة عم له اسمها (عفراء) فخطبها لكن أمها طلبت مهراً لا قدرة له عليه فرحل إلى عم له في اليمن، ولما عاد وجدها تزوجت بأموي من أهل البلقاء (بالشام) فلحق بها، وأكرمه زوجها. فأقام أياماً وودعها وانصرف، فضنى حباً بها، ومات قبل بلوغ بلدته.

يَا رَبُّ يَا رَبَّاهُ إِيَّاكَ أَسَلُ
عَفْرَاءُ يَا رَبَّاهُ مِنْ قَبْلِ الْأَجَلِ^(١)

فالشاعر يدعو ربه، ويسأله أن يجمع بينه وبين محبوبته "عفراء" قبل أن يموت، ونلاحظ أنه يكرر كل من حرف النداء واسم الجلالة ثلاث مرات وذلك للإلحاح في الدعاء، والتأكيد عليه. كما أنه في المرتين الأخيرتين مد لفظ الجلالة، وأدخل عليه الألف ليتمكن من رفع صوته وإطالته ومدّه قدر المستطاع، خصوصا وأنه يدعو بإلحاح شديد، لأن الأمر المدعو له بالغ الأهمية بالنسبة إليه.

وقد يتضمن ذاك الدعاء الشكوى إلى الله تعالى نحو قوله: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾^(٢) ففي الآية دعاء للمولى عز وجل وتضرع وشكوى له من هجران القوم، إذ جاء الدعاء بالحرف "يا" تعبيرا عن حالة نفسية ألت بالرسول الكريم، بعدما بذل جهده في دعوة قومه وإنذارهم، فلم يزداهم ذلك إلا تماديا في كفرهم. لذلك فوّض أمره إلى ربه وشكاه إليه.

ولأن الأصل في "يا" أن تكون لنداء البعيد، تساءل بعضهم كيف يكون دعاء الله تعالى بها وهو أقرب إلى عباده من جبل الوريد^(٣)، فأجيبَ بأن المنادي الذي يدعو ربه إنما يستصغر نفسه أمام عظمة الخالق عز وجل، لأنه يدرك الفرق الواسع بين المتزلتين، فيكون ذاك البعد من حيث المتزلة والعظمة، لا من حيث المسافة الحقيقية.

(١): ديوان عروة بن حزام، تح: أنطوان محسن القوّال، دار الجليل، ط ، ، بيروت، ص / .

(٢): الفرقان: .

(٣): ينظر علم المعاني، بسيوني عبد الفتاح فيود، ص .

6 — الزجر:

هو الكف والمنع عن فعل أمر ما ، يقال زجر فلانا عن الشيء إذا منعه ونهاه وانتهره،
نحو قول الشاعر:

يَا قَلْبُ وَيْحُكَ مَا سَمِعْتَ لِنَاصِحٍ أَمَا ارْوَعَيْتَ وَلَا تَقَيْتَ كَلَامًا^(١)

فهو يخاطب قلبه ويزجره وينهاه عن عدم سماع النصيحة من الغير والأخذ بها.

7 — الوعيد:

هو التهديد بفعل ما، ومنه قول المهلهل* (ت ق هـ) متوعدا آل بكر:

يَا لَبَكْرٍ أَنْشُرُوا لِي كُليبًا يَا لَبَكْرٍ أَيَّنَ أَيَّنَ الْفِرَارُ^(٢)
يَا لَبَكْرٍ فَاطْعُونُوا أَوْ فَحِلُّوا صَرَّحَ الشَّرُّ وَبَانَ السَّرَارُ

حيث ينادي آل بكر، ويتوعدهم بأن لا فرار من الأخذ بثأر أخيه الذي قتله رجل منهم. فهو آخذ به لا محالة طال الزمن أم قصر.

8 — التمني:

هو طلب ومحبة واشتهاء حصول شيء مرغوب فيه، ويكون للبعيد المنال غالباً، أي هو

(١): علم المعاني ، بسيوني عبد الفتاح فيود، ص .

* المهلهل (ت ق هـ): أبو ليلي عدي بن ربيعة بن مرة، الملقب بالزير، خال امرئ القيس، شاعر وأحد أبطال العرب في الجاهلية، أوقف حياته على الثأر لمقتل أخيه كليب بعدما كان مكباً على اللهو والشراب ومجالسة النساء فكانت وقائع بكر وتغلب التي دامت أربعين سنة وعرفت "بحرب البسوس" وكثرت قصائده في رثاء أخيه بما فيها من تهديد وثورة وغضب.
(٢): ديوان مهلهل بن ربيعة، تق وشر: طلال حرب، الدار العالمية، دط، دت، مصر، ص . أنشروا: أحيوا، اظعنوا: ارتحلوا، حلوا: أقيموا، صرح: بان وانكشف، السرار: خط في باطن الكف والوجه والجبهة، لعله أراد به القدر.

طلب ما لا طمع فيه، ويكون في معظم الأحيان بالحرف "ليت".

تدخل "يا" على "ليت" فيفيدان معا التمني؛ بحيث يتأكد ويقوى بدخول "يا" أكثر مما كان عليه قبل دخولها. نحو قوله تعالى: ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾^(١) فقد تمنى القوم ما عند قارون من أموال وكنوز، بدافع الطمع والحرص على الدنيا، وضعف الإيمان. رغم أنهم يدركون بعد منال ما يتمنونه ويطلبونه.

وفي التمني بـ "يا" تعبير عن خلجات ما تعلق بنفوسهم من مظاهر الزينة، وما يدور فيها من شعور خفي تمثل في التمني بـ "ليت"؛ ذلك لأنهم طلبوا شيئاً عظيماً يكاد يستحيل بلوغه^(٢)، ولم تكن "ليت" لتحوي وحدها هذا الشعور، وتعبر عنه لولا دخول "يا" التي دعمتها وأكدت وظيفتها بما فيها من مد يدل على بعد ما يطلبون.

يصحب التمني بـ "يا" في بعض الأحيان شعور بالحسرة والندم، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا﴾^(٣) فقوله "يا ليتني" تمنٍ يقصد به التحسر والتندم على ما فات من شرك وطغيان، لأن الهلاك حلّ به نتيجة عدم سماع النصيحة، وعدم قبول الموعظة من صاحبه. فهو نادم على إشراكه بالمولى عز وجل، وليس له معين أو ناصر يدفع الهلاك عنه لذلك ندم وتمنى أن لو لم يفعل.

(١): القصص: .

(٢): ينظر النداء في القرآن الكريم، توفيق دحام الحياي، دار الكتب العلمية، ط ، ، لبنان، ص .

(٣): الكهف: .

كما وقد يصحبه شعور بالخوف والحزن، وذلك نحو قوله تعالى: ﴿فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا نَسِيًّا﴾^(١) نلاحظ من خلال هذا التمني تجسد حالة نفسية تتمنى الموت حياةً وخجلاً، وثمة نلمس لوعة الخوف والحزن ونشعر بها؛ إذ تمثلت في التمني بـ "يا" على لسان مريم عليها السلام، المعبر عن امتلاء نفسها المنادية التمنية حياةً وخجلاً^(٢). فهي تتمنى الموت شعوراً بعظم الأمانة التي حباها الله بها بحمل ولد من غير أب، وليس اعتراضاً على أمره وقضائه.

9 — الاستغاثة:

هي النداء لطلب العون والمساعدة، فإذا وقع الإنسان في شدة أو مصيبة لم يستطع التغلب عليها بمفرده، أو توقع أن سوف يصيبه مكروه لا يقدر على دفعه أو مواجهته، يطلب حينئذ العون والمساعدة^(٣)، فينادي ويستغيث بغيره، ممن يعتقد أنه يقدر على أن يخلصه من شدته، وينقذه مما هو فيه، ويدفع عنه المكروه الذي حلّ به، أو الذي يخاف ويتوقع حدوثه.

ولا تكون الاستغاثة إلا بالحرف "يا" من بين سائر حروف النداء، فهي من الوظائف الخاصة به المقتصرة عليه. ويتكون تركيب الاستغاثة من الحرف "يا"، ومن المستغاث به (وهو المنادى المطلوب منه العون والمساعدة)، ومن المستغاث من أجله (وهو الداعي إلى طلب العون والمساعدة إما لنصره أو تأييده أو للتغلب عليه ومقاومته).

(١): مريم: .

(٢): ينظر النداء في القرآن الكريم، توفيق دحام الحياي، ص .

(٣): ينظر النحو الوافي، عباس حسن، ج ١، ص .

ومنه قول قيس بن ذريح:

تَكْنَفَنِي الْوُشَاةُ فَأَزْعَجُونِي فَيَا لِلنَّاسِ لِلْوَأَشِيِّ الْمُطَاعِ^(١)

فالياء للاستغاثة، والمستغاث به: الناس، والمستغاث من أجله: الواشي. حيث يستغيث الشاعر بالناس، ويطلب عونهم ومساعدتهم لدفع أذى الواشي عنه. ونلاحظ أن كلاً من المستغاث به والمستغاث من أجله مجرور بلام، الأولى مفتوحة تسمى لام الاستغاثة وهي حرف جرّ زائد؛ أما الثانية فمكسورة، وهي لام الجر الواجبة الذكر، العاملة فيما بعدها. قد يعامل المستغاث به أحياناً معاملة المنادى فلا يجر باللام نحو قولهم: يا زيدُ لعمرو. وقد يؤتى بألف في آخره عوضاً عن تلك اللام، فيقال: يا زيدا لعمرو. نحو قول الشاعر:

يَا يَزِيدًا لَأَمِلَ نَيْلَ عِزٍّ وَغِنًى بَعْدَ فَاقَةٍ وَهَوَانٍ^(٢)

حيث جرد المستغاث به من اللام، وذيل آخره بألف (يزيدا)، أما المستغاث من أجله فجر بلام مكسورة ظاهرة (لأمل).

وقد يحذف المستغاث به فتدخل "يا" على المستغاث من أجله نحو قول الشاعر:

يَا لِلْأَنَاسِ أَبْوَا إِلَّا مُثَابَرَةً عَلَى التَّوَعُّلِ فِي بَغْيٍ وَعُدْوَانٍ^(٣)

الشاهد في البيت "يا للأناس" بكسر اللام؛ إذ حذف المستغاث به، ودخلت "يا" على المستغاث من أجله مباشرة. والتقدير: يا لقومي للأناس؛ بحيث يستغيث بقومه لدفع أذى

(١): ديوان قيس بن ذريح، ص .

(٢): الأساليب الإنشائية في النحو العربي، عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، ط ، القاهرة، ص .

(٣): ارتشاف الضرب، أبو حيان، ج ، ص . وتوضيح المقاصد والمسالك، المرادي، ج ، ص .

أناس اجتهدوا في الظلم والعدوان.

10 — الندبة:

هي نداء المتفجع عليه أو المتوجع منه إعلاماً من النادب أنه وقع في أمر عظيم وخطب جسيم. وتكون بالبكاء والنوح على المندوب، وذكر فضائله وتعداد مآثره. تكثر في كلام النساء غالباً^(١) لضعفهن، ولقلة احتمالهن وصبرهن على المصائب.

والأصل في الندبة أن تكون بالحرف "وا"، إلا أنه يمكن أن تستعمل "يا" في هذا الباب، وتؤدي وظيفة "وا" إذا أُمنِ اللبس من اشتباه المندوب بالمنادى غير المندوب. كما في قول جرير (ت هـ) يرثي عمر بن عبد العزيز (ت هـ):

حُمِلَتْ أَمْرًا عَظِيمًا فَاصْطَبَرْتَ لَهُ وَقُمْتَ فِيهِ بِأَمْرِ اللَّهِ، يَا عُمَرَا^(٢)

الشاهد في البيت "يا عمرا" إذ أفادت "يا" الندبة، دون خشية التباس المندوب بالمنادى العادي، لوجود القرينة المتمثلة في الألف اللاحقة بآخر الاسم المندوب "عمرا". فهذه الألف لا تكون في النداء وإنما تختص بالندبة؛ ذلك لأن "الندبة كأنهم يترغمون فيها فمن ثم ألزموها المدّ، وألحقوا آخر الاسم المدّ مبالغة في الترثم."^(٣) كما أن الألف تكون أبعد للصوت، وأمكن للمد. والندبة أكثر ما تحتاج إلى مد الصوت ليكون المندوب بذلك بين حرفي مد: ألف "يا"، والألف في آخره المسماة بألف الندبة.

(١): ينظر اللمع في العربية، ابن جني، تح: سميح أبو مغلي، دار مجدلاوي، دط، ، عمان، ص .

(٢): ديوان جرير، ص .

(٣): الكتاب، سيبويه، ج ، ص .

من أبرز وأهم الوظائف التي تؤديها "يا" في اللغة وظيفة التنبيه، وهي في هذا غير الوظائف السابقة التي تكون منبثقة جميعاً عن أصل واحد هو النداء. فمع أن كل حروف النداء تؤدي وظيفة التنبيه على اعتبار كل نداء تنبيه، إلا أن "يا" يمكن أن تخلص لتأدية وظيفة التنبيه* دون أن تكون للنداء، ودون أن يطلب بها إقبال المنبّه. قال المألقي: "اعلم أن يا حرف من حروف التنبيه ينادى به مرة ولا ينادى به أخرى..."^(١) أي أنها تكون للنداء والتنبيه أحياناً، وتكون أحياناً أخرى للتنبيه فقط، وكل هذا يحدده السياق.

قل إنها تخلص للتنبيه دون النداء إذا وليها أحد الأمور الآتية:

أ — فعل الأمر: كما في قول الشماخ بن ضرار الديباني** (ت هـ):

أَلَا يَا اصْبَحَانِي قَبْلَ غَارَةِ سِنَجَالٍ وَقَبْلَ مَنَايَا بَاكِراتٍ وَأَجَالٍ^(٢)

وظف الشاعر "يا" بغرض تنبيه المخاطب وتهيئته لسماع أمره، دون أن يقصد نداءه أو يطلب إقباله (لأننا عندما ننادي فكأنما نقول تعال وأقبل)؛ بحيث لم يذكر بعدها اسماً منادى، وإنما ذكر فعل أمر مباشرة. وقد سبقت بحرف تنبيه آخر فجاءت مؤكدة له.

* أشرنا في الفصل السابق أن "يا" حرف تنبيه، إلا أننا لم نفصل الحديث فيه لأنه أصلي في كلا البابين (النداء والتنبيه)، فأجلنا الحديث عنه إلى هذا الفصل، حتى نقف على مختلف خصائصه واستعمالاته في البابين، ونعرف متى يكون للتنبيه دون النداء.
(١): رصف المباني، المألقي، ص .

** شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام، من طبقة لبيد والنابعة كان شديد متون الشعر شهد القادسية وتوفي سنة هـ .
(٢): ديوان الشماخ بن ضرار الديباني، تح وشر: صلاح الدين الهادي، دار المعارف، دط، ، مصر، ص .

ب — الدّعاء: نحو قول الشاعر:

يَا لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْأَقْوَامِ كُلِّهِمْ وَالصَّالِحِينَ عَلَى سَمْعَانَ مِنْ جَارٍ^(١)

يدعو الشاعر على جاره "سمعان" أن تحل به لعنة الله تعالى والناس أجمعين، لأنه لم يرفع حقّ الجوار. والشاهد في البيت "يا لعنة"؛ إذ دخلت "يا" للتنبيه دون النداء بدليل أنه رفع لعنة على الابتداء، فلو وقع النداء عليها لنصبها لأنها مضافة، والمضاف ينصب في النداء.

ج — ليت: نحو قوله تعالى: ﴿قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ﴾^(٢) دخلت "يا" على "ليت"، ولم يأت بعدها أي منادى، لذلك قيل هي خالصة للتنبيه.

د — رَبّ: كقول النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿يَا رُبَّ حَاسِيَةٍ فِي الدُّنْيَا لَمَارِيَةٍ فِي الْآخِرَةِ﴾^(٣) دخلت "يا" على "ربّ"، وهي حرف جر يفيد التكثير في أغلب الأحيان، فلم تكن للنداء، لأن الأصل في حروف النداء جميعاً أنها تدخل على الأسماء لا على حروف مثلها، ومن ثمة خلصت "يا" في هذه الحال لمجرد التنبيه.

هـ — حبّذا: نحو قول جرير:

يَا حَبَّذَا جَبَلُ الرِّيَّانِ مِنْ جَبَلٍ وَحَبَّذَا سَاكِنُ الرِّيَّانِ مَنْ كَانَا^(٤)

(١): الكتاب، سيبويه، ج ١، ص ١٠٠. وشرح المفصل، ابن يعيش، ج ١، ص ١٠٠. ومغني اللبيب، ابن هشام، ج ١، ص ١٠٠.

(٢): يس: ١٠٠.

(٣): الجامع الصحيح (صحيح الإمام البخاري)، أبو عبد الله البخاري، تح: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط ١، لبنان، ج ١، ص ١٠٠ / ١٠١.

(٤): ديوان جرير، ص ١٠٠.

جاء الشاعر بـ "يا" للتنبيه فأدخلها على الفعل حبّذا، لأن حرف التنبيه يدخل على مختلف أقسام الكلم، بخلاف حرف النداء الذي يختص بالدخول على الأسماء دون غيرها.

اختلف العلماء حول وظيفة "يا" في الحالات الخمسة السابقة فذهبت طائفة منهم إلى اعتبارها حرف تنبيه^(١) خالص لا يؤدي شيئا من النداء؛ بحيث لا يذكر منادى بعده، ولا يقصد إلى تقديره (لأنه يحيل الكلام إلى ضرب من الحشو) وهو الصواب في نظرنا.

وقالت طائفة أخرى: إذا وليها ما ليس بمنادى كالفعل والحرف فهي حرف نداء وتنبيه، والمنادى محذوف. فضّعف رأيهم هذا من جانبيين^(٢):

— أحدهما: أن "يا" في النداء حرف نائب عن الفعل "أدعو" المحذوف، وتقدير حذف المنادى يفضي إلى لزوم حذف جملة النداء كلها. وفي هذا إجحاف كبير.

— ثانيهما: أن المنادى معتمد المقصد، فإذا حذف تناقض المقصود واختل. ذلك لأننا إذا أردنا نداء شخص لا بد من ذكره حتى نخصه بالنداء دون غيره، وحتى نضمن إقباله ونتمكن من تبليغ رسالتنا إليه. فإذا حذف امتنع كل هذا.

وخلاصة الأمر من هذا أن "يا" حرف إما أن يكون للنداء والتنبيه معا، وإما أن يخلص ويتعين لجرد التنبيه فيكون مثل "ألا" التنبيهية. وهو يؤدي كلتا الوظيفتين أصالة لأننا إذا رجعنا إلى باب التنبيه وجدناهم يذكرون "يا" ضمن حروفه، وكذلك إذا عدنا إلى باب النداء وجدناها مذكورة مع حروفه؛ بل هي أم الباب فيه.

(١): ينظر الجني الداني، المرادي، ص .

(٢): ينظر رصف المباني، المالقي، ص . والجني الداني، المرادي، ص .

الفصل الرابع

دراسة تطبيقية في ديوان محمد العيد

آل خليفة.

مهما كانت النتائج المتوصل إليها في الجانب النظري من كل بحث فإنها تبقى بحاجة دائمة وافتقار مستمر إلى الدراسات التطبيقية التي تدعّمها وتبرهن على صحتها وقبولها.

ونظرا لأننا اكتفينا في الجانب النظري بالاستشهاد بالنصوص الواردة في العصور الأولى لاسيما منها عصر الاحتجاج بالإضافة طبعا إلى القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف فإننا ارتأينا أن تكون دراستنا التطبيقية على نصوص حديثة حتى نعرف مدى شمولية تلك النتائج وثبوتها على مر العصور وما مدى تطور اللغة ومختلف استعمالاتها.

ثم عزمنا أن تكون المدونة جزائرية فاخترنا ديوان محمد العيد آل خليفة* لما وجدناه فيه من ثراء بحروف التنبيه، إضافة إلى أنه مقسم إلى أبواب يضم كل واحد منها مجموعة من القصائد ذات التيمة المشتركة هي عنوان الباب الواردة فيه مما يسهل علينا الدراسة.

فقد قمنا بإحصاء الحروف الواردة في كل باب على حده ومدى تكرار كل حرف في مختلف القصائد ثم صغناها في شكل جداول يختص كل واحد منها بباب معين فذكرنا القصائد المتضمنة حروف تنبيه وقابلناها بإحصاء لتلك الحروف الواردة فيها. ثم حاولنا التعليق على تلك الجداول وتحليل وظائف كل حرف في كل باب من أبواب الديوان.

* هو محمد العيد بن محمد علي بن خليفة من محاميد سوف المعروفين بالمناصير، ولد يوم 28 أوت 1904 بمدينة عين البيضاء، من عائلة دينية محافظة، تلقى تعليمه الابتدائي وحفظ القرآن الكريم وأصول الدين عن علماء البلدة، ثم انتقل مع أسرته إلى بسكرة عام 1918 وواصل دراسته بها، ليغادرها سنة 1921 إلى تونس حيث درس في جامع الزيتونة سنتين ثم عاد إليها عام 1923 وساهم في حركة الانبعاث الفكري من خلال التعليم والنشر في الصحف والمجلات. وتولى إدارة مدرسة الشبيبة الإسلامية الحرة لمدة 12 عاما ابتداء من سنة 1927. أسهم في هذه الفترة في تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وكان من أعضائها البارزين. اعتقلته السلطات الفرنسية بعد اندلاع الثورة الكبرى، ووضع تحت الإقامة الجبرية في بسكرة فلبث بها تحت رقابة مشددة إلى أن منّ الله على الشعب الجزائري بالاستقلال والحرية. وتوفي عام 1979 بباتنة ودفن في بسكرة.

وفيما يلي إحصاء للحروف الواردة في كل باب وتحليل لمختلف وظائفها.

1 – جدول الحروف الموظفة في باب الأدبيات والفلسفيات:

يا	هيا	أيا	أي	أ	ها	أما	ألا	الحروف القوائد
04					03			يا دار
01					02			أسطر الكون
					03			صدى الصحراء
05					01			هذه خطوة
03					02			وقفة على بحر الجزائر
08					02			بين الشك والتشكي
					01			الصحو
02					01			لوح الخيال
					02			عامان مقبل ومدبر
04					06			منظر تاعس ناعس
01					01			وداد
01								شاعرية الرصافي
10					01			دمعة على القمر الخاسف
04								آفة العين
01								أين ليلاي
02								قوس قرح
06								يا ليل
08								يا هزاري
03					01			وصف فوارة
01								يا فؤادي
02					01			جمال الريف

صوت من الغيب					02			08
يا بحر					01			06
اجمـــــوع:					30			80

أول ما نلاحظه من خلال الجدول كثرة توظيف حروف التنبيه في هذا الباب مقارنة بعدد قصائده وبعده الأبيات الواردة فيه. فبالإضافة إلى احتواء عناوين عدة قصائد لحرف من تلك الحروف (يا دار، هذه خطوة، ياليل، يا فؤادي)، جاءت معظم المتون ثرية بهذه الحروف، فمن أصل سبعة وعشرين () لا يوجد إلا ثلاث () قصائد في الباب لم تتضمن أي حرف من حروف التنبيه. بيد أن الملفت في الأمر هو الاختصار على الحرفين "يا" و"ها" دون غيرهما من الحروف.

يأتي الحرف "يا" في الصدارة من حيث الاستعمال، إذ أحصينا له ثمانين () موصفاً، أدى من خلالها مجموعة من الوظائف التواصلية المتنوعة بتنوع السياقات الوارد فيها؛ فقد يكون في بعض الحالات لمجرد التنبيه، ويكون أحياناً للنداء والتنبيه، كما يتجاوزهما أحياناً أخرى لتأدية وظائف جديدة مغايرة لذلك.

ومن أبرز تلك الوظائف ما يلي:

1 — النداء والتنبيه:

وظف الشاعر الحرف "يا" مرات عديدة لنداء المخاطبين وتنبيههم، وتحييتهم لسماع رسالته التي يرمي إلى توصيلها وتبليغها لهم. فكانت أحياناً لنداء البعيد حقيقة (مسافة)، وأحياناً أخرى لنداء البعيد حكماً، نحو قوله:

وَحِلُّ سُوءٍ تَوَخَّانِي لِأَخْلَفَهُ فِي ذَبْحِ شَاءٍ عَجَافٍ وَهِيَ إِثَارُ^(١)
قَالَ ابْتَدَرَهَا عَلَى اسْمِ اللَّهِ قُلْتُ لَهُ دَعْنِي فَمَا أَنَا يَا ابْنَ اللَّؤْمِ جَزَّارُ

الظاهر من البيت أن المخاطب لم يكن بعيدا من حيث المسافة عن المخاطب (الشاعر) إلا أن هذا الأخير وظف الحرف "يا" لندائه، ولفت انتباهه؛ رغم أن الأصل فيها أن تكون لنداء وتنبيه البعيد، ويتجلى لنا من خلال مناداته بـ "ابن اللؤم" بعد المكانة الخلقية والتربوية بينهما، فالمخاطب أرقى بكثير ممن يخاطب، لذلك عامله معاملة البعيد.

يتكرر أحيانا الحرف "يا"، ويتكرر معه المنادى (المخاطب) في مجموعة من الأبيات على التوالي، زيادة في التنبيه وتوكيدا له. كما في قوله:

يَا شَعْبُ قُمْ عَلَى الْهُمُو مِ وَالشُّؤْمِ تَائِرًا^(٢)
يَا شَعْبُ جَدِّ الْجَدُّ فَإِنَّ هَهُضْ وَاكْسِبْ الْمَفَاحِرَا
يَا شَعْبُ رُضْ بِالصَّالِحَا تِ أَرْضَكَ الْجَزَائِرَا

كرر الشاعر نداء الشعب ثلاث مرات على التوالي، حرصا منه على ضرورة إقباله ولفت انتباهه حتى لا يفوته المقصود؛ بحيث كان يسعى إلى توصيته، وتوجيه النصائح والأوامر له بغرض توعيته، فإنه لم يرد فعل ذلك قبل أن يضمن استجابته وتواصله معه.

فناداه بداية ثم شرع في أمره، ولما أراد أن يتمم أوامره عاود النداء مرة ثانية، حتى لا يغفل المخاطب عنه أو يسهى. وكذلك فعل في المرة الثالثة. وكل ذلك كان توكيدا

(١): ديوان محمد العيد آل خليفة، دار الهدى، دط، دت، الجزائر، ص .

(٢): المصدر نفسه، ص .

للتنبية الأول، ومبالغة فيه لأن الرسالة التي يسعى إلى توصيلها له ذات أهمية بالغة، تتطلب إقبالا ووعيا خصوصا إذا تعلق الأمر بالوطن الجزائر.

ولم يقتصر الشاعر في ندائه وتنبيهه على الأشخاص الأحياء العقلاء دون غيرهم؛ بل نجده ينادي في كثير من الأحيان أشياء غير عاقلة كالجوامد (يا دار، يا جماد)، ومظاهر الطبيعة (يا ليل، يا بحر)، بعض أعضاء الجسم (يا قلبي، يا عيني)، أمور من الغيب (يا موت، يا روح). فهو ينادي كل هذه الأشياء ويترها منزلة الإنسان الواعي فيسألها ويأمرها ويتوقع منها أن تجيبه وتبلي ندائه، كما في قوله:

يَا عَيْنُ جَدَّدْتَ النَّشَا طَ لَنَا وَبَدَّدْتَ الْفُتُورَ^(١)

يخاطب الشاعر في هذا البيت عينا فؤارة، رغم أنها شيء لا يقبل النداء، ولا يستجيب له، إلا أنه لقوة إعجابه بها، ولكثرة ما بعثته في نفسه من نشاط، وقضاء على الفتور نادها ليخبرها بما فعلته به، وجعلها في منزلة من يستجيب له.

كما ينادي أحيانا الزمن ويخاطبه، نحو قوله:

يَا دَهْرُ عَاجَلْتَ الصَّبَا بِالْقَطْفِ لَمْ يُزْهِرْ، وَلَمْ يَثْمِرْ بِهِ عُنُقُودُ^(٢)

نلمس في البيت نوعا من الحزن واللوم فالشاعر ينادي الدهر — وغالبا ما يكون خطاب الزمن خطابا حزينا نظرا لسرعة مضيئه وانقضائه — ويلومه ويعاتبه لأنه مرّ بسرعة، وعاجل الصبا فلم يتركه على مهل ولم يتركه يأت بثماره.

(١): المصدر السابق، ص .

(٢): المصدر السابق، ص .

2 — التمني: نحو قوله:

وَعَابَ عَنْهُ بَارِحًا يَا لَيْتَهُ مَا بَرِحًا^(١)

تخلص "يا" في البيت لتؤدي وظيفة التنبيه دون النداء؛ ذلك لأنها دخلت على حرف مثلها ولا يوجد أي اسم يمكن تقديره منادى، أو مخاطبا مطلوبا إقباله واسترعاء انتباهه. فصحيح أن المفهوم من البيت قبل دخول "يا" هو التمني، ولكنها لما دخلت على "ليت" أعانتها في وظيفتها (التمني)، واشتركت معها في تأديتها. ويمكن التماس الفرق بحيث اكتسب ذاك التمني نفساً جديداً مبالغاً فيه. وأصبحنا نجد فيه نوعاً من الإلحاح، نظراً لاستحالة تحقق الأمر المتمنى، وبعد مناله، والذي دلت عليه الياء بما فيها من مدّ. فبالياء نحس أكثر ببعد تحقق الأمر المتمنى.

3 — الشاء على الله:

إذا أراد الشخص نداء خالقه، أو التضرع والابتهال إليه، أو الشاء عليه، فإنه يناديه بـ"يا" فيكون هذا الحرف — في هذه الحالة لا غير — خالصاً للنداء دون التنبيه. لأن المخلوق ينادي الخالق ليس لطلب إقباله، أو لفت انتباهه مثلما يفعل مع سائر المناديات، إنما يناديه لطلب الإعانة دائماً، ولإظهار الافتقار والحاجة إليه في مطلق الأحوال. ومنه:

يَا رَبِّ شُكْرُكَ حَقٌّ لَسْتُ أَجْحَدُهُ فَمَا سِوَاكَ لِهَذَا الْخَيْرِ خَلَّاقٌ^(٢)

فلا يعقل أن نقول إن "يا" هنا للتنبيه، لأن الله عزّ وجل دائم القرب من عباده لا يغفل

(١): المصدر السابق، ص .

(٢): المصدر السابق، ص .

عنهم برهة من الزمن. وإنما هي للدعاء لأن نداء العبد الضعيف لخالقه يسمى دعاء، فهو لا يتضمن أي تنبيه، بل يتضمن الثناء والابتهال، أو الحمد والشكر كما في هذا البيت.

4 – التكثير: نحو قوله:

وَقَوْمٌ رَمَوْهَا فِي غِيَابِ جِبِّهِمْ وَيَا كَثْرَ مَا فِي الْجُبِّ مِنْ حَشَرَاتٍ^()

لو لم يوظف الشاعر الحرف "يا"، وقال كثر ما في الجب من حشرات، لما توصلنا إلى مقدار تلك الكثرة التي يريدناها، ولكنه بتوظيفه لها تجلّى لنا أنها كثرة مبالغ فيها.

5 – المدح: نحو قوله:

يَا حَبْدًا عَيْنٌ تَفُور حَفَّتْ بِحَافَتِهَا الزُّهُورُ^()

أراد الشاعر في البيت أن يمدح عينا فوارة فأدخل "يا" التي للتنبيه على فعل المدح "حبّدا"، فاكتمت من خلال مجاورته هذه الوظيفة وأدتها متصلة معه.

هذا وقد تؤدي "يا" وظيفة المدح من غير أن تتصل بالفعل "حبّدا" نحو قوله:

يَا أَسَدَ الشَّبَابِ رَأْيَا صَحِيحًا يَا أَحَدَ الشَّبَابِ عَقْلًا ذَكِيًّا^()

الظاهر أن "يا" وردت هنا للنداء والتنبيه؛ إلا أنها تؤدي مع ذلك وظيفة أخرى جديدة هي المدح. فالشاعر يمدح المخاطب ويناديه بأحمد الصفات (سداد وصحة الرأي، وحدة وذكاء العقل). وربما لم يكن ذاك النداء لطلب الإقبال الحقيقي إنما هو مجرد المدح.

() : المصدر السابق، ص .

() : المصدر السابق، ص .

() : المصدر السابق، ص .

6 — التعجب: نحو قوله:

أَرَى فَتًى مِنْ فَتْيَةِ الْغَى يَبِ جَمِيلاً سَاحِراً^(١)
يَا عَجَبًا تُرَاهُ جِنًّا نَا أَمْ مَلَكَ طَاهِراً؟

حيث ينادي الشاعر لفظ العجب لأنه متعجب ممن يراه أمامه، منبهر بسحره وجماله.
فلم يدر إذا ما كان جنا أم ملاكا، نظرا لما يجده فيه من صفات خارقة لصفات البشر.

7 — التهديد والتحذير:

أَتَى السَّرَابَ لِيَرَوْى يَا وَيْحَهُ وَاسْتَمَاحَا^(٢)

أراد الشاعر التحذير وإظهار الويل، فأدخل "يا" على لفظ "ويح" التي تكون بمعنى "ويل"، وجمع بينهما فاكسبت "يا" من خلال ذلك وظيفة التحذير، إذ لا منادى ظاهر أو مقدر في البيت.

8 — الاستغاثة: نحو قوله:

يَا لِرَامٍ رَمَا نِي بِقَوْسَيْنِ^(٣)

وظف الشاعر الحرف "يا" مستغيثا طالبا العون من الناس، فقوله: "لِرَامٍ" مستغاث لأجله، أما المستغاث به فمحذوف تقديره "الناس". أي: يَا لِلنَّاسِ لِرَامٍ رَمَانِي بِقَوْسَيْنِ.

(١): المصدر السابق، ص .

(٢): المصدر السابق، ص .

(٣): المصدر السابق، ص .

يعتبر الحرف "ها" ثاني وآخر الحروف المستعملة في هذا الباب من الديوان بعد الحرف "يا"؛ فقد أحصينا له ثلاثين () موزعا، موزعة بين مختلف القصائد. جاء فيها إما داخلا على اسم الإشارة وإما لاحقا بـ "أي" في النداء.

فأما أسماء الإشارة فنلاحظ أن جميع استعمالات "ها" معها كانت مع المفرد المذكر "هذا"، ما عدا حالة واحدة اتصلت فيها مع المفرد المؤنث "هذه". ومنه:

تَبَارَكَ اللَّهُ هَذَا الْكَوْنُ مُعْتَرِفٌ بِأَنَّ صَانِعَهُ رَحْمَانٌ قَهَّارٌ^()

يثني الشاعر على المولى عز وجل ويتحدث عن مظهر من مظاهر عظمته، هو الكون الذي نعيش فيه، لكنه لم يرد الإشارة إليه إلا بعد أن يهيئ المخاطب لذلك، ويجلب انتباهه، ويضمن تركيزه معه، لذلك أدخل "ها" على اسم الإشارة، فلو لم يفعل لما ضمن نجاح وصول رسالته إلى المخاطب، ولما أدرك هذا الأخير الشيء المشار إليه.

وأما اتصال "ها" بأي في النداء فمثل قوله:

وَقَمْتُ أَدْعُوهُ عَلَى رَأْسِهِ	لَعَلَّنِي أَحْظَى بِنَعْصِ الْجَوَابِ ^()
يَا أَيُّهَا الْآوِي إِلَى حُفْرَةٍ	فِي سَفْحِ طُودٍ عِنْدَ مَلَقَى الشُّعَابِ
يَا أَيُّهَا الْهَآوِي عَلَى وَجْهِهِ	تَحْتَ أَدِيمِ الْجَوْ فَوْقَ الثَّرَابِ
يَا أَيُّهَا الْمُلْتَمُّ فِي طُمْرِهِ	كَالْقُنْفُذِ أَنْهَالَتْ عَلَيْهِ الْكِلَابُ
هَوْنٌ مِنَ الْغَمِّ عَلَيْكَ فَمَا أَحْسَـ	بُ إِلَّا مِنْهُ هَذَا الضَّبَّابُ

() : المصدر السابق، ص .

() : المصدر السابق، ص .

أراد الشاعر نداء اسم معرف بالألف واللام فاتخذ من "ها" وصلة لما يريد، فجاء لذلك بحرفي تنبيه متتابعين، وقد كان بإمكانه أن يحذف الحرف الأول، فيتم المقصود دون خلل، إلا أنه لم يفعل مما أكد ذاك التنبيه وجعله أكثر قوة؛ نظرا لما في الحرفين من مد، ورفع للصوت يجعل المخاطب ينتبه مهما كانت درجة بعده أو غفلته.

وما نلاحظه من خلال هذه الأبيات هو تكرار ذينك الحرفين (يا، ها)، إذ ينادي الشاعر في كل مرة المخاطب بذكر صفة من صفاته، دون أن يبلغه رسالته أو يقول له ما يريد. فلما كان (المخاطب) كأنه لم ينتبه ولم يستجب للنداء في البيت الأول أعاد نداءه وتنبيهه في البيت الثاني. ولما بقي الأمر على حاله أعاد الكرة مرة ثالثة مبالغة في الأمر، فلما علم (في البيت الرابع) إقباله وإصغائه وتأكد من تجاوبه همّ بتبليغ رسالته إليه، وقدم له النصيحة سعيًا منه إلى مواساته والتخفيف عنه. وهو ما يعلل إذاً تكراره للحرفين "يا" و"ها" وإلحاحه في النداء والتنبيه.

وقد ناداه بـ "يا" المختصة بنداء البعيد رغم قرب المسافة بينهما، لأنه (المخاطب) كان ساهيا متثاقلا عنه فاضطرّ إلى أن يعامله معاملة البعيد. ومما يؤكد زعمنا هذا، البيت الأول من تلك المجموعة الذي يتجلى من خلاله أن الشاعر كان يخاطب شخصا قريبا دانيا منه، ولكن لكونه يدرك تماما حالته المزرية، وعسر ما سيفعله بالغ في استعمال حروف النداء والتنبيه معا، حتى يحقق ما يريد ويصل إلى غرضه المرجو.

2 – جدول الحروف الموظفة في باب الإسلاميات والقوميّات:

الحروف	ألا	أما	ها	أ	أي	أيا	هيا	يا
القصائد								
ذكرى المولد النبوي	05		01					03
تحية دار الحديث			03					02
براك الله للذكرى حساما	01							03
هذيان آشيل			02					
تحية الشهاب للشباب			02					01
يا معشر الطلاب								04
تحية أيها النادي	01		02					01
يا قوم								07
تحية جريدة السنة			05					05
عيد الحرم								09
دعاة إلى الحسنى	01		03					08
تحية مجلة نور الإسلام			04					03
تحية الشبيبة			03					03
هيهات يخزى المسلمون			01					03
أيها السامر			07					01
في أذن الشرق			05					11
حمتك يد المولى		01	02					07
تحية ووصية			02					05
حزب مصلح			04					01
رفاق الخير			03					01
بلادي	03		12					07
كلمة في الرسالة			01					03
استوح شعرك		01	02	04				06
شهر الصيام	01							04

05								ختمت كتاب الله
03								وداع الحجاج (1)
03					01			أنشودة الوليد
					08			بشرى البراءة
02								يا أمة الخير
01					05			ويخلد الإسلام
01					01			فتح جديد
06					02	01		رعد البشائر
01					03			أعزم السير
					02			وداع الحجاج (2)
04					02		02	الترحيب بالحجاج
01					01			سلوا التاريخ
								إلى العلم
03					01			قننة الأزهر بشيخه الجديد
02					03			بشرى للجزائر
01					02			تحية المسلم الجديد
02					03			في يوم باتنة العظيم
06					04			تحية شاعر إلى الرئيس
03					02			العروبة أمتنا الكبرى
02								يا فتية العلم شدوا العزم
02		01			03			دعاك الأمل
07					05			الثورة العظمى كسبنا نصرها
153		01		04	112	03	14	اجمعوع:

يحتوي هذا الباب ستة وأربعين () قصيدة، تتضمن عناوين مجموعة منها حروف

تنبيه (يا معشر الطلاب، يا قوم، أيها السامر...)، وقد وظف الشاعر حروف التنبيه في

جميع قصائد الديوان إلا في واحدة منها "إلى العلم"، لم يوظف أي حرف من تلك الحروف، رغم أنها ليست من قصار القصائد في الديوان ربما لأنها كانت تعتمد الأسلوب الخبري بكثرة من خلال التذكير بالأجداد والتلميح إلى جهود بعض العلماء والاعتماد على الفخر في ذلك مما لا يحتاج فيه إلى تنبيه.

تنوع استعمال الحروف في هذا الباب، فمنها ما استعمل بكثرة، ومنها ما استعمل قليلا، ومنها ما استعمل مرة واحدة فقط، ومنها ما لم يستعمل قطّ كالهزمة، أي، وهيا. فأما الحرف الغالب استعماله فهو "يا"؛ بحيث أحصينا له مئة وثلاثة وخمسين () موضعا، اختلفت وظائفه وتعددت بتعدد السياقات الوارد فيها ومن تلك الوظائف:

1 — النداء والتنبيه:

وظف الشاعر "يا" كثيرا في نداء الأشخاص وتنبيههم، وغالبا ما يكون أولئك المنبهون في صيغة الجمع نحو: يا شعب، يا وفد، يا فتية، يا قوم، يا معشر، يا بني الشرق، نظرا لأن المواضيع المتناولة في هذا الباب مواضيع قومية تخص العرب والمسلمين كافة، بحيث يكون الخطاب موجّها إليهم جميعا غير مقتصر على شخص واحد أو شخصين، ومنها:

يَا شَبَابَ الْعُلَى اعْتَصِمِ بِالتَّآخِي زَاكَ اللَّهُ فِي الْعُلَى مِنْ شَبَابٍ ()

ينادي الشاعر الشباب ويطلب إقبالهم ، ويسعى إلى لفت انتباههم واسترعاء أذهانهم وتفكيرهم، حتى يتمكن من دعوتهم إلى التآخي، وإلى التمسك به؛ فهو لا يدعوهم قبل أن يهيئ أذهانهم ويدرك تجاوبهم وإقبالهم عليه، ليضمن سهولة ونجاح التواصل معهم.

() : ديوان محمد العيد آل خليفة، ص .

ولا يقتصر الشاعر على نداء الأشخاص ومخاطبتهم، بل نجده أحيانا ينادي نفسه وينبئها، كما في قوله:

فَيَا نَفْسِي عَنِ الْكُدْرَاتِ عُفِّي وَعُودِي لِلصَّفَاءِ الْمُحْضِ عُودِي^(١)

فهو ينادي نفسه ويعاملها كما لو كانت مفصولة بعيدة عنه، فيخاطبها ويأمرها أن تكفّ عن الكدورات، وتعود للصفاء المحض، أي أنه يتواصل مع ذاته (باعتباره المخاطب والمخاطب في الوقت نفسه)، ربما لما رآه من ضرورة دعمها وتقويتها، لكي لا يتسرب اليأس والملل أو الفتور إليها، وحرصا منه على استمرار صمودها.

كما ينادي في الكثير من الأحيان ما لا يقبل النداء في حقيقته كالأماكن (يا دار، يا مجلس النواب، يا جامعا، يا مسجدا)، ومظاهر الطبيعة (يا برق، يا غيث)، وبعض المعنويات (يا عزّ، يا علم، يا أيها اليأس، يا حادثات)، متزلا إياها متزلة الشخص الحي الذي يستجيب له، ويقبل عليه. وكل ذلك لغرض تواصل يحدده السياق نحو قوله:

فَيَا أَيُّهَا الْيَأْسُ الَّذِي قِيلَ نَابَنِي بِحَقِّ الْمَعَالِي مَا خَطَرْتُ عَلَى بَالِي^(٢)

يتجلى لنا من خلال هذا البيت الحالة النفسية والمعنوية للشاعر، الذي كان دائم التفاؤل غير قانط من رحمة الله، مما جعله ينادي اليأس وكأنه يسمعه ليخبره أنه بعيد عنه، لم يخطر على باله كما زُعم وأنه لم ولن يتمكن منه. وهو ما يعكس قوة شخصيته، وموقفه البطولي وصموده أمام الوضع حينذاك.

(١): المصدر السابق، ص .

(٢): المصدر السابق، ص .

2 – التمني: نحو قوله:

فَيَا لَيْتَنَا نَرْمِي الدَّسَائِسَ جَانِبًا وَيَا لَيْتَنَا نَنْفِي الْخَسَائِسَ أَجْمَعًا^(١)

دخلت "يا" على "ليت" فأدت التمني، وأكدت وظيفة "ليت"، وزادتها ظهوراً وجلالاً، وقد كرّرها الشاعر في الشطر الثاني ليعبّر عن حزنه ويؤكد إلحاحه على ما سبق. وكأنه حين يكرر ويطيل الكلام يتمكن من التخلص من أكبر كمية من الانفعال^(٢) الذي يغمره ويملاً نفسه.

3 – الدعاء: نحو قوله:

يَا رَبِّ مَنْ كَانَ فِي الْإِسْلَامِ مُبْتَدِعًا مِنَّا فَوْقَهُ لِلْإِقْلَاعِ وَالنَّدَمِ^(٣)

فهو يدعو ربّه لهداية المبتدع في الإسلام، ولتوقيفه في الإقلاع عن ذلك، والندم عليه. فنلمس فيه نوعاً من الخوف والشكوى نظراً لما للابتداع من فتنة على الناس.

4 – المدح:

أَلَا يَا حَبَّذَا ذِكْرِي أَقْمَنَاهَا لِمِيعَادِ^(٤)

دخلت "يا" على حبذا فأفادت المدح، بحيث يمدح الشاعر ذكرى المولد النبوي؛ وقد سُبقت هذه الياء بحرف تنبيه آخر هو "ألا"، فكان في ذلك تأكيد وزيادة في التنبيه على الشيء الممدوح.

(١): المصدر السابق، ص .

(٢): ينظر أسلوب النداء في اللمح المقدس، عبد القادر موفّق، ص .

(٣): ديوان محمد العيد آل خليفة، ص .

(٤): المصدر نفسه، ص .

5 — التعجب: أفادت "يا" التعجب في عدة مواضع من هذا الباب، نذكر منها قوله:

يَا لَهَا مِنْ تُهْمَةٍ مُفْتَرَاةٍ مَا لَهَا فِي الْحَادِثَاتِ مِثْلُ^(١)

يتعجب الشاعر من التهمة التي افترها الاستعمار الفرنسي على أحد أعضاء جمعية العلماء المسلمين، والمتمثلة في اغتيال مفتي الجمعية^(٢)، فعبر عن تعجبه ودهشته بالحرف "يا" المقرون بلام التعجب. وهو تعجب يستنكر فيه تلك التهمة البشعة التي لا مثيل لها.

6 — التأسف:

فَيَا أَسَفًا يُدْعَى الْحَمَامُ عَشِيَّةً لِيَسْجَعَ لَكِنْ لَا يَمِيلُ لِيَسْجَعًا^(٣)
لَقَدْ صَدَدْنَا عَنْ قَالَةِ الشَّعْرِ أَنَّنَا نَرَى جُلَّهُمْ قَدْ خَابَ فِي جُلٍّ مَا ادَّعَى

يتأسف الشاعر على الحال الذي بلغه الشعر وآل إليه، والذي جعله يصد عنه فلا يميل إلى قوله أو الاستمتاع به، ذلك لأنه أصبح عند كثير منهم مجرد لغو وادعاءات باطلة لا يتطابق فيها القول مع الفعل.

7 — التحذير:

يَا وَيْحَ أَنْفُسَنَا مِنْ كُلِّ طَاغِيَةٍ يَسُومُهَا أَلَمًا مُرًّا عَلَى أَلَمٍ^(٤)

ينبه الشاعر نفسه وغيره كذلك إلى شر الطغاة، ويحذرهما منه ومن الألم الذي تبغيه لها، فنادى "الويح" وكأنه يريد: يا ويح أقبل فهذا موعدك.

(١): المصدر السابق، ص .

(٢): ينظر المصدر السابق، ص .

(٣): المصدر السابق، ص .

(٤): المصدر السابق، ص .

8 — الاستغاثة: تمثلت في قوله:

يَا لِلرَّجَالِ لِحُرْمَةِ مَهْتُوكَةٍ أَفْشَاعِرُونَ أَمْ الرَّجَالُ سُكَارَى؟^(١)

يستغيث الشاعر بالرجال لصون الحرمة المهتوكة، فوظيفة "يا" هنا الاستغاثة، والمستغاث به الرجال، أما المستغاث لأجله فهو الحرمة المهتوكة.

أما الحرف الثاني الذي يلي "يا" من حيث الاستعمال فهو الحرف "ها" الذي أحصينا له مئة واثنى عشرة () موضعاً، والذي نجده موزعاً في معظم قصائد الباب. فقد كانت أغلب استعمالاته مع أسماء الإشارة المفردة وبالأخص منها المفرد المذكور نحو: فَوَيْحَكَ مَا هَذَا الْجَفَاءُ الَّذِي طَعَى عَلَيْكَ فَلَمْ تَنْفَكْ كَالصَّخْرِ جَامِداً^(٢)

أراد الشاعر الإشارة إلى الجفاء فسعى إلى لفت انتباه المخاطب أولاً باستعمال "ها" التنبيه حتى يتمكن من إدراك الشيء المشار إليه. ولا يمكن استبدال "ها" في هذا الموضع بأي حرف من حروف التنبيه الأخرى، فلا نقول مثلاً: فويحك ألا ذا الجفاء... لأن الأصل في أسماء الإشارة أن ينبه إليها بالهاء.

وكما دخلت على أسماء الإشارة دخلت على ضمير الرفع المنفصل نحو:

هَآ أَنتَ فِي وَسْطِ الزَّعَازِعِ ثَابِتٌ بَاقٍ عَلَى الْإِسْلَامِ لَمْ تَتَزَعَزَعْ^(٣)

دخلت "ها" على الضمير "أنت" تنبيهاً إليه، ولم يخبر عنه باسم الإشارة كما شاع عند

(١): المصدر السابق، ص .

(٢): المصدر السابق، ص .

(٣): المصدر السابق، ص .

بعضهم، وإنما أخبر عنه بشبه جملة. ويمكن في تقديرنا استبدال "ها" في هذا الموضع بـ "ألا" دون أن يحتل البيت فيقال ألا أنت ... ويبقى التنبيه قائما. رغم أننا نلمس في "ها" بعض القوة في التنبيه نظرا لما لها من خصائص صوتية تميزها عن صوتي الهمزة واللام.

وبالإضافة إلى هذا دخلت "ها" على اسم الفعل "لَمْ"، نحو:

هَلَمْ إِلَيْنَا أَيُّهَا الْخَصْمُ نَحْتَكِمُ إِلَيْهِ وَنَسْتَعْرِضُ عَلَيْهِ الْعَوَائِدَا ()

لا يمكن تعويض "ها" في هذا الموضع بأي حرف آخر، فهي لازمة دون غيرها، وقد جاءت في البيت تنبيها للمخاطب، ثم ألحقت بهاء أخرى جاءت وصلة لنداء المعرف، فكانت مؤكدة لها مقوية لوظيفتها. هذا مع حذف حرف النداء الذي لو أثبت لكان التنبيه أقوى ما يكون.

وقد جاءت "ها" في هذا الباب متصلة بـ "أي"، لإتاحة وتسهيل نداء المعرف بـ "ال" في الكثير من المواضع من بينها البيت المذكور سابقا.

ومن الحروف المستعملة أيضا في هذا الباب الحرف "ألا"؛ الوارد في أربعة عشر () موضعا، جاء في معظمها لتأدية وظيفة التنبيه ، نحو قوله:

أَلَا إِنَّ حَجَّ الْبَيْتِ عُنْوَانٌ وَحْدَةً مِنْ اللَّهِ خُطَّتِ لِلْحَنِيفِيِّ مَذْهَبًا ()

وردت "ألا" للتنبيه على ما بعدها فعملت مع ذلك على تأكيده وتحقيقه، خصوصا أنها دخلت على "إن"، بحيث جاورتها في الموقع وشاركتها في الوظيفة.

() : المصدر السابق، ص .

() : المصدر السابق، ص .

ولم تقتصر "ألا" على تأدية وظيفة التنبيه بل تجاوزتها إلى وظائف أخرى هي:

1 - الدعاء: نحو قوله:

أَلَا فَلْيَنْعَمْ الْعُلَمَاءُ بَالَاً وَحَالاً وَلَيْدُمْ نَادِي التَّرَقِّي^()

رغم أن الأصل في "ألا" في هذا الموضع التنبيه على ما يأتي بعدها من كلام إلا أننا نلاحظ أنها تجاوزته لتفيد الدعاء، إذ يوظفها الشاعر في الدعاء للعلماء براحة البال من جهة ولنادي الترقى بالدوام من جهة أخرى

2 - التحذير: نحو قوله:

أَلَا فَقُلْ لِلَّذِي بِالْحَرْبِ فَاجَأْنَا لَا تَلْقَ بِالْحَرْبِ مَنْ يَلْقَاكَ بِالسَّلَامِ^()
وَقُلْ لِمَنْ نَأَلْنَا بِالظُّلْمِ مُنْتَقِمًا حَذَارٍ مِنْ نَائِلٍ بِالْعَدْلِ مُنْتَقِمٍ

وظف الشاعر "ألا" تنبيها للمخاطب، وتحذيرا في الوقت ذاته لكل من تسول له نفسه ظلمه أو خداعه ومباغتته بالحرب؛ فهو ينجح إلى السلم وسيهزمه بالعدل والطرق السلمية التي قد تكون آثارها أشد وقعا من أثر الحرب عليه.

3 - التحضيض: نحو قوله:

أَلَا فَتَدْرَعُوا مِنْ كُلِّ بَلَوَى بِإِسْعَافِ الْفَقِيرِ أَسَدًا لَامٍ

يحث الشاعر قومه ويحضهم على الإحسان إلى الفقير والرفق به. لأن في ذلك أجر عظيم ينالونه، وتحصين من المصائب ودفع لها.

() : المصدر السابق، ص .

() : المصدر السابق، ص .

كما وظف الشاعر أيضا الهمزة أربع ()، مرات فكانت جميعها للنداء والتنبية، نحو:
أَذْوِي الْعَمَائِمِ سَايِرُوا قُرْآنَكُمْ وَتَتَّبِعُوا هَدْيَ الرَّسُولِ الْأَشْفَعِ ()

فهو ينادي "ذوي العمائم" ويلفت انتباههم في البداية إلى ما سيقوله، ثم يشرع في نصحتهم ودعوتهم إلى مسابقة القرآن وتتبع الهدى. والظاهر أنهم لم يكونوا بعيدين عنه لذلك وظف الهمزة المختصة بنداء القريب وتنبيهه.

هذا بالإضافة إلى الحرف "أما" الذي وظفه ثلاث مرات فكان في اثنتين منها للتقرير:
أَمَّا كَانَ إِزْهَاقُ النَّفُوسِ مُحَرَّمًا عَلَى الْقَوْمِ أَمْ ظَنُّوا النَّفُوسَ لَهُمْ حِلًّا ()

فهو لا يسأل عما إذا كان إزهاق النفوس محرماً أم لا، لأنه حكم شرعي ثابت مستقر لا جدال في تحريمه، إنما هو يقر بذلك وينبه المخاطب إليه رغبة في تهيئته إلى ما يأتي من كلام يتعلق بقتل النفس التي حرم الله والذي يستنكر من خلاله تجرأ بعضهم على هذا الفعل البشع.

أما المرة الثالثة التي وردت فيها "أما" فقد كانت للتعجب:

فَيَا أَيُّهَا الشَّعْبُ الذَّلِيلُ أَمَّا تَرَى لَجَارِكَ هَمًّا بِالسِّيَادَةِ مُوَلَّعًا ()
بُنُو الْعَرَبِ حَازُوا عَالَمَ الْأَرْضِ كُلَّهُ وَإِنَّ لَهُمْ فِي عَالَمِ النُّجْمِ مَطْمَعًا!

نادى الشاعر الشعب في البداية، وسعى إلى لفت انتباهه بالحرفين "يا" و"ها"، ثم همَّ

-
- () : المصدر السابق، ص .
() : المصدر السابق، ص .
() : المصدر السابق، ص .

بمخاطبته فوظف الحرف "أما" معبرا ومعلنا عن تعجبه من سعي بني الغرب وراء السيادة
وانبهارهم بها، مما جعلهم يحكمون عالم الأرض بل ويطمعون في عوالم أخرى.

فهو لا يتساءل هنا كما يظهر من الوهلة الأولى خصوصا إذا تعاملنا مع مفردات هذا
التركيب معزولا بعضها عن بعض، أو إذا قسمناه إلى تراكيب جزئية بسيطة، إنما يتعجب
ويندهش مما يرى، وهو ما يتجلى بوضوح من خلال قراءتنا السياق اللغوي الواردة فيه
"أما" كاملا.

ووظف الحرف "أيا" مرة واحدة في قوله:

أَيَا نَجْلُ صُنْ حِمَى مَنْ نَجَلْ^(١)

ينادي الشاعر النجل باستعمال الحرف "أيا" المختص بنداء البعيد مسافة وحكما، لأنه
بعيد عنه من حيث المسافة فاحتاج في ندائه إلى رفع الصوت ومدّه. أو ربما لأنه لا ينادي
نَجْلا معينا فقد عامله معاملة البعيد ونزله منزله.

(١): المصدر السابق، ص .

3 — جدول الحروف الموظفة في باب الأخلاقيات والحكميات:

يا	ها	أيا	أي	أ	ها	أما	ألا	الحروف القصاصد
05					03			تحية العلماء
11					05	01	07	أيها الرافعون القصور
02					05			في ضلال الخير
03								دار الخيرية
02					05			يا شباب
01					01			إذا كان صوت الحق
03					18			هذه قمة الفتوى
					04			تارك الصلاة
					01			تارك الزكاة
02					01			متى أنت راجع
01								الخمر
02								يا ابن الليل
32					43	01	07	المجموع:

نلاحظ من خلال الجدول أن من عناوين القصاصد ما يتضمن حرفاً من حروف التنبيه؛ فهي — إضافة إلى حروف الجر — الأكثر استعمالاً في عنونة القصاصد من بين سائر حروف المعاني. بيد أننا لا نجد جميع الحروف، إنما الحرفين "يا" و"ها" في غالب الأحيان.

وحتى في متون القصاصد يغلب توظيف هذين الحرفين أكثر من غيرهما؛ فقد أحصينا لـ"ها" ثلاثة وأربعين () موضعاً، ولـ"يا" اثنين وثلاثين () موضعاً. فنلاحظ بذلك أنه على عكس البابين السابقين اللذين كثر فيهما استعمال "يا"، يغلب في هذا

الباب توظيف الحرف "ها"، وربما يرجع السبب في ذلك إلى أنَّ الشاعر لم يكن يريد النداء، وإنما كان يريد مجرد التنبيه.

وقد كثر دخول "ها" بصفة خاصة على اسم الإشارة المفرد بنوعيه، نحو قوله:

بَيْنَ هَذَا وَهَذِهِ وَاجِبَاتٌ وَحُقُوقٌ عَنْ فِعْلِهَا يُسْأَلَانِ^(١)

يحدث الشاعرُ المخاطَبَ عن جنسي الرجال والنساء، فقبل أن يشير لهما بنجده ينبهه بالهاء حتى يتمكن من إدراكهما، ولا يفوته المقصود من الإشارة إليهما.

كما جاءت في كثير من الأحيان متصلة بـ "أي" عند نداء المعرف بـ "ال" سواء ذكر حرف النداء قبلها أم لم يذكر. نحو قوله:

أَيُّهَا الشَّعْبُ قُمْ بِدِينِكَ وَأَبْعَثْ قِيمَ الشَّعْبِ مِنْ ثَرَى النِّسْيَانِ^(٢)

أراد الشاعر نداء الشعب وهو اسم معرف بـ "ال"، فجاء بـ "أي" وألحق بها "ها" التنبيه وجوبا ليمكن من تحقيق ما يريد. إلا أننا نلاحظ أنه اكتفى بهذا، ولم يذكر حرف النداء في البداية؛ وربما كان ذلك دلالة على قرب المخاطَب ودنوّه منه ممّا لا يحتاج فيه إلى توظيف حرفي تنبيه معًا.

وعلى غير ما رأيناه في الفصل السابق، نجد الشاعر يوظف "ها" توظيفاً جديداً، لم يذكره النحاة في سياق حديثهم عن هذا الحرف، وهو الاستفهام المتجلى في قوله:

(١): ديوان محمد العيد آل خليفة، ص .

(٢): المصدر نفسه، ص .

فَيَا شَيْخَةَ الْقَطْرِ هَا مِنْ حَكِيمٍ يُدَاوِي جِرَاحَاتِنَا التَّأْغِرَةَ؟^(١)

إذ وردت "ها" في البيت بعد النداء، وأدت وظيفة الاستفهام فكانت بمثابة "هل".

أما الحرف "يا" فقد جاء على أصله، وكانت أبرز وظيفة له في هذا الباب النداء والتنبيه، مع بعض الوظائف الأخرى التي لم تتجاوز كل منها حدود المرة الواحدة.

1 — النداء والتنبيه: نحو قوله:

فَيَا أَيُّهَا الْعَبْدُ الَّذِي ظَلَّ أَبَقَا عَنْ السَّيِّدِ الْأَعْلَى مَتَى أَنْتَ رَاجِعٌ؟^(٢)

واضح أن "يا" وُظفت في هذا البيت على أصلها حيث أدت النداء والتنبيه دون أن يقصد بها شيء آخر. فالشاعر ينادي العبد وينبهه بـ "يا" وبالهاء بعدها، ولما يدرك إقباله ويتأكد منه يسأله عن موعد رجوعه، موظفا الحرف المناسب في ذلك "متى".

2 — الشكر: وتمثل في قوله:

شَكَرْتُ لَكُمْ يَا رُفْقَةَ الْعِلْمِ وَصَلَّةً أَعَدْتُمْ بِهَا مَعْنَى السُّرُورِ إِلَى قَلْبِي^(٣)

يخاطب الشاعر رفقة العلم فيستهل بيته بشكرهم، ثم يعرج إلى ندائهم ليس طلبا لإقبالهم لأنهم كانوا بالقرب منه وهو متيقن من تجاوبهم — وإلا لما قدم الشكر على النداء الذي تكون له الصدارة في القول، والذي يسبق كل ما أراد المتكلم قوله — إنما تخصيصا لهم بذاك الشكر وتوكيدا له.

(١): المصدر السابق، ص .

(٢): المصدر السابق، ص .

(٣): المصدر السابق، ص .

3 – المدح: نحو قوله:

يَا حَبْدًا يَوْمَ حَادِي الْعَشْرِ مِنْ رَجَبٍ فَإِنَّهُ بِكَ فِي الْأَيَّامِ مُخْتَارُ^(١)

يمدح الشاعر يوم الحادي عشر من رجب، وينبه المخاطبين إليه، وإلى فضل ما وقع فيه؛ حيث تم افتتاح الجمعية الخيرية بالعاصمة^(٢)، وهو الأمر الذي أوجب له المزية دون سائر الأيام وجعله يستحق المدح.

4 – التعجب:

فَيَا لَكَ مِنْ عِيدٍ تَجَلَّى كَأَنَّهُ عَرُوسٌ تَجَلَّتْ فِي مَطَارِفِهَا الْقُشْبِ^(٣)

يتعجب الشاعر من هذه المناسبة العظيمة، فيناديها نداء تعجب، قاصدا مدحها لما في العيد من مميزات، وخصائص تميزه عن سائر المناسبات.

5 – التحذير:

فَيَا وَيْحَ نَفْسِي مِنْ دَعَاوٍ كَثِيرَةٍ يُصَانِعُنِي قَوْلًا بِهَا مَنْ يُصَانِعُ^(٤)

يخاطب الشاعر نفسه فينبهها، ويحذرها من دعاوي المجاملين له، فقوله: يا ويح نفسي بمثابة قوله: انتبهي يا نفسي واحذري.

(١): المصدر السابق، ص .

(٢): ينظر المصدر السابق، ص .

(٣): المصدر السابق، ص .

(٤): المصدر السابق، ص .

وظف الشاعر كذلك في هذا الباب الحرف "ألا" وذكره مرات عديدة (مرات) في قصيدة "أيها الرافعون القصور" فأدى وظائف مختلفة هي:

1 — التنبيه:

أَلَا مَنْ يُجِيرُ فُؤَادَ الصَّغِيرِ وَيُسْكِنُ لَوْعَتَهُ الشَّائِرَةَ^(١)

دخلت "ألا" على حرف الاستفهام فأدت وظيفة التنبيه، حيث نبه بها الشاعر المخاطبين حتى يتمكن من سؤالهم فيضمن تواصلهم وينتظر إجابتهم.

2 — التحضيض:

أَلَا تُكْرِمُونَ أَلَا تُنْقِذُونَ وَجُوهًا تُكَبِّبُ فِي الْحَافِرَةِ^(٢)

يخاطب الشاعر الأغنياء من الناس، ويحثهم على إكرام الفقراء، وإنقاذهم مما هم في من حاجة وعوز. فجاء بالحرف "ألا"، وتلاه بالمضارع، ثم كرر الحرف ثانية مع فعل آخر. وكان له أن يعطف بيد أنه لم يفعل لما في تكرار "ألا" من توكيد للتحضيض الأول، وإلحاح على الثاني.

3 — الاستنكار: تمثل في قوله:

وَأَثَرْتُمْ أَهْلَكُمْ بِالْهَبَاتِ وَبِالْمَتَعِ اللَّذَةِ الْوَافِرَةِ^(٣)
أَلَا تَسْمَعُونَ أَلَا تُبْصِرُونَ مَا سِيَ مِنْ حَوْلِكُمْ صَائِرَهُ

(١): المصدر السابق، ص .

(٢): المصدر السابق، ص .

(٣): المصدر السابق، ص .

يخاطب الشاعر فئة معينة من الناس (فئة الأغنياء)، ويتضح جليا من خلال البيتين أنه يستنكر بعض أفعالهم ويلومهم عليها؛ حيث غرقوا في اللذات مع أهاليهم فلم يبالوا بمن حولهم، ولا بالمصائب التي يعاني منها الكثير.

فهو يوظف الحرف "ألا" تعبيرا عن ذاك الاستنكار، ولوما لهم على تلك الأفعال في الوقت ذاته. فقد كررها مرتين توكيدا وتقوية لما يريد تبليغه إليهم، حيث كان بإمكانه أن يعطف لكن لعلمه المسبق أن العطف لن يفي بالمقصود كرر الحرف "ألا" فكان في ذاك التكرار إلحاح ظاهر في اللوم واستنكار شديد على الفعل.

ووظف الشاعر أيضا الحرف "أما" مرة واحدة، فكانت وظيفته حينئذ الطلب، والذي تمثل في قوله:

تَفَاقَمَ كَرْبُ الْفَقِيرِ الْكَسِيرِ أَمَّا عِنْدَكُمْ مِنْ يَدٍ جَابِرَةٍ^(١)

يخبر الشاعر المخاطبين بحال الفقير المزري، ثم يطلب منهم المساعدة وتقديم يد العون، لأنه متأكد من أنهم قادرين على فعل ذلك. فقد وطف الحرف "أما" طالبا المساعدة مهما كان نوعها دون أن يحدد أو يشترط، فالمهم عنده أن يستجيبوا لطلبه وأن يسهموا في تحسين حاله ورفع معنوياته.

(١): المصدر السابق، ص .

4 – جدول الحروف الموظّفة في باب الاجتماعيات والسياسيات:

الحروف	ألا	أما	ها	أ	أي	أيا	هيا	يا
القصائد								
باخرة الموت			01					05
يا نفس			01					09
هذه جدوة			03					
يا فرنسا								02
هل من جديد؟								02
يا شرق		01						04
يا وفد			01					06
ذكرى المؤتمر			06					08
يوم الشعب			03					11
تقريظ كتاب محمد عثمان		01						01
تقسيم فلسطين	01		01					02
يا وادي السان	01							03
بعد هذا			01					03
يا وفد سائل فرنسا								04
من الشعر الرمزي			02					05
لا أنسى			02					05
هيجت وجددي								05
جد في هزل، وهزل في جد			03					
خطر العلم على البشرية			02					
يا قوم هبوا								03
يا مصر	01							04
بلادنا أسيرة								01
استقلال ليبيا								04

02					02			استقلال السودان
89					28	02	03	المجموع:

نلاحظ من خلال الجدول كثرة استعمال حروف التنبيه في هذا الباب، سواء في عنونة القصائد أم في متونها. فقد تكرر الحرف "يا" ثمان () مرات في عناوين القصائد، وتسعة وثمانين () مرة في متونها. فتنوعت وظائفه لكثرة استعماله وكانت كما يلي:

1 — النداء والتنبيه:

يعتبر أكثر وظيفة أدتها "يا" في الباب، فكثيرا ما وظفها الشاعر لنداء الأشخاص، وطلب إقبالهم، ولفت انتباههم، ليتمكن من مخاطبتهم، ويضمن نجاح تواصله معهم، نحو:

أَزْرَى بِنَا الذُّلُّ يَا خَلِيلِي فَهَلْ إِلَى الْعِزِّ مِنْ سَبِيلٍ؟^()

يخاطب الشاعر خليله، ويخبره بالذل الذي أضحووا فيه، ثم يناديه وينبهه بعد ذلك، رغم أن للتنبيه الصدارة في عموم الكلام، لما فيه من تهئية للمخاطب. وربما كان ذلك لأن المخاطب كان مقبلا عليه في البداية، ثم أحس بثاقله، أو عدم تجاوبه تجاوبا كافيا، فأراد أن ينبهه من جديد ليحافظ على استمرارية التواصل ويكمل حديثه إليه.

2 — التعجب:

فَيَا لَكَ مِنْ خَطْبٍ تَعَذَّرَ وَصْفُهُ فَلَمْ تَجْرِ أَقْلَامٌ بِهِ فَوْقَ أَطْرَاسٍ^()

() : ديوان محمد العيد آل خليفة، ص .

() : المصدر نفسه، ص .

يتحدث الشاعر في هذا البيت عن أحداث ماي ، فيصف تلك المأساة متعجبا منها، منبها بأهوالها، لأنها مَظْلَمَة كبيرة، وجريمة بشعة تجاوزت جميع المظالم.

3 — الاستغاثة: تمثلت في قوله:

وَيَا لِلَّهِ مِنْ دَهْرٍ تَجَافَى عَنِ الذِّكْرِى وَأَكْبَرَ أَنْ يُنْيَا^(١)

ينادي اسم الله تعالى، ويطلب غوثه وإعانتته على الدهر، فالله مستغاث به، والدهر مستغاث من أجله، و"يا" الحرف الذي تمت به هذه الوظيفة. ونلاحظ أنه قد جرّ المستغاث من أجله بـ "من" عوضا عن اللام، نظرا لجواز نيابة بعض حروف الجرّ عن بعضها الآخر.

4 — الذم والتهويل:

وَيَا وَحْشَتَا مِنْ مِحْنَةٍ نُكِبَتْ بِهَا سُلَالَةُ مَازِيغَ وَفَتْيَةٍ يَعْرُبُ^(٢)

ينادي لفظ "وحشة" تعبيرا عن هول تلك المحنة، وذما لها، ولما ألحقته بأولئك القوم. فهو يناديها نداء مجازيا كأنها ستبلي نداءه وتقبل عليه.

وإضافة إلى "يا" تكررت "ها" عدة مرات في عناوين ومتون القصائد، فاتصلت في معظمها بأسماء الإشارة، و"أي" في النداء، ودخلت مرة على اسم الفعل "هلم"، كقوله:

أَقِيمِي لَا تُفَارِقِي السُّعُودُ سَلَامُ اللَّهِ أَيَّتَهَا الْوُفُودُ

(١): المصدر السابق، ص .

(٢): المصدر السابق، ص .

هَلُمَّ بِنَا نَصِلْ حَبْلًا بِحَبْلٍ أَلَمَّا يَكْفِنَا هَذَا الصُّدُودُ^(١)

نلاحظ من خلال البيتين أنه رغم اختلاف استعمال "ها" إلا أنها تبقى دائما لتنبيه المخاطب لما يأتي، سواء أكان ما بعدها اسما معرّفا بـ "ال"، أم اسم فعل، أم اسم إشارة.

كما وظف الشاعر "ألا" ثلاث () مرات فكانت في اثنتين منها للعرض نحو قوله: أَلَا اسْقِنَا مِنْ رَحِيقٍ بِالشَّدَى عَبِقٍ لَا تَسْقِنَا مِنْ حَمِيمٍ بِالْأَذَى آن^(٢)

فقد وظفها ليطالب من المخاطب أن يسقيه من الرحيق وينهاه عن سقايته من الحميم.

أما المرة الثالثة فكانت فيها للتحذير وتمثلت في قوله:

أَلَا تَبَّتْ يَدُ تَبْغِي بِظُلْمٍ أَذَاتُهُمَا بِفَصْلٍ أَوْ بَعَادٍ^(٣)

فهو يتحدث عن مصر والسودان^(٤)، وقد وظف ألا تحذيرا لكل عدو أجنبي أو يد ظالمة تبغي التفريق أو هدم العلاقات الأخوية بينهما. ونلاحظ أن فيه اقتباس من القرآن.

كما وظف الحرف "أما" مرتين وكان في كليهما للتذكير، ومنه:

أَمَّا تَرَى الْأَحْبَاشَ لَمْ يَحْمِهِمْ حَامٍ سِوَى مَا يُدْهِنُ الْمُدْهِنُ^(٥)

يذكر الشاعر المخاطب بقصة الأحباش وما وقع لهم، لكي يتعظ ويأخذ العبرة منهم.

(١): المصدر السابق، ص .

(٢): المصدر السابق، ص . آن: شديد المראה.

(٣): المصدر السابق، ص .

(٤): ينظر المصدر السابق، ص .

(٥): المصدر السابق، ص .

5 – جدول الحروف الموظفة في باب اللزوميات:

يا	ها	أيا	أي	أ	ها	أما	ألا	الحروف القصاصد
01								إيراد وإصدار
01								خلا القلب
01								وليت نحوك وجهي
04								يا قلب
							01	لو
01								جولة طرف
02								ما لي وللأذى
01								وداع رمضان
02								الناس
					01			تفاؤل
							01	فتنة الوجوه
01								يا فؤادا
04					01			ياعام
18					02		02	الجموع:

تأتي "يا" في مقدمة الحروف المستعملة في هذا الباب؛ فقد وظفت ثمان عشرة (8) مرة، في حين لم يستعمل من الحروف الأخرى إلا "ها" وذلك في موضعين فقط (بخلاف الأبواب الأخرى التي كان يفوق فيها استعمالها هذا العدد)، والحرف "ألا" الموظف هو الآخر مرتين في الباب كله.

فأما "يا" فكانت في معظم استعمالاتها للنداء والتنبيه، سواء أكان ذلك النداء للعاقل

(يامانع، يا فاعلا)، أم لغير العاقل المتزلزل مثلته (يا قلبا، يا فؤادا). إلا في ثلاث حالات جاءت في اثنين منهما للتعجب، نحو:

فَيَا لَهُ مِنْ قَضَاءٍ بِسَهْمِهِ قَدْ رُمِينَا^(١)

ليست "يا" هنا للدعاء بل هي للتعجب؛ إذ يمد الشاعر صوته بهذا الحرف تعبيرا عن دهشته وتعجبه من القضاء، الذي يملأ حياته، وليس لأحد أن ينكره أو يعترض عليه. وقد يبالغ في مدّ صوته كيفما شاء على حسب قوة تعجبه منه وشدته.

وجاءت في مرة أخرى للدعاء والتضرّع لله، وذلك في قوله:

وَلَيْتُ نَحْوَكَ وَجْهِي وَتُبْتُ يَا رَبُّ تُبْتُ^(٢)

يتضرع الشاعر إلى ربه، ويتوجه إليه بالدعاء باستعمال الحرف "يا"، الذي نجده يخلص لهذه الوظيفة دون التنبيه. فهو يناديه ليستجيب دعاءه ويمن عليه من نعمه، رغم علمه وتيقنه من أنه يسمع دعاءه، ويجيبه بحيث لا يغفل عنه أبدا.

أما الحرف "ها" فقد كان دخوله على اسم الإشارة نحو:

فَهَذَا رَجَائِي قُلْتُهُ مُتَفَانِلًا وَلِلشَّرْعِ رَأْيِي فِي التَّفَاوُلِ ذَائِعٌ^(٣)

جاءت "ها" متصلة باسم الإشارة، تنبيهها للمخاطب حتى لا يفوته المقصود من الشيء

(١): ديوان محمد العيد آل خليفة، ص .

(٢): المصدر نفسه، ص .

(٣): المصدر نفسه، ص .

المشار إليه، والذي هو رجاء الشاعر في البيت.

أما "ألا" فقد جات مرة للتنبيه، في قوله:

أَلَا لَيْتَ النُّفُوسَ لَهَا شُكُولٌ وَأَعْيَانٌ لِيَيْدُوهَا تُكِنُّ^()

دخلت "ألا" على "ليت" فأدت وظيفة التنبيه، واكتسبت التمني من خلال مجاورتها وتضامها معها، فهي هنا بمثابة "يا" التي تخلص للتنبيه وتدخل على "ليت"، لذلك جاز استبدالها بها فيما نعتقد بحيث يقال : يا ليت النفوس...

وجاءت مرة ثانية للتحضيض وذلك في قوله:

أَحَاطَ قَضَاءُ اللَّهِ بِالْخَلْقِ كُلِّهِمْ فَلَمْ يَمْتَنِعْ شَيْخٌ وَلَمْ يَنْجُ يَافِعٌ^()
أَلَا فَارْجِعِ الطَّرْفَ الَّذِي أَنْتَ طَامِعٌ بِهِ وَأَخْفِضِ الرَّأْسَ الَّذِي أَنْتَ رَافِعٌ

يحث الشاعر المخاطب، ويحضّنه على التواضع لله عز وجل، والعودة إليه في جميع الأحوال لأن كل شيء مربوط بقضائه وقدره.

() : المصدر السابق، ص .

() : المصدر السابق، ص .

6 — جدول الحروف الموظفة في باب الإخوانيات:

الحروف	ألا	أما	ها	أ	أي	أيا	هيا	يا
بين عالم وشاعر			01					03
بين أميرين			03					
هنيئاً								01
بين شاعرين			01					
له خبر			03					
ذكرى زفاف الشيخ جلول								01
سليت روايتك النهى			01					
شاعران يلتقيان								01
قنئة الإبراهيمي			01					
بين أستاذ وتلميذه								01
أديبان يزوران شاعر								01
المجموع			10					08

نلاحظ أن الشاعر لم يوظف من حروف التنبيه في هذا الباب غير "ها" و"يا"، اللتان أحصينا للأولى منهما عشرة () مواضع ، وللثانية ثمانية () مواضع.

فقد ذكرت "ها" في أغلب المواضع مع اسم الإشارة المفرد المذكر، نحو (هذا الشقاء، هذا هو الشرف)، وكان يفصل بينهما أحياناً بكاف التشبيه (هكذا)، كما ذكرت في موضعين متصلة بـ "أي" في النداء وهو ما يتجلى في قوله:

أَيُّهَا الشَّاعِرُ الَّذِي حَذَقَ الشَّعْرَ فِي الصَّغَرِ

هَكَذَا الشُّعْرُ يُنْتَقَى هَكَذَا الشُّعْرُ يُتَكَّرُ (١)

اتصلت "ها" في البيت الأول بـ "أي" في النداء، فكانت تنبيهاً للمخاطب على ما سيأتي بعدها، ثم جاءت في البيت الثاني مع اسم الإشارة مفصّلاً بينهما بكاف التشبيه، فهو (الشاعر) ينبه أولاً ثم يشبه ثم يشير. وكأنه يريد القول بهذه الطريقة السابقة ينتقى الشعر ويبتكر. ويكون بهذا اسم الإشارة هو المشبه به.

أما "يا" فلم ينادى بها إلا الأشخاص العقلاء في هذا الباب، فقد أدت في جميع المواضع التي ذكرت فيها وظيفة النداء والتنبيه، إلا في حالة واحدة كانت وظيفتها التهليل والترحيب. ومن النداء والتنبيه قوله:

يَا صَدِيقِي شَرَحْتَ بِالْوَصْلِ صَدْرِي بَعْدَ مَا سَامَهُ مِنَ الْبُعْدِ ضَيْقُ (٢)

وربما كانت هذه الوظيفة هي المناسبة والملائمة لهذا الباب بالذات فطالما أنه مخصص للإخوانيات، فإنه لا بد أن يكون بالضرورة محل الحديث بين الأشخاص العقلاء.

أما التي للترحيب والتهليل فقوله:

يَا مَرْحَبًا بِالشَّاعِرَيْنِ تَلَطُّفًا بِزِيَارَةِ بَلَّتْ صَدَايَ وَرُودًا (٣)

حيث أراد الترحيب بالشاعرين فمد صوته بـ "يا" تعبيراً عن كبر وقوة فرحته بهما وبزيارتهم.

(١): ديوان محمد العيد آل خليفة، ص .

(٢): المصدر نفسه، ص .

(٣): المصدر نفسه، ص .

7 – جدول الحروف الموظفة في باب الثوريات:

يا	ها	أيا	أي	أ	ها	أما	ألا	الحروف القصائد
04		01			01	02		صرخة ثورية
04								من للجزائر
01								مناجاة بين أسير وأبي بشير
02					02			صوت جيش التحرير
02								ثورة بنت الجزائر
05					01			قنينة الجيش وتحية العلم
					07			وقفه على قبور الشهداء
01					01		01	الذكرى العاشرة
04								علم الجزائر
02								ذكرى الاستقلال
25		01			12	02	01	اجمعوع

نلاحظ من خلال الجدول، كثرة توظيف حروف التنبيه في هذا الباب رغم قلة قصائده. وربما كان ذلك لأن الحديث عن الثورة وما يدور حولها إنما يتطلب وعياً، وإقبالاً كبيراً من المخاطب على المخاطب له. لأن الأمر لا يحتمل أي تهاون في العملية التواصلية، وهو ما يجعل المخاطب يركز على هذه الحروف ويكثر من استعمالها.

وظف الشاعر الحرف "يا" خمسة وعشرين (٢٥) مرة، تنوعت بين نداء الأشخاص العقلاء (يا ابن، يا قوم، يا فتاة)، وبين نداء الأشياء (يا رايتي، يا علمي)، والأماكن (يا دولة، يا بلادي)، والمعنويات (يا عزّ نفسي، يا هوى وجداني) التي تعامل معها كلها كما يتعامل مع الإنسان العاقل، إذ يتوقع أنها ستبلي نداءه وتستجيب لتنبيهه، ومنها قوله:

وَيَا عَلَمِي إِنِّي أَرَى بِكَ عَالَمِي بَدَا بَعْدَ مَا أَخْفَيْتُهُ عَنِّي يَدُ السِّرِّ ()
فَأَنْتَ حَيَاتِي أَنْتَ رُوحِي وَرَاحَتِي وَرَاحِي وَرَيْحَانِي وَيُسْرِي مِنْ عُسْرٍ

ينادي الشاعر العلم ويخاطبه، وكأنه يخاطب شخصا لبي ندائه واستجاب لتنبهه،
لذلك شرع في مدحه من بعد.

كما وظف الحرف "ها" اثني عشرة () مرة، منها ما هو داخل على أسماء الإشارة،
ومنها ما هو متصل بـ "أي" في النداء، نحو قوله:

هَكَذَا أَخْبَرَ إِلَهُهُ فَصَدَّقَ نَبَأَ اللَّهِ أَصْدَقَ الْأَنْبِيَاءِ ()
أَيُّهَا الزَّائِرُونَ سَاحَةَ طَهْرٍ قُدْسِي وَعِزَّةِ قَعَسَاءِ

دخلت "ها" في البيت الأول على اسم الإشارة، وقد فصل بينهما بكاف التشبيه،
بينما اتصلت في الثاني بـ "أي"، وهي في كليهما لتنبه المخاطب، ولا يمكن تعويضها أو
استبدالها بأي حرف آخر.

ومن الحروف الواردة في هذا الباب كذلك الحرف "أما" الذي استعمله الشاعر في
التوكيد والتحقيق نحو:

أَمَّا فِي عُرُوقِكَ أَزْكَى الدَّمَا؟ أَمَّا فِي فُرَادِكَ أَذْكَى الْحَمِيَّةِ؟ ()

رغم أن الظاهر من البيت الاستفهام، إلا أن "أما" أفادت هنا تحقيق وتوكيد ما بعدها،

() : ديوان محمد العيد آل خليفة، ص .

() : المصدر نفسه، ص .

() : المصدر نفسه، ص .

إذ يخاطب الشاعر الشعب الجزائري، ويثبت له تلك الصفات.

كما وظف الحرف "ألا" مرة واحدة في هذا الباب:

أَلَا أَيُّهَا الشَّعْبُ الَّذِي بِجِهَادِهِ أَعَادَ جِهَادَ الصَّحْبِ يَقْفُوهُمْ أَثَرًا^()

دخلت "ألا" على النداء فكانت خالصة للتنبيه. أما حرف النداء فقد حذف، وبقي "أي" و"ها" المتصلة به، فنلاحظ توالي حرفي تنبيه، مما يدل على حرص الشاعر وإلحاحه على تنبيه الشعب، ورغم حذف حرف النداء، إلا أن وظيفته تبقى قائمة في التركيب، فيمكن بذلك تقدير توالي ثلاث حروف للتنبيه.

() : المصدر نفسه، ص .

8 – جدول الحروف الموظفة في باب المراثي:

يا	ها	أيا	أي	أ	ها	أما	ألا	الحروف القصائد
03								رثاء رشيد
01					02			إلى صديقي الجلاي
07								رثاء شاعر النيل
05					02			إلى روح شوقي
08								قصة شهيدين
05					03			الوداع الوداع
01								في ذمة الله يا خالد
06					02			رثاء غازي الأول
06								رثاء رشيد بطحوش
01					01			يا قبر
04								دمعة منهمة على فتاة
01					03			تأبين الشاذلي خزنदार
					01		01	فقدنا مليكا عادلا
02					01			عزاء في فجيعتنا
04								أبت النفس أن تراك عديما
54					15		01	الجموع:

رغم أن الشاعر لم يعتمد على جميع أو معظم حروف التنبيه، إلا أننا نجد المعتمد منها
 كرر مرات كثيرة، بحيث وظف الحرف "يا" أربع وخمسين () مرة تنوعت فيها
 وظائفه وتباينت فكانت كالاتي:

1 — النداء والتنبيه:

وَيَا شَعْبَ الْجَزَائِرِ قُمْ وَأَسْعِفْ وَعَجِّلْ بِاِكْتِتَابٍ وَاعْتِمَادٍ^(١)

أراد الشاعر مخاطبة الشعب فناده أولاً ولفت انتباهه إليه قبل أن يشرع في حثه وأمره بما يريد، وذلك ليضمن إقباله عليه وتجاوبه معه ومع خطابه الذي يوجهه إليه.

2 — الدعاء:

يَا رَحْمَةَ اللَّهِ هُبِّي نَفْحَةً وَهَمِي غَيْثًا عَلَى حَافِظٍ فِي الْقَبْرِ مَدْرَارًا^(٢)

يتجلى من البيت أن الشاعر ينادي رحمة الله ويطلب إقبالها، فهو إذاً دعاء للمولى عز وجلّ برحمة الشاعر "حافظ إبراهيم" رحمة واسعة.

3 — التحذير: تمثل في قوله:

يَا وَيْحَ مِصْرُ خَلَتْ مِنْ حَافِظٍ وَخَلَا فِي الْهَامِدِينَ كَأَنَّ لَمْ يَثْرُهَا دَارًا^(٣)

حيث يحذر من الحال الذي سيؤول إليه الأدب في مصر بعد وفاة حافظ إبراهيم.

4 — التعظيم والتهويل:

فَقَدْ الرَّشِيدُ مُصَابٌ يَا هَوْلُهُ مِنْ مُصَابٍ^(٤)

(١): ديوان محمد العيد آل خليفة، ص .

(٢): المصدر نفسه، ص .

(٣): المصدر نفسه، ص .

(٤): المصدر السابق، ص .

ينادي الشاعر لفظ الهول تعبيرا عن حزنه العميق، وعن عظمة المصاب الذي ألمّ بهم،
نظرا لوفاة أحد أبرز رجال الإصلاح في الجزائر، وهو ما أثر فيه كثيرا.

5 — الندبة:

يَا رَاحِلًا وَنَوَادِي الشَّرْقِ تَنْدُبُهُ وَلَهَى وَتَرْفَعُهُ كَالشَّمْسِ مَقْدَارًا^(١)

وظف "يا" في ندبة حافظ إبراهيم لأنه قد أمن اللبس بينه (المندوب) وبين المنادى غير
المندوب، كما أنه قد وظّف القرينة الدالة على ذلك والمتمثلة في قوله "تندبه".

6 — التشاؤم: تمثّل في قوله:

بَعْدَادُ كَوَكْبَهَا خَبَا يَا شُؤْمَ ذَلِكَ مِنْ نَبَا^(٢)

تشاءم الشاعر من نبأ مقتل ملك العراق من طرف الاستعمار الإنجليزي، متخوفا من
الأوضاع آنذاك، فنادى لفظ الشؤم تعبيرا عن حالته النفسية إثر سماعه وعلمه بذلك.

أما الحرف الثاني المستعمل هو الآخر بكثرة في الباب فهو "ها"؛ إذ ورد في خمسة
عشر () موضعا، داخلا أحيانا على أسماء الإشارة، وأخرى على اسم الفعل "لم"
ومتصلا أحيانا بـ "أي" في النداء. دون أن يتجاوز في جميع الأحوال وظيفة التنبيه، نحو:

أَلَا أَيُّهَا الْحَامِي الْجَزِيرَةَ إِنَّنَا نُحْيِيكَ عَنْ شَعْبٍ بَرَى جُهْدَهُ الرِّقُّ^(٣)

اتصلت "ها" بـ "أي" للتمكن من نداء الاسم المعرف، وزيادة في التنبيه إليه؛ إذ سبق

(١): المصدر السابق، ص .

(٢): المصدر السابق، ص .

(٣): المصدر السابق، ص .

التنبيه بحرف نداء، فرغم أنه محذوف إلا أن تقديره يبقى قائما في الذهن.

ونلاحظ أن البيت صدرّ بحرف آخر من حروف التنبيه "ألا"، وهو الموضع الوحيد الذي ذكر فيه هذا الحرف، فقد دخل على النداء للتنبيه إليه؛ فكان التنبيه بـ "ألا" أولا ثم النداء والتنبيه بالحرف المحذوف، ثم التنبيه بـ "ها". أي اجتماع ثلاثة تنبيهات في موضع واحد، وهذا لا يكون في تقديرنا إلا إذا كان محور الخطاب والهدف من التواصل ذا أهمية بالغة.

9 – جدول الحروف الموظفة في باب الذكريات:

الحروف القصائد	ألا	أما	ها	أ	أي	أيا	هيا	يا
ذكرى شاعرين	02		02		01			01
عاش وقفنا على الجزائر			02					03
يا رائد الشعب								02
أهلا وسهلا بالأمير	01		01					02
فابشر يا ابن محي الدين								01
الجموع:	03		05		01			09

نلاحظ من خلال الجدول أنه رغم قلة قصائد هذا الباب إلا أنه تضمن عددا لا بأس به من حروف التنبيه. فقد أحصينا لـ "يا" تسعة () مواضع أدت فيها كلها وظيفة النداء والتنبيه، باستثناء موضع واحد فقط أدت فيه التعجب. فمن النداء والتنبيه قوله:

يَا رَأَيْدَ الشَّعْبِ لِلْأَهْدَافِ سِرَّتَ بِهِ دِينًا وَدُنْيَا بِفِكْرِ مِنْكَ جَوَّالٌ^(١)

ينادي الشاعر في البيت الشيخ محمد البشير الإبراهيمي في ذكرى وفاته الأولى، فرغم أنه ميت لا يسمع النداء أو التنبيه، ولا يستجيب له، إلا أنه عامله معاملة الحي الذي يسمعه، ويلبي نداءه، وفاءً له ولما كان له من أثر في الجزائر، جعله يبقى حيا في النفوس.

أما التعجب فتمثل في قوله في قصيدة خصّ بها الأمير عبد القادر:

فِيَا لَكَ كَنْزًا غَالِيًا حَلَّ غَالِيًا بِعَالِيَةٍ تَعْلُو عَلَيْهَا الْمَشَاهِدُ^(٢)

أفادت "يا" التعجب في هذا الموضع، وهو تعجب يتضمن كثيرا من المدح للشخص المتعجب منه (الأمير عبد القادر).

ومن الحروف الواردة كذلك في الباب الحرف "ها" المذكور خمس مرات ()، والداخل على أسماء الإشارة وضمائر الرفع المنفصلة، نحو:

يَا ابْنَ بَادِيسَ هَذِهِ فِئَةُ الْحَا — قُِّ بِذِكْرَاكَ تَحْتَفِي كُلَّ عَامٍ^(٣)
شَعْبَ عَبْدِ الْحَمِيدِ هَا هُوَ وَافَى فَالْقَ عَبْدَ الْحَمِيدِ بِالْإِكْرَامِ

وردت "ها" في البيتين للتنبيه، فاتصلت في الأول باسم الإشارة تنبيها للمخاطب على المشار إليه (فئة الحق)، وجاءت مستقلة في الثاني فدخلت على الضمير "هو".

() : ديوان محمد العيد آل خليفة، ص .

() : المصدر نفسه، ص .

() : المصدر نفسه، ص .

وجاءت مرة متصلة بـ "أي" في النداء:

أَيُّهَا الْإِنْسَانُ هَلْ أَنْتَ لِمَا رَاعٍ مِنْ شَيْءٍ الْمَرَأَى فِيكَ رَأَى^(١)

لحقت "ها" بأي في النداء فكانت تنبيهاً للمخاطب، وزادت ذاك النداء قوة وظهوراً على ما كان عليه من قبل، حتى من غير ذكر حرف النداء لأن تقديره قائم في النفس.

كما ورد في هذا الباب الحرف "ألا" ثلاث () مرات فأدى وظيفة التنبيه نحو قوله:

أَلَا يَا عُھُودَ الْفَخْرِ وَالْمَجْدِ أَقْبِلِي وَعُودِي فَعَبْدُ الْقَادِرِ الْيَوْمَ عَائِدُ^(٢)

دخلت "ألا" على حرف النداء "يا"، فكانت خالصة لتنبيه المخاطب.

بالإضافة إلى هذه الحروف وظف الشاعر الحرف "أي" وهو نادر الاستعمال في

الديوان ككل وذلك في قوله:

أَيُّ هُوَاةِ الْفَنِّ أَحْرَارَ الْحِجَى حُصَفَاءَ الذَّوْقِ أَبْرَارَ الْإِحْيَاءِ^(٣)
أَدْرِكُوا بِالْعَطْفِ أُمَّ ثَاكِلاً لَمْ تُبَارِحْهَا عَوَادِي الْبُرْحَاءِ

لا تتضح وظيفة "أي" في هذا البيت إذا لم نقرأ البيت الموالي له، فإذا اكتفينا بالبيت الأول فقط حسبنا أنها للتفسير، نظراً لأن الشاعر يكرر بعدها مباشرة مجموعة من الصفات على التوالي، لكن عندما نقرأ الثاني يتجلى لنا أنها للنداء والتنبيه، لأن الشاعر أراد أن يناديهم لكي ينتبهوا إليه، ويدركوا خطابه لهم ورسالته إليهم.

() : المصدر السابق، ص .

() : المصدر السابق، ص .

() : المصدر السابق، ص .

10 – جدول الحروف الموظفة في باب المتفرقات:

يا	هيا	أيا	أي	أ	ها	أما	ألا	الحروف القصاصد
					01			05 يولية 1830
02								الضيف الثقيل
					01			هزات أرضية
01								ويح الشباب
					01			رسم الإمام ابن باديس
01					01			مثال التأخي
02					01			صورة شوقي
		01						الوعد المكذوب
02								يا كامل
01								رجاء
							01	الرحالة المسلم الكبير
01					01			العلم المرجى
02					01			مناجاة شعرية
03					01			يا سامر الأنس
02								هي المهمة القعساء
01								قومي بنو الإسلام
01					03			الأفلام أسلاك المناجاة
01					02			كلمة شكر
20		01			13		01	اجمـــــوع:

نلاحظ أنه رغم كثرة قصائد هذا الباب، ورغم كثرة الحروف الموظفة فيه إلا أنها قليلة مقارنة بعدد الحروف الموظفة في قصائد الأبواب الأخرى من الديوان. وربما كان ذلك

لأن القصائد المحتواة في هذا الباب لاتصنف ضمن موضوع واحد. لذلك لا نستطيع الربط بين عدد الحروف وبين موضوع الباب.

وظف الحرف "يا" عشرين () مرة، فأدى وظائف مختلفة هي كالآتي:

1 — النداء والتنبيه:

فَيَا نَشَأْنَا الشَّرْقِيَّ هَيَّا إِلَى الْعُلَى كَرَكَبٍ لَهُ فُصْحَى اللُّغَاتِ كَرَائِدٍ^()

ينادي الشاعر النشء، ويلفت انتباهه، قبل أن يشرع في توجيه رسالته إليه ويطلب منه الذهاب إلى العلى.

2 — التمني: تمثل في قوله:

سُؤَالٌ: بَنِيَّ أَرْجُو مِنَ الْمَوْلَى لَكُمْ سَلَفًا مُسْتَقْبَلًا زَاهِرًا بِالسَّعْدِ مَقْرُونًا^()
يَا لَيْتَ شِعْرِي وَوَجْهُهُ الْغَيْبِ مُسْتَتِرٌ مِنْ بَعْدِ عِشْرِينَ عَامًا مَا تَكُونُونَا؟

يخاطب الشاعر أولاده، ويدعو المولى عز وجل أن يجعل مستقبلهم زاهرا، ثم يتمنى في البيت الموالي أن يتحقق ذلك. وكان له أن يقول ليت شعري دون أن يذكر "يا" فيتحقق المقصود، ولكننا نلاحظ أنه بذكره لها زادت التمني قوة، وأوحت ببعد مطلبه وهو ما يؤكده الكلام الذي يليها.

() : ديوان محمد العيد آل خليفة، ص .

() : المصدر نفسه، ص .

3 — الاستفهام: نحو قوله:

مَا لَهُ وَاضِعًا عَلَى الْكَفِّ رَاسًا يَا تُرَى أَيُّ نَوْبَةٍ يَشْتَكِيهَا؟^()

دخلت "يا" على الفعل المبني للمجهول "ترى" فأفادت الاستفهام، ونزعم أنها لا تؤدي هذه الوظيفة إلا مع هذا الفعل، وبهذه الصيغة.

4 — التعجب:

يَا لَهَا مِنْ تُخْفَةٍ عِيدِيَّةٍ قَدَرُهَا عِنْدَ ذَوِي الذَّوْقِ تَسَامَى^()

وظف الشاعر "يا" تعبيراً عن تعجبه من تهنئة عيدية أرسلها له أحد الأصدقاء من الشعراء بمناسبة عيد الفطر، وهو تعجب يتضمن شكر المرسل، ومدح رسالته.

5 — المدح:

هَذَا مِثَالُ التَّآخِي يَا حُسْنُهُ مِنْ مِثَالِ^()

رغم أن الحسن شيء معنوي لا ينادى في الواقع ولا يطلب إقباله، إلا أن الشاعر ضم إليه الحرف "يا" من باب المجاز لأنه كان يريد المدح، والحسن أكثر شيء يمدح به.

وإضافة إلى الحرف "يا" وظف الشاعر "ها" ثلاثة عشر () مرة، منها ما هو داخل على أسماء الإشارة المفردة، كما في البيت السابق، ومنها ما هو متصل بـ "أي"، نحو:

() : المصدر السابق، ص .

() : المصدر السابق، ص .

() : المصدر السابق، ص .

أَيُّهَا الْوَفْدُ مَرْحَبًا بِكَ فَانْزِلْ بِفُؤَادِي قَبْلَ الْحُلُولِ بَوَكْرِي^(١)

أراد الترحيب بالوفد فناده بداية ونبهه، حتى يكون ترحيبه به أقوى أثرا على النفس.

ووظف كذلك "أيا" مرة واحدة، تمثلت في قوله:

أَيَا مَنْ بِالْوُعُودِ أَجَبْتُمُونَا شِفَاهًا فِي الْمَجَالِسِ أَوْ كِتَابَهُ^(٢)

ينادي الشاعر مسؤولي الحكومة الفرنسية، وينبههم إلى أن الشعب الجزائري يعلم أن ما وعدوه به مجرد أكاذيب وادّعاءات باطلة.

كما وظف الحرف "ألا" مرة واحدة فقال:

أَلَا أَهْلًا بِزَائِرِنَا وَسَهْلًا فَأَنْتَ بِكُلِّ إِكْرَامٍ جَدِيرٌ^(٣)

وظيفة "ألا" في البيت التنبيه، فهو يسعى إلى لفت انتباه المخاطب لسمع ترحيبه به ويتجاوب ويتفاعل معه. أي أنه تنبيه يحمل في ثناياه الكثير من التهليل والترحيب.

-
- (١): المصدر السابق، ص .
(٢): المصدر السابق، ص .
(٣): المصدر السابق، ص .

11 – جدول الحروف الموظفة في باب الألغاز:

الحروف	ألا	أما	ها	أ	أي	أيا	هيا	يا
لا النافية			01					
الجارية السوداء			01					
المجموع:			02					

يتضح لنا من خلال الجدول أن الشاعر لم يوظف حروف التنبيه كما في المرات السالفة، فحتى الحرف "يا" الذي يطغى توظيفه على جميع الحروف، والذي يذكر في جميع الأبواب، لا نجد له ذكرا هنا؛ وربما كان ذلك لأن الألغاز لا تكون إلا بين شخصين — فأكثر — مقبلين على بعضهما، لا يحتاج الواحد منهما إلى نداء أو تنبيه من الآخر ليستجيب أو يتفاعل مع ما يقوله له.

فمن بين سائر الحروف لم يذكر إلا الحرف "ها" مرتين إحداهما مع اسم الإشارة:

تَصِلْ هَذِهِ لَنَا بَتِّلِكَ ثُمَّ تَقْطَعْ^(١)

فقد جيء بـ "ها" تنبيها للمخاطب على المشار إليه.

وجاء في المرة الثانية مع ضمير الرفع المنفصل. قال الشاعر:

وَهَا هِيَ قَدْ عَادَتْ وَجَادَتْ بِوَصْلِهَا لَنَا بَعْدَمَا غَابَتْ وَطَالَ ارْتِحَالُهَا^(٢)

(١): ديوان محمد العيد آل خليفة، ص .

(٢): المصدر نفسه، ص .

دخلت "ها" على الضمير، ولم يخبر عنه باسم الإشارة، إنما أخبر عنه بجملة فعلية.

12 – جدول الحروف الموظفة في باب الأناشيد:

الحروف القصاصد	ألا	أما	ها	أ	أي	أيا	هيا	يا
نشيد كشافة الرجاء								01
نشيد الشباب								02
نشيد كشافة الإقبال								03
نشيد كشافة الصباح								03
نشيد نساء الجزائر								12
نشيد مدرسي			02					01
نشيد عقبة								02
أمير المؤمنين غنمت نصرا			01					
المجموع:			03					24

لم يوظف الشاعر في هذا الباب من حروف التنبيه سوى الحرفين "يا" و"ها"،
وكالعادة نلاحظ قوة حضور الحرف "يا" الذي أحصينا له أربعة وعشرين () موزعة بين مختلف القصائد، في حين لم توظف "ها" إلا ثلاث () مرات.

ولم تتجاوز "يا" وظيفتي النداء والتنبيه في جميع تلك المواضع، وذلك نحو قوله:

إِيَّاهُ يَا فَتْيَةَ الْمُنَى أَطْلُبِي الْعِلْمَ أَطْلُبِي^()

ينادي فتية المنى ويطلب إقبالهم، ويسعى إلى لفت انتباههم بواسطة "يا"، ثم يخاطبهم ويحثهم على طلب العلم.

أما الحرف "ها" الوارد في هذا الباب فقد كان مع أسماء الإشارة المفردة، والخاصة بالمكان نحو:

هَـا هُـنَا رَبَّةُ الحَنَانِ هَـا هُـنَا ضُرُّ الصَّبِيِّ ()

يقصد بربة الحنان المدرسة، فلما كانت هذه الأخيرة مشارا إليها بهنا المختصة بالمكان، فقد دخلت "ها" تنبيهها للمخاطب إليها. نلاحظ أن توظيفها في البيت يضيفي عليه شيئا جديدا، نلمسه عند افتراض حذفه، نظرا لما تحويه من امتداد للصوت يجعل المخاطب ينتبه مهما كانت درجة بعده.

() : المصدر السابق، ص .

خاتمة

يسعى كل باحث من خلال خوضه غمار موضوع ما بالدراسة والبحث، إلى الوصول إلى إجابات عن تلك التساؤلات التي كانت بمثابة الحجر الأساس الذي انطلق منه بحثه، وقد توصلنا نحن من خلال بحثنا هذا إلى النتائج التالية:

— شاعت القسمة الثلاثية للكلم عند العرب القدامى فأيدها بعض المحدثين، وتجاوزها كثير منهم إلى قسمة أخرى رباعية، ثم سباعية بحجة عجز الأولى عن احتواء جميع مفردات اللغة. فكانت هذه القسمة الجديدة مجرد توسيع لما جاء به الأوائل وليس نфия له.

— جعل القدماء لحروف المعاني قسما مستقلا من أقسام الكلم، بينما ضمنها المحدثون في قسم آخر أكثر شمولاً (الأدوات)، رفقة مجموعة من الكلمات التي تؤدي وظائف عامة في التركيب، والتي تقوم بالربط بين الجمل وأجزاء الجمل وتعليق بعضها ببعض، بحيث لا تتجلى وظائفها إلا من خلال السياق الواردة فيه.

— ليس قولنا معنى الحرف، كقولنا وظيفة الحرف؛ فالمعنى يقتضي وجودَ شيءٍ مادي يشار إليه في العالم الخارجي، أو تصورٍ ذهني يملكه الأشخاص. بمجرد نطق الحرف ترسم لهم صورته في الأذهان، وليس الحرف كذلك إذ ليس له مشارا أو تصورا في الذهن سوى صورة تلك الحروف المكتوبة والمكون منها. بينما تقتضي الوظيفة أن يكون له دور تعبري في الكلام يميزه عن غيره وهذا ما ينطبق على الحروف.

— تنوعت وظائف اللغة، وانقسمت إلى قسمين أحدهما بنوي داخلي يرتبط بمستويات اللغة على الخصوص؛ بحيث يكون لكل واحد منها وظيفة منسوبة إليه (الوظيفة الصوتية، الصرفية، النحوية...)، وثانيهما يرتبط بالسياق الخارجي، فيشمل جميع الأطراف المشاركة في العملية التواصلية، وهو ما يسمى بالوظيفة التواصلية.

— للتنبيه دور بارز في العملية التواصلية، فهو العتبة الأولى التي تسهّلها وتضمن نجاحها، لذلك كانت معظم حروفه منتهية بحرف ألف يساهم في رفع الصوت ومده কিفما شاء المتكلم إلى حين يدرك إقبال المخاطب وتنبيهه. وهي قسمان أحدهما ينبه به على العموم (ألا، أما، ها، يا)، وآخر يختص به المنادى فقط دون غيره (أ، أي، أيا، هيا، يا).

— تشترك "أما" و"ألا" في معظم الخصائص والاستعمالات، فهما حرفي تنبيه واستفتاح، لا يقعان إلا في مقدمة الكلام، وهما في ذلك حرفان بسيطان، وقد يتجاوزان التنبيه لتأدية وظائف أخرى كالعرض والطلب والتحضيض والتوبيخ اللذان يكونان فيه مركبين من همزة الاستفهام ولا أو ما النافية. ويمكن أن تستبدل إحدهما بالأخرى في تلك المواضع التي تشتركان فيها، وفي وظيفتها دون أن يختل المعنى كما في وظيفتي العرض والطلب.

— لا يؤدي الحرف "ها" إلا وظيفة التنبيه، مهما تغير السياق الوارد فيه. فهو سواء دخل على اسم إشارة، أم اسم فعل، أم ضمير يبقى دائما خالصا للتنبيه، وما يتغير هو الشيء المنبه إليه.

— لما كان الغرض الأول من النداء تنبيه المخاطب، فقد سميت حروفه بالحروف التي ينبه بها المدعو، وكانت جميعا حروفا نائبة فعل محذوف تقديره أدعو أو أنادي. وهي قسمان، قسم يختص بنداء القريب أو ما في حكمه (أ، أي)، وقسم يختص بنداء البعيد (أيا، هيا، يا).

— قد تؤدي "يا" النداء والتنبيه، فينادى بها العاقل وغير العاقل لأغراض تواصلية يسعى إليها المتكلم، وقد تؤدي مجموعة من الوظائف الأخرى كالتعجب، التحسر، المدح،

الذم، الزجر، التهديد، والتمني. وقد تخلص للتنبيه دون النداء إذا وليها أحد الأمور التالية: فعل أمر، دعاء، رب، ليت، أو حبذا.

— كثر في ديوان محمد العيد آل خليفة توظيف الحرفين "يا" و"ها" فكانت وظائف "يا" مختلفة متنوعة منها الدعاء، التمني، المدح، التعجب، التأسف، التحذير، الاستغاثة، التنبيه، الذم، التهويل، التعظيم، الندبة، التشاؤم، والاستفهام، فقد استعملت لوظائف جديدة لم يذكرها النحاة في تفقيدهم اللغوية، مما يدل على أن تلك الوظائف مرهونة بالسياق الواردة فيه.

— وظف الحرف "ها" مرات كثيرة للتنبيه، فلم يتجاوز هذه الوظيفة إلا في حالة واحدة وظف فيها للاستفهام.

— وظفت "أما" و"ألا" مرات عدة في الديوان إلا أنها كانت في غالب الأحيان للتنبيه فقط. أما الحروف الأخرى كالهزمة و"أيا" و"أي" فقد وظفت مرات قليلة نادرة لم تتجاوز المرة والمرتين. وفي هذا دليل على أن لغة العصر لم تعد تستعمل مثل هذه الحروف؛ بل أصبحت تكتفي في غالب الأحيان بالياء التي تنوب عنها جميعا، والتي تستطيع تأدية مجموعة لا حصر لها من الوظائف لا يمكن للحروف الأخرى أن تؤديها.

— يؤكد تأثر هذه الحروف بالسياقات الواردة فيها أن تلك الوظائف غير مرهونة بضابط معين؛ بحيث يمكن للحرف وخصوصا "يا"، أن يتكيف مع جميع السياقات التي يرد فيها، وهو ما أدى إلى كثرة وتنوع الوظائف التي يؤديها وكثرة استعمالاته معها.

نسأل الله في الأخير أن يلهمنا الصواب ويرزقنا السداد في القول، والإخلاص في العمل إنه على كل شيء قدير، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

قائمة المصادر والمراجع:

- المصحف الشريف برواية ورش عن نافع.
- الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، دار الفكر، دط، دت، بيروت، ج01.
- الأدوات المفيدة للتنبيه في كلام العرب، فتح الله صالح المصري، ديوان المطبوعات الجامعية، دط، دت، الجزائر.
- ارتشاف الضرب من لسان العرب، أبو حيان، تح: رجب عثمان محمد، مكتبة الخانجي، ط01، 1998، القاهرة، ج04/02.
- الأساليب الإنشائية في النحو العربي، عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، ط05، 2001، القاهرة.
- الأشباه و النظائر في النحو، السيوطي، دار الكتب العلمية، دط، دت، بيروت، ج02.
- الأصول في النحو، ابن السراج، تح: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، ط02، 1996، بيروت، ج01.
- أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة، فاضل مصطفى السياقي، تق: تمام حسان، مكتبة الخانجي، دط، 1977، القاهرة.
- ألفية ابن مالك في النحو والصرف، ابن مالك، دار الكتب العلمية، ط03، 2007، بيروت.
- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، ابن هشام، مطبعة المدني، ط01، 2007، مصر.
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، السيوطي، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، دط، دت، بيروت، ج02.
- تحويلات الطلب ومحددات الدلالة (مدخل إلى تحليل الخطاب النبوي الشريف)، حسام أحمد القاسم، دار الآفاق العربية، ط01، 2007، القاهرة.
- التذييل التكميل في شرح كتاب التسهيل، أبو حيان الأندلسي، تح: حسن هندراوي، دار القلم، دط، دت، دمشق، ج03/01.
- التراكيب النحوية وسياقاتها المختلفة عند الإمام عبد القاهر الجرجاني، صالح بلعيد، ديوان المطبوعات الجامعية، دط، 1994، الجزائر.

- التركيبات الوظيفية (قضايا ومقاربات)، أحمد المتوكل، دار الأمان، ط01، 2005، الرباط.
- التعريفات، الشريف الجرجاني، مكتبة لبنان، دط، 1985، لبنان.
- التواصل اللساني والشعرية، الطاهر بومزبر، منشورات الاختلاف، ط01، 2007، الجزائر.
- توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، المرادي، تح: عبد الرحمن علي سليمان، دار الفكر العربي، ط01، 2001، مصر، ج 03/02.
- الجامع الصحيح (صحيح الإمام البخاري)، أبو عبد الله البخاري، تح: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط01، 2001، لبنان، ج 02.
- الجنى الداني في حروف المعاني، المرادي، تح: فخر الدين قباوة و محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، ط01، 1992، بيروت.
- حاشية ابن الحاج على شرح الأجرومية، ابن الحاج، مطبعة الاستقامة، ط02، 1949، القاهرة.
- حاشية الخضري على شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، محمد الخضري، دار الفكر، دط، دت، بيروت، ج 02.
- الخصائص، ابن جني، تح: محمد علي النجار، المكتبة العلمية، دط، دت، مصر، ج 01.
- دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تح: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، ط03، 1992، مصر.
- دلالة الألفاظ، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، ط05، 1984، مصر.
- ديوان امرؤ القيس، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ط05، دت، القاهرة.
- ديوان جرير، دار بيروت، دط، 1986، بيروت.
- ديوان جميل بثينة، تح: بطرس البستاني، دار بيروت، دط، 1982، بيروت.
- ديوان الخنساء، تح: حمدو طماس، دار المعرفة، ط02، 2004، لبنان.
- ديوان ديك الجن الحمصي، تح: مظهر الحجّج، اتحاد الكتاب العرب، دط، 2004، دمشق.
- ديوان ذي الرمة، شر: الخطيب التبريزي، دار الكتاب العربي، ط02، 1996، بيروت.
- ديوان زهير بن أبي سلمى، تح: حمدو طماس، دار المعرفة، ط02، 2005، بيروت.

- ديوان الشَّمَاخ بن ضرار الديباني، تح وشر: صلاح الدين الهادي، دار المعارف، دط، 1968، مصر.
- ديوان طرفة بن العبد، تح: حمدو طَمَّاس، دار المعرفة، دط، دت، لبنان.
- ديوان أبي العتاهية، دار بيروت، دط، 1986، بيروت.
- ديوان عروة بن حزام، تح: أنطوان محسن القوّال، دار الجيل، ط 01، 1995، بيروت.
- ديوان الإمام علي بن أبي طالب، تح: عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة، ط 03، 2005، بيروت.
- ديوان عمرو بن كلثوم، تح: إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، ط 02، 1996، بيروت.
- ديوان قيس بن الملوّح، تح: يسري عبد الغني، دار الكتب العلمية، ط 01، 1999، بيروت.
- ديوان قيس بن ذريح، تح: عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة، ط 02، 2004، بيروت.
- ديوان كثير عزة، تح: إحسان عباس، دار الثقافة، دط، 1971، بيروت.
- ديوان كعب بن زهير، تح: درويش الجوّيدي، المكتبة العصرية، ط 01، 2008، بيروت.
- ديوان محمد العيد آل خليفة، دار الهدى، دط، 2010، الجزائر.
- ديوان مهلهل بن ربيعة، تق وشر: طلال حرب، الدار العالمية، دط، دت، مصر.
- ديوان النابغة الذبياني، تح: حمدو طَمَّاس، دار المعرفة، ط 02، 2005، بيروت.
- رسالتان في اللغة (منازل الحروف، و الحدود)، أبو الحسن الرماني، تح و تق: إبراهيم السامرائي، دار الفكر، دط، 1984، عَمَّان.
- رصف المباني في شرح حروف المعاني، عبد النور المالقي، تح: أحمد محمد الخراط، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دط، دت، دمشق.
- شرح المفصل، ابن يعيش، إدارة الطباعة المنيرية، دط، دت، مصر، ج 02/03/04/08/09.
- شرح الوافية نظم الكافية، ابن الحاجب النحوي، تح: موسى بني علوان العليلي، مطبعة الأداب، دط، 1980، بغداد.
- شرح ديوان المتنبي، عبد الرحمن البرقوقي، دار الكتاب العربي، دط، 1986، بيروت، ج 02.
- شرح ديوان حسان بن ثابت الأنصاري، عبد الرحمن البرقوقي، المطبعة الرحمانية، دط، 1929، مصر.

— شرح شذور الذهب، محمد بن عبد المنعم الجوجري، تح: نواف بن جزاء الحارثي، مكتبة الملك فهد الوطنية، ط01، 2004، السعودية، ج 02.

— شرح ملحّة الإعراب، الحريري البصري، تح: بركات يوسف هبود، المكتبة العصرية، ط 01، 1997، بيروت.

— الصاحي في فقه اللغة العربية و مسائلها و سنن العرب في كلامها، ابن فارس، تح و تق: عمر فاروق الطّباع، مكتبة المعارف، ط01، 1993، بيروت.

— صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج، تح: نظر بن محمد الفاريابي أبو قتيبة، دار طيبة، ط 01، 2006، مكة.

— العربية والوظائف النحوية (دراسة في اتساع النظام و الأساليب)، ممدوح عبد الرحمن الرمالي، دار المعرفة الجامعية، دط، 1996، مصر.

— علم الدلالة، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، ط 05، 1998، القاهرة.

— علم اللغة، حاتم صالح الضامن، بيت الحكمة، دط، دت، بغداد.

— علم اللغة (مقدمة للقارئ العربي)، محمود السعران، دار النهضة العربية، دط، دت، بيروت.

— علم المعاني (دراسة بلاغية و نقدية لمسائل المعاني)، بسيوني عبد الفتاح فيود، مؤسسة المختار، ط 02، 2004، القاهرة.

— غنية الطالب و منية الراغب، أحمد فارس الشدياق، دار المعارف، دط، دت، تونس.

— في النحو العربي (قواعد و تطبيق على المنهج العلمي الحديث)، مهدي المخزومي، دار الرائد العربي، ط 02، 1986، بيروت.

— الكتاب، سيبويه، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، ط03، 1988، القاهرة، ج03/02/01.

— الكشف عن حقائق غوامض التّزّيل و عيون الأقاويل في وجوه التّأويل، أبو القاسم الزمخشري، تح: أحمد عادل الجود والشيخ علي محمد معوض، مكتبة العبيكان، ط 01، 1998، الرياض ج 05/04.

— كفاية المعاني في حروف المعاني، عبد الله الكردي البيتوشي، تح: شفيع برهاني، دار اقرأ، ط 01، 2005، دمشق.

— لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، ط03، 2004، بيروت، ج15/14/04.

— اللسانيات الوظيفية (مدخل نظري)، أحمد المتوكل، دار الكتاب الجديدة المتحدة، ط02، 2010، بيروت.

— اللغة العربية معناها و مبناها، تمام حسان، عالم الكتب، ط02، 1998، القاهرة.

- اللمع في العربية، ابن جني، تح: سميح أبو مغلي، دار مجدلاوي، دط، 1988، عمان.
- مبادئ في اللسانيات، خولة طالب الابراهيمى، دار القصة، ط02، 2006، الجزائر.
- المدارس اللسانية (أعلامها، مبادئها، ومناهج تحليلها للأداء التواصلى)، أحمد عزوز، دار الأديب، دط، 2005، الجزائر.
- المساعد على تسهيل الفوائد (شرح التسهيل)، ابن عقيل، تح: محمد كامل بركات، دار الفكر، دط، 1980، دمشق، ج01.

- المستقصى في معاني الأدوات النحوية، مسعد زياد، دار الصحوة، ط01، 2009، القاهرة.
- معاني النحو، فاضل صالح السامرائى، دار الفكر، ط01، 2000، الأردن، ج04.
- المعجم المفصل في علوم اللغة، محمد التونجي وراجي الأسمر، دار الكتب العلمية، ط01، 1993، لبنان، ج01.
- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، تح: عبد السلام هارون، دار الفكر، دط، 1979، القاهرة، ج06/05.
- المعجم الوسيط، مجموعة باحثين، مكتبة الشروق الدولية، ط04، 2004، مصر.
- المعنى اللغوي، محمد حسن حسن جبل، مكتبة الأداب، ط02، 2009، القاهرة.
- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام، تح: مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، دار الفكر، ط02، 1969، دمشق، ج01.

- المفصل في علم العربية، الزمخشري، دار الجيل، دط، دت، بيروت.
- المقتضب، أبو العباس المبرد، تح: محمد عبد الخالق عزيمة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، دط، 1994، القاهرة، ج04/02.

- من أسرار اللغة، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، ط03، 1966، القاهرة.
- النحو الأساسي، محمد حماسة عبد اللطيف، أحمد مختار عمر، ومصطفى النحاس زهران، دار الفكر، دط، 1997، القاهرة.

- النحو الوافي، عباس حسن، دار المعارف، ط03، دت، مصر، ج04.

- النحو والدلالة، محمد حماسة عبد اللطيف، دار الشروق، ط01، 2000، القاهرة.

- النداء في القرآن الكريم، توفيق دحام الحياي، دار الكتب العلمية، ط 01، 2008، لبنان.
- النظرية الألسنية عند رومان ياكسون، فاطمة الطبال بركة، مجد المؤسسة الجامعية، ط 01، 1993، بيروت.
- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، السيوطي، تح: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط 01، 1998، بيروت، ج 01.

الكتب المترجمة:

- التواصل (نظريات ومقاربات)، مجموعة باحثين، تر: عز الدين الخطابي وزهور حوتي، تق: عبد الكريم غريب، منشورات عالم التربية، ط 01، 2007، المغرب.
- تاريخ علم اللغة الحديث، جرهارد هلبش، تر: سعيد بحيري، مكتبة زهراء الشرق، ط 01، 2003، القاهرة.
- دور الكلمة في اللغة، ستيفن أولمن، تر وتق: كمال محمد بشر، مكتبة الشباب، دط، دت، مصر.
- علم اللغة العام، فردينان دي سوسير، تر: يوثيل يوسف عزيز، دار آفاق عربية، ط 03، 1985، بغداد.
- قضايا الشعرية، رومان ياكسون، تر: محمد الولي ومبارك حنون، دار توبقال، ط 01، 1988، المغرب.
- وظيفة الألسن، أندريه مارتينييه، تر: نادر سراج، دار المنتخب العربي، ط 01، 1996، بيروت.

الرسائل الجامعية:

- أسلوب النداء في اللهب المقدس (رسالة ماجستير)، عبد القادر موفق، جامعة وهران، 2002/2001.
- دلالات أسلوب القسم في السور المكية (رسالة ماجستير)، قلايلية العربي، جامعة وهران، 1992/1991.
- الوظائف الصوتية والدلالية للصوائت العربية العربية (أطروحة دكتوراه)، مكّي درار، جامعة وهران، 2003/2002.

الفهرست

المحتوى.....	رقم الصفحة
مقدمة.....	أ-د
الفصل الأول: الحرف مفهومه ووظيفته.....	-
1- من الحرف إلى الأداة.....	
- الحرف.....	
- علامات الحرف.....	
- أقسام الحروف.....	
- الأداة.....	
- علامات الأداة.....	
- وظيفة الأداة.....	
2- الحرف بين المعنى والوظيفة.....	
- المعنى.....	
- مكانة الحرف في مختلف نظريات المعنى.....	
أ - النظرية الإشارية.....	
ب - النظرية التصورية.....	
ج - النظرية السياقية.....	
- الوظيفة.....	
- مفهومها.....	
- وظائف اللغة.....	
- الوظيفة الصوتية (الفونولوجية).....	

- الوظيفة الصرفية (المورفولوجية).....
- الوظيفة النحوية.....
- الوظيفة المعجمية.....
- الوظيفة الدلالية.....
- الوظيفة التواصلية.....
- مفهوم التواصل.....
- مخطط عوامل التواصل اللغوي.....
- مخطط الوظائف اللغوية.....
- الفصل الثاني: الحروف التنبيه.....

- تعريف التنبيه.....

1 — ألا.....

- خصائصها ومميزاتها.....
- ألا من حيث البساطة والتركيب.....
- وظائفها: — العرض والطلب.....
- التحضيض.....
- الجواب.....
- التوبيخ والتنديم.....
- التمني.....
- الاستفهام عن النفي.....

2 — أما.....

- خصائصها ومميزاتها.....
- وظائفها في التركيب.....

..... العرض —

..... أن تكون بمعنى حقا. —

..... التقرير والتوبيخ. —

..... 3 — ها. —

..... دخولها على اسم الإشارة. —

..... اتصالها بأيّ في النداء. —

..... دخولها على الماضي المقرون بقدر. —

..... دخولها على "أنّ" المشبهة بالفعل. —

..... دخولها على اسم الله تعالى في القسم. —

..... دخولها على ضمائر الرفع المنفصلة. —

..... دخولها على اسم الفعل "لَمَّ". —

..... "ها" اسم فعل أمر. —

..... الحروف المختلف في إفادتها التنبيه. —

..... الفصل الثالث: حروف النداء. —

..... 1 — مفهوم النداء. —

..... حروف النداء وعدّها. —

..... العامل في المنادى. —

..... حذف حرف النداء. —

..... 2 — الحروف التي ينادى بها القريب. —

..... 1 — الهمزة. —

..... وظائفها: — التسوية. —

..... الإنكار الإبطالي. —

..... — الإنكار التويخي

..... — التقرير

..... — التهكم

..... — التنبية

..... 2 — أي

..... 3 — الحروف التي ينادى بها البعيد

..... 1 — أيا

..... 2 — هيا

..... 3 — يا

..... — وظائفها: — التعجب

..... — التحسر والتأسف

..... — المدح

..... — الذم

..... — الدعاء

..... — الرّجر

..... — الوعيد

..... — التمني

..... — الاستغاثة

..... — الندبة

..... — التنبية

..... — دخولها على: — فعل الأمر

..... — الدعاء

— ليت.....

— ربّ.....

— حبّذا.....

— الفصل الرَّابِع: دراسة تطبيقية على ديوان محمد العيد آل خليفة.....

— جدول الحروف الموظفة في باب الأدبيات والفلسفيات.....

— جدول الحروف الموظفة في باب الإسلاميات والقوميات.....

— جدول الحروف الموظفة في باب الأخلاقيات والحكميات.....

— جدول الحروف الموظفة في باب الاجتماعيات والسياسيات.....

— جدول الحروف الموظفة في باب اللزوميات.....

— جدول الحروف الموظفة في باب الإخوانيات.....

— جدول الحروف الموظفة في باب الثوريات.....

— جدول الحروف الموظفة في باب المراثي.....

— جدول الحروف الموظفة في باب الذكريات.....

— جدول الحروف الموظفة في باب المتفرقات.....

— جدول الحروف الموظفة في باب الألغاز.....

— باب الأناشيد.....

— خاتمة.....

— قائمة المصادر والمراجع.....

— الفهرست.....

الملخص

كان للعرب دور مشهود في تطوير الدراسات اللغوية على أسس علمية منذ القرن الهجري الأول، ومن أبرز القضايا التي أولوها أهمية بالغة قضية حروف المعاني، نظرا لما لها من صلة وطيدة بفهم المعاني بين المتخاطبين، ودور في استنباط الأحكام من نصوص القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، ذلك لأن الكثير من القضايا الدلالية والمسائل الفقهية إنما يتوقف فهمها على فهم الوظيفة التي يؤديها حرف المعنى في النص الوارد فيه.

ومن أهم هذه الحروف حروف التنبيه وذلك لما للتنبيه من دور بالغ في إحداث التواصل بين المتخاطبين، إذ إنه يتم بواسطة مجموعة من الحروف أبرزها: ألا، أما، ها، يا وغيرها، ولكل حرف من هذه الحروف خصائص ووظائف مختلفة لا تتحدد إلا من خلال السياقات الواردة فيها فهي تتأثر بها لأنها غير مرهونة بضابط معين؛ بحيث يمكن للحرف منها وخصوصا الحرف "يا" أن يتكيف مع جميع السياقات التي يرد فيها، وهو ما أدى إلى كثرة وتنوع الوظائف التي يؤديها، وكثرة استعمالاته معها.

الكلمات المفتاحية:

الوظيفة؛ التواصل؛ الحرف؛ الأداة؛ التنبيه؛ النداء؛ السياق؛ المعنى؛ اللغة؛ التبليغ.